مذاهب وشخصيات

أحمد بن بيللا

ابن شمال افريقيا

بقلم

عمرو أحمد عمرو

عبد الرؤوف أحمد عمرو

مذاهب وشخصيات

احمد بن بيللا

ابن شمالى إفريقيا

تأليف

عمرو احمد عمرو　　عبد الرؤوف احمد عمرو

تحميل كتب http://abbassa.wordpress.com

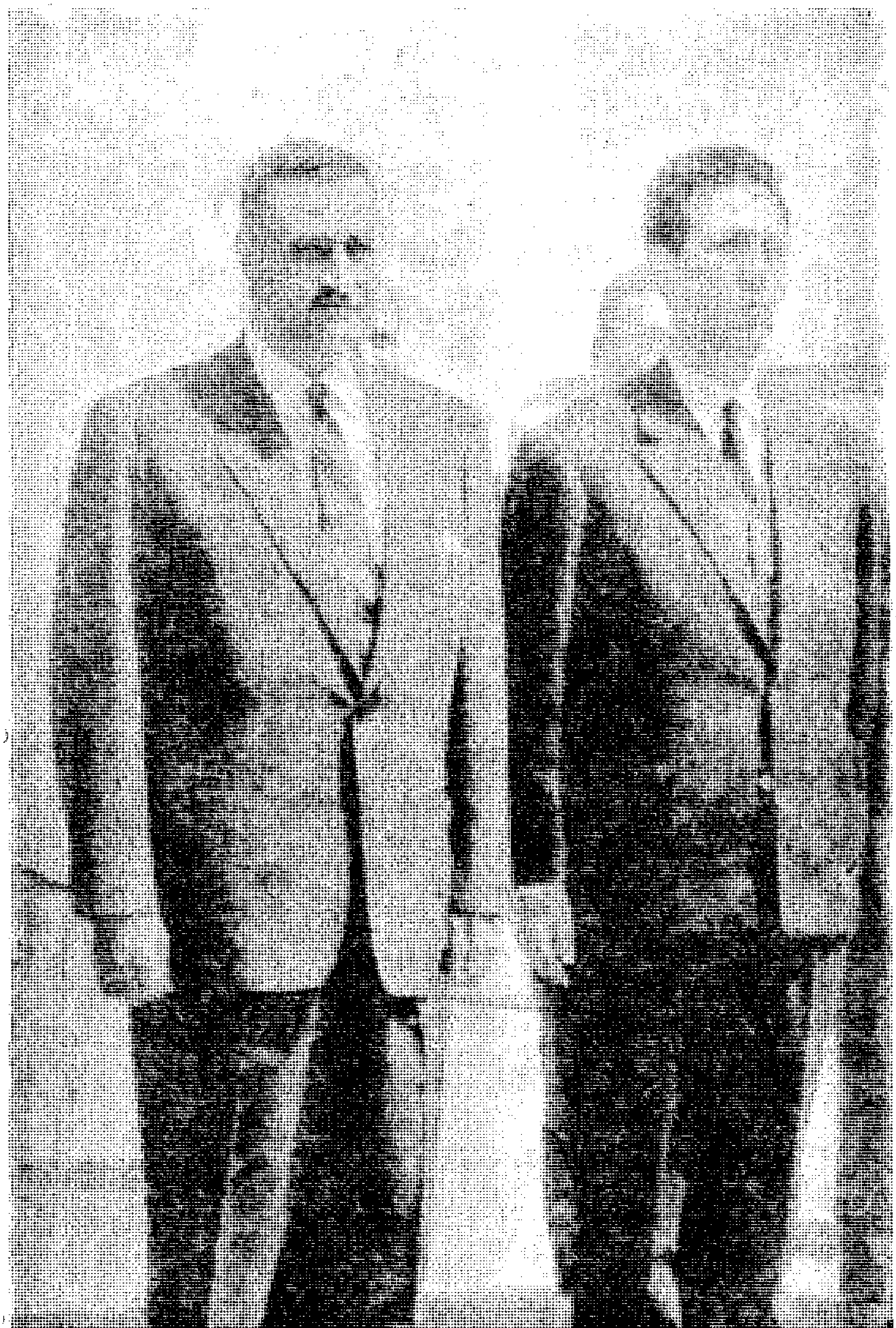

« ان الأسس العقائدية لثورتنا تتلخص فى عروبتنا واسلامنا هذه هى الحقيقة »

احمد بن بيللا

« ان ثورة الجزائر الرائعة لتمثل أمامنا ذروة من النضال الافريقي والنضال من أجل الحرية عموما . »

« ... واننا نتجه في هذه الساعات بكل تأييدنا المادي والمعنوي في غير ما حدود وبدون ما تحفظات لنضعها في نصرة الجانب الجزائري في المفاوضات التي تجري بين ثورة الجزائر وبين فرنسا ، واثقين أن نتيجتها لابد أن تكون على مستوى التضحيات النبيلة والأعمال الشامخة للشعب الحر الذي واصل النضال المسلح أكثر من سبع سنوات ، لا في وجه فرنسا وحدها وانما في وجه حلف شمالي الاطلنطي كله ، الذي كدست أسلحته ومعداته لقهر شعب الجزائر ، وعجزت أمام ارادته ، بل استطاعت هذه الارادة الحرة أن تقهر أسلحة حلف الاطلنطي ، وأن ترغمها على الاعتراف بشرعية مطالب الشعب الجزائري في حريته الكاملة وسيادته المطلقة على أراضيه وعلى مصيره »

من خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر في حفل افتتاح مؤتمر الشعوب الافريقية بجامعة القاهرة يوم ٢٥ من مارس عام ١٩٦١

تقديم

بقلم حبيب جاماتي

في سنة ١٩٥٠ عدت من رحلة في الجزائر وكلي ثقة بأن ذلك القطر العربي العريق قادم على أحداث رهيبة ، وأن الشعب الجزائرى الأبي ، الذى حط الاستعمار الفرنسي عليه بأثقاله ، وحاول بجميع الوسائل والأساليب أن يذل عزته القومية ، ويخنق في صدور أبنائه الروح الوطنية ، ذلك الشعب الذى سجل في صفحات التاريخ أمجادا رائعة ، يتحمل تلك الأثقال بدون أن يفقد عزته أو تتزعزع روحه ، ويعانى قسوة الحكم الأجنبي بدون أن يرضى به ، ويصبر على المكاره بدون أن يخنع لها ، بالرغم من الزمن الطويل الذى انقضى على غزو بلاده وضياع استقلالها واستئثار الغريب بخيراتها .

ان ما رأيته في الجزائر وما لمسته فيها ، خلال تلك الرحلة ، جعلنى أصدق ما سمعته من قادة الفكر الذين التقيت بهم هناك وتحدثت اليهم ، وهو أن البلاد على أبواب ثورة جديدة ، تضاف الى ماسبقها من ثورات عدة . وشاركتهم في اليقين بان الثورة القادمة مكتوب لها النجاح ، كله أو جله ، لأنها سوف تنشب فى ظروف غير التى أحاطت بغيرها من الثورات السابقة ..

والتقيت فى القاهرة ، وباريس ، وروما ، وطنجة ، ومدريد ، قبيل اندلاع الثورة المصرية فى ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ وبعدها ، ببعض من كنت قد قابلتهم فى الجزائر . فازددت يقينا ، من أحاديثى معهم ، بأن ما كانوا يتوقعونه ، واقع لا شك فى ذلك ، وفى موعد غير بعيد .

وانفجرت مراجل الصدور فى مطلع شهر نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، وانطلقت الحمم من البركان الذى خيل للناس ، فى وقت من الأوقات ، بأنه قد سكن الى الأبد ، وتلفتت أنظار العالم من كل صوب ، متطلعة الى الجزائر ، مصحوبة بأسئلة طافت على الألسنة فى كل مكان .. كيف حدث هذا ؟ وأين حدث ؟ ومن الذى فجر المراجل فى الصدور ، وأطلق الحمم من البركان ؟

ومنذ ذلك الوقت ، عشت مع ثورة الجزائر يوما فيوما وخطوة فخطوة . أسمع ، وأسجل وأنشر فى الصحف بعض ما سمعت وسجلت .

فى شهر ابريل سنة ١٩٥٥ ، عرفت بعض أسرار الثورة الجزائرية من مندوبى قيادتها فى مؤتمر باندونج ..

وفي شهر نوفمبر سنة ١٩٥٥ ، عرفت بعض خفاياها ممن قابلتهم في مؤتمر صفاقس بتونس .. وفي القـــاهرة ، عرفت فريقا من الذين أوقدوا النار في البلد الذى كانت فرنسا تعتقد أنها نجحت في جعله قطعة متممة لأرضها ، وراء البحر المتوسط .

وعرفت مفجر المراجل ومطلق الحمم .

انه يتردد على العاصمة المصرية ، ملتقى الأحرار والثائرين ، فيقيم فيها أياما ، ثم يختفي لكى يعود ويقيم فيها ، مع زملائه ، أياما أخرى .

انه يعيش في جو من الحذر والتكتم . فالمصلحة ، مصلحة الثورة ، ومصلحة الشعب الذى قامت الثـــورة من أجله ، والذى بدأ يؤيدها ويساندها ، تقضى بالتكتم والحذر .

ذلك الرجل ، ذلك الشاب ، ذلك القائد الذى كان يعمل في صمت عجيب وثقـة لا حد لهـا ، هو الذى يسرنى كثيرا أن أكتب هـذه المقـدمة لسيرة حياته وتاريخ جهاده ، بقلم الأديبين عمرو أحمد عمرو وعبد الرءوف أحمد عمرو ، تقديرا منى لهذا السـفر القيم ، وتحية للبطل الذى كتب له النصر في ميدان الحرب ، والفوز في حلبة السياسة : « أحمد بن بيللا ».

لقد صدق حدس الأحرار الجزائريين الذين أكدوا لى ، في ســنة ١٩٥٠ ، أن بلادهم على أبواب ثورة جديدة ، وتحقق اليقين بأن هذه الثورة مكتوب لها النجاح ــ النجاح كله ، لأجله فقط .

ان نتائجهـا تختلف في الواقع عن نتائج جميـع الثـورات التى سبقتها ، وتاريخ الجزائر كله ، منـذ أن وطئت أرضـها أقدام الغزاة المستعمرين في سنة ١٨٣٠ ، سلسلة متواصلة الحلقات من الانتفاضات المحلية ، والفورات الاقليمية ، والثورات الدامية .

ثورة أمير المجاهدين عبـد القادر بن محيى الدين ، التى كانت استمرارا للحرب التى شنتها فرنسا الملكية على شعب الجزائر ، والتى استمرت مدة ١٧ سنة كاملة ..

حلقة أولى من السلسلة الطويلة تبعتها حلقات .. ثورة بو معزة ، وثورة بو بغلة ، وثورة مولاى محمد بن عبد الله ، وثورة بو سعدة ، وثورة لالا فاطمة ، وثورات أولاد سيدى الشيخ ، والحاج محمد المغرانى ، والشيخ الحداد ، وبو عمامة ، وغيرهم وغيرهم ..

ثورات امتدت على مدى الأعوام ، منـذ وقوع الأمير عبد القادر في الأسر سنة ١٨٤٧ ، الى سنة ١٨٨٤ ..

وثورات أخرى في أوائل القرن العشرين ، وعلى الخصوص في سنة ١٩٠٢ وسنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٦ .

تلك الثـورات التى لم ينقطع حبلها الجرار ، لم تسفر عن بلوغ الهدف الأسمى ، أى تحرير الجزائر من الحكم الأجنبى ، ولكنها كانت غذاء للروح القومية ــ فأبقتهـا حيـة في الصدور ، ومهـدت بمراحلها الطويلة

المتتابعة ، لتهيئة الجو لثورة حاسمة عارمة ، قدر لأحمد بن بيللا أن يطلق رصاصتها الاولى في أول يوم من أيام شهر نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، وكتب له أن يختم بها صفحات الجهاد المرير ، التي سجل سطورها الأولى الأمير عبد القادر الجزائرى ، قبل ذلك بقرن وربع قرن .

بعد ثورة عام ١٩٥٤ ، وبفضلها ، تحولت الأمنية التي اختلجت فى الصدور خلال تلك الحقبة من الدهر ، الى حقيقة ملموسة واقعة .

وعلى أيدى أحمد بن بيللا ورفاقه الغر الميامين ، تمت معجزة من أعجب معجزات العصر الذى نعيش فيه ، بافلات الجزائر من الأسر ، وانضمامها الى الركب العربى المتحرر المنطلق الى الامام ..

ان ثورة الجزائر التى أضرم نارها أحمد بن بيللا ومعه رهط مبارك من اخوانه ، لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين ، والتى اندفع فى تيارها الشعب الجزائرى كله ، برجاله ونسائه ، بشيوخه وأطفاله ، ماعدا حفنة قليلة من الضالين وضعاف النفوس ، تلك الثورة التى أدهشت العالم وأثارت اعجابه ، لم يكتب تاريخها بعد ، ولن يكتب بكامله قبل مضى بضعة أعوام عليها . وما يكتب الآن وفى الغد القريب ، ليس أكثر من خطوات فى الطريق الطويل ، أشبه باللبنات التى ترص الواحدة منها فوق الأخرى ، لكى يتألف منها ، فى النهاية - البناء الشامخ المأمول .

والكتاب الذى يضعه الآن بين أيدى القراء الأديبان عمرو أحمد عمرو وعبد الرءوف أحمد عمرو ، خطوة بين تلك الخطوات ، ولبنة من تلك اللبنات . وهو ثمرة مجهود يشكر ، فى المرحلة الأولى من مراحل تدوين تاريخ الثورة الجزائرية . وسوف يكون له مكانه الممتاز بين نتاج الاقلام ومحصول المطابع .

ففى هذا الكتاب ، حلل المؤلفان شخصية أحمد بن بيللا ، ووصفا الظروف والملابسات التى أحاطت به ، وتبعاه فى الطريق الوعر الذى سار فيه ، وسجلا من خلال ذلك كله تطور الثورة التى أطلقها من عقالها فى وطنه المقيد ، والتى أسفرت عن تحطيم القيد والوصول الى رحاب الحرية والاستقلال والسيادة .

ورفع المؤلفان طرفا من الستار عن تفاصيل ومعلومات وخبايا لم تذع بين الناس قبل الآن . واستندا فى عملهما المشكور الى ما بذلاه شخصيا من جهد ، وسعيا اليه من استقصاء كما استقيا أيضا من مصادر ومراجع دفعتهما أمانتهما الأدبية الى التنويه بها فى ختام كتابهما .

ففى هذا الكتاب ، سيرة رجل من خلال قصة ثورة ، أو قصة ثورة من خلال سيرة رجل وذلك فى أسلوب سهل لا تصنع فيه ولا تعقيد . وهو خير أسلوب يتفق مع حياة بطل القصة وبطل السيرة فى آن واحد ، أحمد بن بيللا .

وقد جاء الكتاب فى تفاصيله وفى مجموعه ، تحية طيبة الى الزعيم المجاهد ، الذى كان أول من أعلن الثورة فى الوطن الجزائرى المستعبد ، ثم كان أول من ترأس الحكومة الحرة ، فى الوطن الجزائرى الحر .

جعل الله العهد الجديد في الجزائر فاتحة عصر كله خير وبركة . ووفق العاملين في سبيل ذلك الخير وتلك البركة . وأبعد عنهم الخصام . وأحل بينهم الوئام لكي يجيء النصر التام في ميدان السلم والبناء ، متمما للنصر التام الذي أحرزه الشعب الجزائري في ميدان القتال والفداء .

القاهرة : شعبان عام ١٣٨٢

يناير عام ١٩٦٣

حبيب جاماتي

الرئيس المتعصب

وصلت الى القاهرة برقيتان عاجلتان ، احداهما الى احمد بن بيللا ، والأخرى الى محمد خيضر ، تخبرهما بضرورة السفر على الفور الى المغرب ، ومع البرقيتين جاءت تأكيدات بأنهما سيكونان فى ضيافة جلالة الملك محمد الخامس ، وفى حمايته .

وتوجه على الفور أحمد بن بيللا الى قصر الطـاهرة حيث اجتمع مع الرئيس جمال عبد الناصر ، وعرض عليـه الأمـر . ومرت لحظات ، كان بن بيللا يتفحص فيها وجه عبد النـاصر وعينـاه معلقتان به وهو شاخص ببصره بعيدا ، ثم نظر الى أحمد بن بيللا وقال له على الفور :

— احذرك من السفر الى الرباط !

ومرت لحظات قلائل ، وأكمل الرئيس جمال بعدها كلماته قائلا :

— اننى أشعر أن شيئا سوف يحدث لكم لو سافرتم . ان احساسى يقول انكم لو سافرتم فقد لا نلتقى مرة أخرى . ابقوا فى القاهرة ولا تسافروا !

وبدت الدهشة على وجه أحمد بن بيللا ...

آخر ما كان يتصوره أن يقول له الرئيس جمال عبد الناصر :

— لا تسافر ! .

وقال والدهشة مازالت مرتسمة على محياه :

— ماذا تتصور سيادتكم أن يحدث لنا ؟

فقال جمال عبد الناصر ونبرات صوته تعلو : « ان شعورى يحدثنى بأن سفركم هذا فيه خطر عليكم ! »

وخرج أحمد بن بيللا من قصر الطاهرة ، وكلمات الرئيس جمـال عبد الناصر تملأ ذهنه ، وتتردد فى عقله .

وقرر ألا يسافر الى المغرب ، مادام الرئيس قد نصحه بعدم السفر اليه .

وفجأة ، أصر أحمد بن بيللا على السفر . فهو يضع قضية الجزائر قبل أى اعتبار آخر . انه يخشى على الثـورة الجزائرية . وماذا لو سافر الى تونس للاجتماع بملك المغرب والحبيب بورقيبة ، فى مؤتمر يعقد هنـاك للتحدث فى وقف اطلاق النار ، دون أن يمر بالرباط ؟

وارسل برقيتين عاجلتين ، احداهما كانت الى حسين آية أحمد في نيويورك والاخرى الى مصطفى الأشرف في باريس على أن يتم لقاء الزعماء في مدريد خلال أربع وعشرين ساعة .

وفي ليلة من ليالي أكتوبر عام ١٩٥٦ رجع أحمد بن بيللا الى حجرته حيث يقيم في شقة مع سيده تدعى بدور مصطفى العمروسي ، في الطابق السادس بعمارة الشربتلي في شارع ٢٦ يوليو بالقاهره . رجع مبكرا في هذه الليلة .. وجلس مع السيدة التي ألف أن يحكي لها قليلا عن أموره الخاصة وكثيرا عن بلاده . وراح يحدثها وكان يضحك كثيرا على غير عادته . قال لها انه مسافر في الصباح الباكر . وربما غاب شهرا . كان يبتسم ويضحك وهو يقول لها ان الجزائر ستنتصر ، وستتحرر بعد ستة شهور فقط .

وكانت السيدة تنظر اليه وقلبها يخفق ، ودعواتها تتصاعد الى السماء ، الى الله القوى ، أن ينصر الجزائر المظلومة على فرنسا الباغية ...

وقبل أن ينام أحمد بن بيللا قال لها ان جرس التليفون سيدق في الثالثة صباحا ، وبعدها عليها أن توقظه من النوم .

وذهب أحمد بن بيللا لينام ... تمدد على سريره وراح يحاول أن ينام ، ولكن عينيه مازالتا مفتوحتين ، تأبيان أن تدعاه ينام ... وفي خياله كان يمر شريط طويل مزدحم بالصور والذكريات .

هذا المؤتمر الذي سيعقد في تونس هو محاولة للوصول الى حل لقضية الجزائر ...

ان هذه المفاوضات أو المشاورات مع تونس ومراكش هامة للغاية . حتى تتألف وحدة لشمالي افريقية في المستقبل ، وتتحرر الجزائر من الأخطبوط الفرنسي .

ومر في شريط الذكريات أمامه هذا السؤال :

« ألم تحاول فرنسا أن تصل الى اتفاق مع زعماء الجزائر منذ عدة أسابيع . وهي تقوم بمباحثات على جانب كبير من السرية مع هؤلاء الزعماء في يوغوسلافيا ؟ »

فرنسا تحاول أن تصل الى هذا الاتفاق بأي ثمن قبل حلول موعد اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة .

وتتابعت الصور في خيال بن بيللا وهو يتماثل للنوم ، وعيناه ما زالتا مفتوحتين .

الم يكن جي موليه رئيس حكومة فرنسا هو الذي ألقى خطابا في اجتماع عقده ببيت أمريكا اللاتينية في باريس ، وقال فيه عن الجزائر : « ان فرنسا مستعدة لبذل كل التضحيات الممكنة من أجل الاحتفاظ بالجزائر التي تعد حجر الزاوية في بناء الاتحاد الفرنسي ، وان حكومتي تستهدف أولا وقف القتال ، واستعدادها للاتصال بالثوار المحاربين بشرط أن يكون

هذا الاتصال رسميا مباشرا للكف عن الحرب ، على أن يلي ذلك بعد ثلاثة اشهر على الأكثر انتخابات حرة ، تاتى بنواب تتفاوض معهم فرنسا فى اقرار نظام الحكم » .

وبعد هذا التصريح دعت جمعية التحرير الجزائرية الى اجتماع حضره جميع زعماء الحركة واستعرضوا فيه خطاب رئيس الوزارة الفرنسية. واتفقت كلمتهم على أنه لا وجه للمفاوضة الا اذا قبلت فرنسا مبدأ استقلال الجزائر .

وتذكر نفسه وهو يحذر زملاءه المجتمعين من الانخداع بأقوال رئيس وزراءفرنسا وقال : «٠٠٠وربما كان فى نية الجانب الفرنسى أن يستدرجكم الى محادثات طويلة يحاول بها أن يفوت علينا السعى فى عرض قضية الجزائر على الامم المتحدة ، هذه المباحثات السرية التى ابتدأت من شهر يوليو بيننا وبين فرنسا عندما وصل مندوبون فرنسيون الى القاهرة للاجتماع بمحمد خيضر ٠٠ ، لكم كانت تود فرنسا أن تعرف مكانى ٠٠٠ هل أنا فى القاهرة ؟ فى ليبيا ؟ في تونس ؟ فى الجزائر نفسها ؟ المخابرات الفرنسية نفسها تريد أن تعرف ٠٠٠ تعقبتنى فى كل مكان وتود فقط أن تعرف أين أنا ؟ وحمل المندوبون الفرنسيون مشروعا سلموه الى محمد خيضر وعرض على جبهة التحرير الجزائرية ورفضناه بالاجماع ! »

وتفاهمت بعد ذلك دولة أوربية محايدة مع ممثلى الجزائر فى القاهره على الدخول فى مفاوضات مع ممثلى الحكومة الفرنسية لوقف اطلاق النار، ومنح مراكش استقلالا ذاتيا واسع النطاق ٠

وتأبى عينا أحمد بن بيللا أن تغمضا جفنتيهما ٠٠ ويستعصى عليه النوم ٠٠وتتتابع الصور والذكريات أمام ناظره ٠

عقد الاجتماع الاول فى روما بعد هذه المحادثات التمهيدية التى جرت فى القاهرة ٠ كان يمثل الحكومة الفرنسية مسيو بيير كومان السكرتير العام للحزب الاشتراكى الفرنسى ، وعضوان من اللجنة المركزية للحزب ، ومثل الجزائر زملائى فى الجهاد ، أخوتى محمد خيضر ومحمد يزيد ودكتور فرنسيس ولم يكن الاجتماع الاول رسميا ، وفى أثنائه الح الجزائريون فى أن يكون المندوبون الفرنسيون مفوضين تفويضا كاملا رسميا من جانب حكومتهم لاجراء المفاوضات ٠

وقال المسيو كومان انه يقسم بشرفه انه يتحدث باسم رئيس الحكومة الفرنسية ، وأن هذه الحكومة ستكون مقيدة بكل شىء يقوله ٠

ولكن الوفد الجزائرى رفض هذا الكلام ، وقال انه لا غنى للوفد الفرنسى عن منحه سلطة كاملة لاجراء المفاوضات الرسمية .

وعاد كومان الى باريس ٠٠٠

ورجع الى روما ومعه هذا التفويض ٠٠٠

وكان الاجتماع الثانى رسميا شهده المندوبون الفرنسيون والجزائريون ، وسفير دولة محايدة كمشاهد لما يحدث ...

وقال كومان بحضور السفير المحايد انه يمثل الحكومة الفرنسية رسميا ، وانه جاء الى روما ليفاوض ممثلي الجزائر فغادر السفير المحايد الاجتماع لان وجوده لم يعد شيئا ضروريا ، بعد أن نجحت الوساطة . .

وبدأت المحادثات المباشرة ...

وفى أثناء تلك المفاوضات الرسمية التى بدات بعد ذلك سلم الفرنسيون الوفد الجزائرى ورقة كأساس لتسوية مشكلة الجزائر .

أولا : تمنح الجزائر استقلالا ذاتيا اداريا .

ثانيا : يمثل الشعب الجزائرى برلمان منتخب انتخابا حرا .

ثالثا : تؤلف وزارة جزائرية وطنية حرة .

رابعا : تحدد العلاقات المستقبلة بين فرنسا والجزائر بعد ذلك .

وعقدت ثلاثة اجتماعات طويلة شرح فيها ممثلو فرنسا هذه المبادىء وقالوا ان الاستقلال الذاتى سيكون أوسع نطاقا مما منح لتونس .

وأحس الجزائريون فى أثناء هذه المفاوضات أن مندوبى فرنسا يتجنبون أية اشارة الى الاستقلال التام . ويومها قدم الوفد الجزائرى الاقتراحات التى اتفقنا عليها وهى :

أولا : أن تعترف فرنسا بحق الجزائر فى الاستقلال التام .

ثانيا : ان تؤلف حكومة وطنية جزائرية مؤقتة لمفاوضة فرنسا ، بالاتفاق مع جبهة التحرير الجزائرية .

ثالثا : اعرب المفاوضون الجزائريون عن أملهم فى أن تقبل فرنسا تسوية سلمية لمسالة قناة السويس ، مع احترام حقوق مصر كدولة ذات سيادة احتراما كاملا ، لأن تسوية هذه المشكلة ستساعد على حل مشكلة الجزائر .

وقال الزعماء الجزائريون للفرنسيين انه لابد من الاتصال بالزعماء المقيمين فى بلادهم ولهذا يجب أن تسمح فرنسا بأن يدخل المفاوضون الجزائريون بلادهم للاتصال بالزعماء أو تسمح للزعماء بمبارحة الجزائر لتسهيل المشاورات . وقال المفاوضون الجزائريون ان الاتصال مستمر بينهم وبين زملائهم فى الداخل ، ولكنه ليس كافيا .

وقال كومان ان فرنسا ستسهل هذه الاتصالات .

وبعد هذا بقى خيضر هناك فى أوربا ، وبارحها محمد يزيد والدكتور فرنسيس .

صحيح أن بن بيللا لم يجتمع فى هذه المفاوضات .. ولكنه اشترك فيها .. وكان على اتصال بكل ما يدور بين الجانبين ، ويسافر من بلد الى بلد آخر ليقوم بدوره الهام من أجل الجزائر .

وطار المبعوث الفرنسى الى باريس ليعرض النتائج التى وصل اليها على الحكومة الفرنسية .

وكادت هذه المباحثات تفشل لولا أن جى موليه رئيس الوزراء بعث رسوله من جديد الى بلجراد لاستئناف هذه المباحثات ...

المباحثات من أجل الاستقلال التام للجزائر ...

آه ... ! لو يتحقق هذا الحلم الجميل وتستقل الجزائر ... عند هذا غمضت عينا أحمد بن بيللا ... وراح فى نوم ليس عميقا .. !

ودق جرس التليفون فى الســاعة الثالثة صباحا ... واستيقظ احمد بن بيللا على صوت الرنين المزعج وسط سكون الليــل . وتناول سماعة التليفون ... وتحدث دقيقة كاملة مع الطرف الآخر ثم وضع السماعة .

ودخلت السيدة بدور مصطفى حجـرته وحيته بتحية الصبـــاح وساعدته فى تجهيز حاجاته ...

وفى دقائق كان متأهبا للسفر ...

وودعها ... ودلف الى الخارج مع نسمات الفجر الباردة .. وصوت مؤذن على بعد يتناهى الى سمعه ... الله أكبر ! الله أكبر ..!

ووقف أحمد بن بيللا لحظة على رصيف الشارع . ونظر الى السماء وقلبه يردد : الله أكبر .. الله أكبر ، على فرنســا الباغيــة الله أكبر مع الجزائر والنصر لها !!

وتقابل مع زميله فى الكفاح محمد خيضر فى المكان الذى حدداه ، وانطلقا فى عربة تنهب الارض الى المطار .

وركبا الطائرة من القاهرة الى مدريد . واحسا بلوعة الشوق للقاهرة والطائرة ترتفع بهما عن أرض المطار . صحيح انهما يتنقلان ويسافران كثيرا ولكنهما شعرا هذه المرة وككل مرة بالشوق للقاهرة .

وفى مدريد التقيا بزملائهما .

وقرر بن بيللا بعد تفكير ان يسافروا الى « تطوان » عاصمة المنطقة الاسبانية التى يطالب المغرب بضمهــا وان يبقى فيها هؤلاء الزعماء حتى يجتمعوا بالملك محمد الخامس هناك ، بعيدا . فهذه المنطقة ليست تحت سيطرة القوات الفرنسية .

وأقلعت الطائرة بأحرار الجزائر من مدريد الى تطوان ونزل الزعماء الخمسة ، أحمد بن بيللا ، ومحمد خيضر ، ومحمد بوضياف ، وحسين آية أحمد ، ومصطفى الأشرف ، واستقبلهم الامير مولاى الحسن ولى عهد المغرب واراد ان تقلهـم جميعا طائرة الى الرباط . واعتذروا جميعا عن السفر الى هناك .

وراح الامير الحسن يحاول اقناعهم قائلا ان الموقف يســتدعى ان

يجتمع بهم والده الملك محمد الخامس قبل سفره الى تونس ، وانهم سيذهبون الى الرباط فى حمايته ضيوفا على الملك .

وقال الامير الحسن انه مسئول شخصيا عن سلامتهم .

وعند ذلك قبل الزعماء الجزائريون السفر الى الرباط . وسافروا اليها مع الامير الحسن فى طائرته الخاصة .

واستقبل الشعب المغربى الزعماء الجزائريين استقبالا هائلا أثار احتجاج السلطات الفرنسية .

وحدد موعد الاجتماع بين الملك محمد الخامس والزعماء الجزائريين حيث عرضوا عليه وجهات نظرهم ، وأعربوا له عن قلقهم من حدوث شيء فما زالت كلمات الرئيس جمال عبد الناصر يتردد صداها فى أذن أحمد بن بيللا .

ولكن الملك أكد لهم انه مسئول شخصيا عن سلامتهم ، وطلبوا أن تطير بهم الطائرة عن طريق مدريد ثم تونس . وأرادوا أن يعرفوا خط سير الطائرة التى ستقلهم الى تونس بالضبط .

وأزف الوقت . فهناك فى تونس ينتظر الزعيم الحبيب بورقيبة على موعد مع الملك ومع زعماء الثوار . وسوف تجرى مشاورات بينهم تستأنف بعدها المفاوضات مع فرنسا لحل أزمة الجزائر .

وقال الملك محمد الخامس وهو يشد على أيدى المجاهدين :

ـ سافروا على بركة الله ، وسأعطيكم رسما بيانيا يوضح لكم سير الطائرة .

وراودت عقل الملك فكرة ...

ماذا لو أخذ معه بن بيللا زعيما جزائريا آخر فى الطائرة الملكية التى ستقله الى تونس ؟

ولكن القائم بالاعمال الفرنسى أبلغ الملك سرا انه من الافضل أن يركب الزعماء الجزائريون طائرة أخرى غير طائرة الملك حتى لا يحدث ركوبهم معه شيئا من الضيق والحرج للحكومة الفرنسية .

وذهب الزعماء الجزائريون ، أحمد بن بيللا ، ومحمد خيضر ، ومحمد بوضياف، وحسين آية أحمد ، ومصطفى الاشرف الى المطار . وقبل ان يتقدموا لركوب الطائرة المدنية التابعة لاحد خطوط الطيران المغربية ، والتى كانت محجوزة للصحفيين ، أسرع الخطى نحو أحمد بن بيللا شاب جزائرى وتقدم منه حتى وقف أمامه ، وقدم اليه مدفعا رشاشا صغيرا وقال له : « خذ هذا معك ! »

وضحك أحمد بن بيللا . وخفتت أصوات التعليقات التى كان يتبادلها الحاضرون والمسافرون، بل وتوقفت تماما، وبدت دهشة غامضة تعلو وجوه الحاضرين .

وقال أحمد بن بيللا للشاب الجزائرى :

– اننا لسنا ذاهبين الى الجزائر !

فرد الشاب : «خذه ··· فمن يدرى ؟ »

ولم يشأ أحمد بن بيللا اغضاب الشاب فأخذ المدفع الرشاش الصغير منه ووضعه فى حقيبة اليد التى كان يحملها ·

عندما ركب أحمد بن بيللا الطائرة هو وزملاؤه وجدوا معهم عشرة ركاب آخرين ، كان من بينهم مراسل صحيفة نيويورك تايمز الامريكية بنظارته السميكة التى تخفى نفاذ بصره ، وآنسة تعمل مراسلة لجريدة « الاستقلال » المراكشية ، ثم صحفى آخر يعمل مراسلا لصحيفة فرانس أوبزيرفايتر ، وتاجر وبعض الاشخاص الآخرين أما قائد الطائرة فقد كان فرنسيا ومضيفتها أيضا فرنسية ·

وجاء ميعاد اقلاع الطائرة · وبدأت ترتفع عن الارض : انها فى طريقها الى مدريد ، ومن هناك الى تونس ·

كانت الدقائق تمر ثقيلة وبطيئة ···

والزعماء الجزائريون يتعجلون الوصول الى تونس ، فهناك ستدور المشاورات مع الملك محمد الخامس ومع الرئيس الحبيب بورقيبة ، وبعد ذلك ستتقدم قضية الجزائر خطوات فى طريق الكفاح الدامى نحو الاستقلال والحرية ·

واللحظات تمر بطيئة ، وازيز الطائرة يشتت الافكار ···

وبعد ثلاث ساعات بدأت الطائرة تهبط · ظن أحمد بن بيللا وزملاؤه فى أول الامر أنهم وصلوا الى تونس · ولكن الركاب جميعا فوجئوا بقائد الطائرة يخبرهم بأنهم هبطوا فى جزيرة ميوركا الاسبانية ، لأن الطائرة فى حاجة الى وقود ·

وبدأ الشك يداعب قلب بن بيللا ويساور خياله ، وزملاؤه يسالون والمسافرون جميعا يتساءلون ·

– لماذا غيرت الطائرة اتجاهها ، كيف تطير دون أن تزود بالوقود الكافى ؟

وكان قسم الارصدة الجوى التابع للجنرال لوريللو الفرنسى فى الجزائر قد رسم الخطة كاملة ·

أرسلت القيادة الجوية الفرنسية فى الجزائر أمرا الى القومندان « جريليه » قائد الطائرة التى تقل أحمد بن بيللا وزملاءه عندما كانت تهبط فى مطار بالما بجزيرة ميوركا الاسبانية بأن تتجه فورا الى الجزائر ·

نعم الى الجزائر وليس الى تونس !

المؤامرة بدأت خيوطها تنفذ فى هذه اللحظات وزملاؤه يتعجلون

الوصول الى تونس . وهناك حيث يتطلع الى السماء الحبيب بورقيبة والملك محمد الخامس فى انتظار وصولهم .

وبدأت اسلاك البرق تهتز بشدة ...

واتصالات سريعة تدور فى سرية وخفاء ...

وأبلغ قائد الطائرة الامر الى رؤسائه الفرنسيين فى الرباط .

وعلمت السلطات المغربية أن الطائرة قد هبطت فى الجزيرة الاسبانية ، فأبرقت الى قائد الطائرة بأن يبقى فى بالما ولا يبرحها . وأخطرت الملك فى تونس بهذه القصة .

وقام الملك على الفور بالاتصال بسفير فرنسا فى تونس .

واتصل السفير فى الحال بمسيو سافارى وزير الشئون المغربية والتونسية فى الوزارة الفرنسية .

وحاول مسيو سافارى الوزير الفرنسى أن يوقف تنفيذ المؤامرة التى بدأت تتضح ... وأحمد بن بيللا لا يدرى ..!

وأقلعت الطائرة ثانية بعد أن تزودت بالوقود . الطائرة الآن متجهة فى طريقها الى تونس ... هكذا يراها أحمد بن بيللا وزملاؤه ، بل وجميع المسافرين .

وكانت الطائرة تتجه الى تونس بالفعل ، فقد كان قائد الطائرة ذكيا وماكرا .

وتلقى قائد الطائرة اشارة لاسلكية أخرى تأمره باسم الحكومة الفرنسية بالاتجاه الى الجزائر ... وكان على وشك أن يفعل هذا حتى قبل أن تأتى اليه هذه الاشارة .

ودار الطيار بطائرته حول نفسه دورتين ، ثم غير طريقه ... انه يتجه الآن الى مكان آخر غير تونس ... انه ماكر وذكى .

ومضت لحظات قصيرة ...

ولم يعد الطيار يستطيع أن يتمالك نفسه .. وكانت الساعة قد قاربت السادسة مساء ، وأشار للمضيفة أن تقترب منه ليدلى لها بسر المؤامرة .

وقال لها وهو يقترب من أذنيها : « اعتبرى الآن نفسك من عظيمات النساء اللاتى دخلن التاريخ ! »

وعلت الدهشة وجه مضيفة الطائرة ، وأوشكت أن تفتح فاها دهشة فهى لم تفهم شيئا .

وأردف الطيار يقول لها : « انك سترين الليلة حدثا تاريخيا كبيرا فاستمعى جيدا لما أقوله لك ، ... ولكن تمالكى أعصابك . ! »

ومرت لحظات ··· كانت المضيفة الجميلة قد عرفت السر الذى كان مفاجأة لها ·

··· ومرت المضيفة بين المسافرين ، وتقدمت الى محمد بوضياف حيث كان مستغرقا فى فكرة تأخذ بألبابه ، وابتسمت له وهى تقول انها ستقرأ له طالعه ، وأمسكت بكفه ونظرت اليه نظرات ماكرة ، ونطقت بعبارات غريبة ··

قالت المضيفة : « انكم ذاهبون الى مهمة كبيرة ··· ولكنها لن تقضى ··· لن تصلوا الى مكان المهمة ! ·· »

ورد محمد خيضر عليها فى غيظ بعد أن تناهت الى سمعه كلماتها ، فقال :

« لا ··· اننا مصممون على الوصول ·· وسنصل الى الهدف ، سنصل اليه مهما كانت الصعاب » ·

وابتسمت المضيفة فى دهاء ، بل وانفجرت شفتاها الجميلتان عن ضحكة فيها خبث ومكر وذكاء ·

تعمدت المضيفة أن تحول انتباه الزعماء الجزائريين عن النظر من النافذة ، نافذة الطائرة المتجهة الآن الى بلادهم ·· الى ديارهم ··· التى حرمت عليهم ··· وهم جميعا لا يدرون !

وحلق فى السماء سرب من طائرات الميستير الفرنسية وأحاطت بالطائرة ··· لتقودها الى مطار الجزائر ·

وبدأت الطائرة تهبط ، وشعور بالقلق يداعب قلوب الاحرار ، بل واحساس خفى يشد انتباههم ، فيتطلعون من نافذة الطائرة فيرونها تقترب من أرض المطار ···

وكانت الساعة التاسعة والثلث مساء ··· انه يوم ٢٢ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ ·

وفوجىء الجميع بالطائرة وهى تقف ، ثم تطفأ أنوارها على حين انبعثت أضواء مسلطة من كشافات مصوبة الى الطائرة من الخارج ·

ونظر بن بيللا وزملاؤه ، ونظر الصحفيون أيضا ورأى الجميع المفاجأة ··· جنود الباراشوت الفرنسيين مدججين بالسلاح يملئون المكان ··

وظن البعض أنهم فى تونس فعلا ·

وقال صوت ما بداخل الطائرة : « يبدو أن شيئا ما حدث فى تونس ! »

ولكن صوت بن بيللا ارتفع فى الظلام قائلا :

ـ كلا ! لقد عدنا الى الوطن ··· نحن فى الجزائر · !

ونظر أحمد بن بيللا الى زملائه والقلق والحيرة تلفهم جميعا ٠ فقد بدأت الأمور تتضح لهم فى بطء الآن فقط بن بيللا وزملاؤه يدرون بما يدور حولهم ٠

الظلام يخيم على الطائرة ، والكشافات القوية مسلطة عليها من الخارج، وباب الطائرة يفتح ٠٠٠ ووقف بن بيللا وزملاؤه ليروا أرض المطار ٠٠ انه مطار انبيت الأبيض فى الجزائر ٠

المطار قد تحول الى ثكنة حربية ، الى قلعـة يملؤها الجنود أكثر من أربعة آلاف جنـــدى وقفوا بملابس الميـــدان فى انتظار الزعماء الخمسـة » والمدافع الرشاشة مصوبة نحو الطائرة ، وعلى بعـــد قليل تقف السيارات المصفحة والدبابات ٠

وصاح أحد الضباط الفرنسيين بشماتة :

ـ أهلا ٠٠٠ أهلا ببن بيللا ، رئيس حكومة الجزائر المستقلة ٠٠٠ تعال لكى تتولى منصبك الخطير !!٠٠

وأجبر الزعماء والمسافرون جميعا على النزول من الطائرة قفزا دون استعمال سلمها ٠٠٠ على حين كان جندى فرنسى يصيح بصـــوت عال :

ـ انزلوا حالا ... وأيديكم مرفوعة فى الهواء .. والا أطلقنـــا النار ٠٠!

وقفز أحمد بن بيللا الى الأرض من باب الطائرة ... وقال على الفور للجندى الذى كان يصوب المدفع الرشاش اليه : « كما ترى ليس معنا سلاح ٠ »

ونظر بن بيللا حـــوله ٠٠ ثم الى زملائه ، وبدأت كلمات الرئيس جمال عبد الناصر تتجسم أمام عينيه وتتردد فى صدى تسمعه أذناه : الآن ، أصبحت مخاوفه حقيقة . لقد صدقت أحاسيس عبد الناصر .

وهز بن بيللا رأسه وقال فى لهجة احتقار وازدراء بالفرنسية :

ـ لعبة بارعة ٠٠! ولكن لا شىء سيتغير ٠٠!

ومرت لحظات قصيرة . وبسرعة فائقة كان احمد بن بيللا يبتلع شيئا : انها أنبوبة مليئة « بسيانور البوتاسيوم » السام ، والتى يحمل كل زعيم من قادة جبهة التحرير أنبوبة مماثلة لها ، ، فقد أقســـم قادة الثورة جميعا أن يموتوا ولا يقع واحد منهم حيا فى أيدى الفرنسيين .

لو مات واحد منهم ، فهناك عشرة ملايين مجاهد من شعب الجـــزائر يحملون السلاح بدلا منه ٠

ولمح أحد ضباط المخابرات الفرنسية احمد بن بيللا وهو يبتلع الانبوبة . وعلى الفور أمر بنقله بسرعة الى المستشفى العسكرى الملحق بالمطار حيث أجريت له عملية غسيل للمعدة ٠

وتم انقاذ أحمد بن بيللا .

وكاد الصحفى توم برادى مراسل صحيفة نيويورك تايمز الامريكية أن يسقط قتيلا . ففى أثناء خروجه من باب الطائرة وضع يده فى جيبه الداخلى ، ووجه الجنود مدافعهم الرشاشة اليه ظنا منهم انه سيخرج سلاحا ، فاذا به يخرج بطاقته الصحفية ، ويقول لهم انه أمريكى .

وكانت فى انتظارهم سيارتان من سيارات نقل الجنود . وتقدم الجنود من أحمد بن بيللا ومحمد خيضر ومحمد بوضياف وحسين آية أحمد ومصطفى الاشرف . وكبلوهم بالقيود السلاسل . ونظر أحمد بن بيللا الى ضابط فرنسى كان يقف بالقرب منه وقال له :

ـ هذا هو معنى الثقة بالفرنسيين ، ولمثل هذا كان جى موليه يستدرجنا فى خطابه الذى ألقاه يوم ٢٢ من يونيو الماضى !

وحملت احدى السيارات الزعماء الخمسة بعد أن أطلق سراح الصحفى الامريكى . ووضعوا فى معسكر الاعتقال .

وشددت الحراسة ، بل صدرت الأوامر لجميع القوات الفرنسية فى تلك الليلة بأن تتنبه لهجمات الجزائريين .

وأمضى الزعماء الخمسة ليلتهم الأولى فى السجن مكبلين بالأغلال ... وكانت ليلة ستظل ذكراها ماثلة فى عقل أحمد بن بيللا الى الأبد .

وقبل أن تبزغ الشمس دخل عليهم الجنود الفرنسيون وفتشوهم بطريقة فظة أملا فى العثور على وثائق أو أوراق هامة .

وقال لهم أحمد بن بيللا :

ـ ان الاوراق التى نحملها لاتعدو أن تكون مجرد نصوص المبادىء التى اتفق عليها شعب الجزائر والتى سبق أن نشرناها فى كل مكان . وفى فرنسا بالذات ... انكم لن تجدوا معنا شيئا جديدا ... وثقوا أنكم لن تعثروا معنا على ما تطمعون فيه من خطط عسكرية أو مراكز تجمعات فرق جيش التحرير ، لأننا لم نعتد أن نسجل خططنا على الورق ، وانما نرسمها فى رءوسنا ونخفيها فى قلوبنا .

وحاولت السلطات الفرنسية أن تحصل منهم على معلومات عسكرية بشتى وسائل الارهاب ولكن بن بيللا قال لرجالها : « نحن لا نعرف معنى الخوف ... اقتلونا بنظافة » ولا تكونوا مثل هؤلاء الجنود الذين ظلوا طول الليل يقرعون باب السجن علينا حتى لا ننام .

فنحن لن ننام أبدا طالما فى الجزائر جندى فرنسى واحد . »

ومع شروق الشمس كان العالم اجمع قد سمع حقيقة المؤامرة الدنيئة .

اذاعات العالم كلها أعلنت النبأ الأليم

والصحف كلها نشرت النبأ وصـــورا للزعماء فى صدر صفحاتها الأولى .

ووكالات الانباء تتناقل أخبار مؤامرة الاختطاف لتعلنها فى جميع أرجاء الأرض قاطبة . ملايين البشر ، بل ومئات الملايين سمعت بالنبأ ، فنزل عليها كالصاعقة !

كيف يحدث هذا فى عصر المدنيات الحديثة وفى النصف الثانى من القرن العشرين ؟

فرنسا تفاوض الزعماء لكى تدبر لهم مؤامرة دنيئة وتخطفهم .

هكذا دبر الفرنسـيون مؤامرتهم دون مراعاة لوازع من عقل أو ضمير ، واقترفوا المخالفات الآتية :

أولا : خرق لقانون الطيران الدولى

ثانيا : عدوان على حرية الملاحة الجوية

ثالثا : سطو على اختصاص شركة الطيران المغربية

رابعا : خرق لمبادئ الانسانية .

خامسا : اعتداء على ضيوف ملك المغرب

سادسا : ارغام قائد الطائرة على خيانة الأمانة

سابعا : خيانة العهد الذى وافقت عليه حكومة فرنسا بالاتصال بالزعماء لمفاوضتهم .

ثامنا : عمل شائن ضيع على فرنسا الفرصة الوحيدة لايجاد حل لمشكلة الجزائر .

وفى اليوم التالى بادرت الحكومة المصرية الى اسـتنكار الجريمة الشنيعة التى ارتكبتها فرنسا فى حق الانســـانية جمعـاء ، وقالت فى بيانها :

« قوبل نبأ الاجراء التعسفى الذى قامت به السلطات الفرنسية ضد الزعمـــاء الجزائريين بأسف بالغ من الحكومة المصرية فهو فضـــلا عما يتسم به من مخالفة لقيم الخلقية ، ومبادىء الشرف يطبعه طابع الغدر ، الذى يدمغ تصرفات الاستعمار على الدوام .

لقـد قامت السـلطات الفرنسـية بذلك الاجراء مخالفـة مبـادىء القانون الدولى ، ومنتهكة بذلك ما وقعته من اتفاقيات دوليـــة للطيران ، وانه لمن الغـريب أن يكون الشعب الفـــرنسى أول من نادى بحقوق الانســان ، وأن تكون الحـكومة الفرنسـية أول من يدوس ميثـاق حقوق الانسان ويتحداه بهذه الصورة الصارخة

والحـكومة المصرية التى تؤمن بحـق جميـع الشـعوب فى حريتهـا وتقرير مصيرها وتؤمن بحق الشعب الجـزائرى الشقيق فى التحرير

والاستقلال ، تعلن استنكارها البـــالغ لهذا الاسلوب غير الشريف فى مقاومة رغبات الشعوب وآمالها . »

❊ ❊ ❊

وفى تونس انعقد المؤتمر الثلاثى برغم أنف فرنسا ، وبرغم اعتقالها للزعماء الجزائريين ، وحضره ملك المغرب وبورقيبه رئيس وزراء تونس وعدد من الشخصيات الجزائرية البارزة . وصدر بلاغ مشترك عقب الاجتماع جاء فيه :

— ان تونس ومراكش ستوقعان قريبا على معاهدة للتعـــاون والتحالف ، وانهما متضامنتان مع الجزائر ويؤيدانها تأييدا مطلقا .

ووقف جى موليه رئيس الوزراء الفرنسى أمام الجمعية الوطنية ليقول ان اعتقال الزعماء الجزائريين الخمســة يعـد نصرا للسـياسة الفرنسية !

وقال : « يكفينا فخرا أننا ألقينا القبض على الرأس الملتهب . »

فهل تعرفون من هو صاحب الرأس الملتهب الذى أثار زهو رئيس وزراء فرنسا ، وكان ورقته الرابحة فى الحصـــول على ثقة الجمعية الوطنية بوزارته ؟

انه الشاب العربى أحمد بن بيللا !

وقف جى موليه ليعلن أن القبض على أحمد بن بيللا ومحمد خيضر وبقية زملائهما ، قد تم بمنـــاورة بارعة رسمت خطتها بالاتفـــاق بين السلطات المدنية والعسكرية .

وحدثت ازمة وزارية بسبب هذه الجريمة .

وزير الشئون المغربية والتونسية فى حكومة فرنسا يستقيل من منصبه لأن الجـــريمة دبرت من ورائه ، بدون علمه أو موافقته ، ثم استقال وكيل الوزارة المختص احتجاجا على الجريمة .

وتولى رئيس الجمهورية الفرنسية رياسة مجلس الوزراء الذى اجتمع مرتين فى أقل من ١٢ ساعة لبحث الموقف فى الداخل والخارج .

وطلب جى موليه من الجمعية الوطنيـــة أن توافق على برنامجه الذى يضم مسألة الجزائر .

وزعم أن الحكومة الفرنسية ستســـتمر فى مهمة تهدئة الحالة واصلاح البلاد والسعى الى حل لمشكلة الجزائر بحيث تبقى ســيطرة فرنسا على الجزائر مع التأكيد بأن المساواة ستسود جميع المواطنين .

يالها من مهزلة . ! .

فرنسا تخطف الزعماء ، وتؤكد أنها ستعمل على نشر المســاواة بين جميع المواطنين .

وقال يومها ان فرنسا لن تتراجع امام أية قوة أو تعصب وأنها باقية فى الجزائر مهما حدث .

أما عن اعتقال الزعماء الجزائريين فقال ان الحكومة الفرنسية قد « وزنت » عواقب أعمالها .

نعم ... الحكومة الفرنسية قدرت عواقب أعمالها . لقد نجحت كل النجاح فى اثارة الرأى العام ضدها ، فى العالم العربى والعالم أجمع . عمل اجرامى استنكرته شعوب الأرض جميعا .

خطف الاحرار الخمسة ألهب الشعور الوطنى وأجج النيران المشتعلة فى الجزائر نفسها ، وأثار الهياج والاندفاع والسخط الشعبى، وحب الانتقام فى شمالى افريقية كلها ، لقد قدمت فرنسا للثورة الجزائرية أمضى سلاح فى أهم مناسبة .

اهتز العالم العربى بجميع أقطاره من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى ، وهب يستنكر هذا الاجرام الشنيع .

أثار هذا الحادث شعور الاحتقار عند جميع الشعوب والأجناس لفرنسا وأعمالها التى تعتبر أكبر صدمة للشرف والضمير بل للانسانية عامة . فرنسا بهذا العمل قد قضت على نفسها أدبيا ومعنويا وخلقيا قبل أن تقضى على نفسها عسكريا .

لقد توافرت لفرنسا بهذا العمل كل الرذائل والمخازى : الجبن ـ الغباء ـ السفه ـ الخيانة ـ اللوم ـ الغدر ـ الخسة ـ الدناءة ـ قلة الحياء ـ الحمق ـ الطيش والدعارة الخلقية ـ الدعارة السياسية والدعارة العسكرية .

قامت مظاهرات فى جميع أنحاء المغرب العربى ... الشعب يعلن عن سخطه وغضبه ، ويتمنى لو شن حربا على قوات فرنسا فى الجزائر وتونس ومراكش .

***

وفى الأمم المتحدة طلبت مجموعة الدول الآسيوية والافريقية رسميا من داج همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة أن يتدخل بسرعة للافراج عن الزعماء الجزائريين . وقام بهذا المسعى سفير أندونيسيا نيابة عن هذه الدول .

وقال السفير الاندونيسى لهمرشولد ان العمل الذى قامت به فرنسا يعرض سلام العالم للخطر ، ومن الضرورى أن تتدخل الامم المتحدة فى الامر .

وندد محمد يزيد ممثل الجزائر فى الامم المتحدة بعمل فرنسا ، وقال انها نقضت كلمة الشرف باعتقال بن بيللا والزعماء لأن ممثلى فرنسا تكفلوا بسلامة الزعماء الجزائريين فى أثناء المحادثات السرية بين فرنسا والجزائر . وهى المحادثات التى جرت منذ أسابيع قليلة .

وقد اهتزت كل الدوائر الدبلوماسية فى الامم المتحدة لحادث الاختطاف الوحشي لازعماء الجزائريين .

ووصفت هذه الدوائر الحادث بأنه أسوأ صورة من صور القرصنة ترتكبها دولة تزعم أنها دولة متمدينة .

أما الدوائر المحايدة فقد اعترفت بأن العمل الذى قامت به فرنسا ينتهك حرمة قوانين الطيران المدنى الدولى ، كما ينتهك بحرمة حقوق الانسان حيث استخدمت فرنسا طرق العصابات الخارجة على القانون .

وفى العالم العربى عم السخط منذ اللحظات الأولى عندما سمعت الشعوب العربية نبأ اختطاف الخمسة الاحرار المناضلين . أما فى العالم الحر ، فلم يسمع أحد رأى زعماء هذا العالم الحر فيما فعلته فرنسا وهى احدى أقطابه . خرست الالسن فى لندن ، ونزل الصمت على واشنطون ، فأين كانت حماسة المستر ايدن رئيس وزراء بريطانيا وتلميذه سلوين لويد تجاه احترام الاتفاقات الدولية والمواثيق ؟

ان حماسهما يرتفع فقط عند ما تكون لبريطانيا أو الاستعمار مصلحة .

ولم تكتف فرنسا بما فعلته ، وما يجلل رأسها بالخزى والعار !

بل قدم رئيس الوفد الفرنسى فى الامم المتحدة مذكرة الى همرشولد يطلب فيها الى مجلس الامن التدخل فى الامر ، واصدار قرار بشان مسئولية مصر المباشرة عن الثورة فى الجزائر .

والملك محمد الخامس ساخط وغاضب . ويثير أزمة مع فرنسا بسبب تدبيرها لحادث الاختطاف . لقد كان الحادث اهانة وجهت الى شرفه ، وطلب الى الفرنسيين الافراج عن الزعماء الخمسة فورا باعتبارهم ضيوفا على جلالته . وقال ملك مراكش يومها : « ان تصرف فرنسا كان ضربة لشرفى ! » ، وقال : « اسجنونى أنا وابنى وافرجوا عن زعماء الجزائر ، لأنهم وثقوا بكلمتى ! »

واجتاحت شمالى افريقية موجة طاغية من الاعمال الانتقامية ضد فرنسا . فهاجت الجماهير الثائرة ، وهاجمت الاحياء الفرنسية فى المدن الكبرى ، وراحت تفتك بكل من يصادفها من المستعمرين . ولجأت العائلات الفرنسية فى مراكش الى ثكنات الاحتلال . وامتدت الثورة ونيرانها الى كل بقاع المغرب العربى ، وتأكدت وحدة الكفاح كما لم تتأكد من قبل .

وراحت الحكومات العربية تبحث الوسائل الكفيلة بتقديم المساعدات فورا للشعب الجزائرى .

وعم اضراب شامل فى الوطن العربى الكبير ، الشعوب العربية تستنكر ما حدث والحكومات تحتج على اعتقال فرنسا للزعماء الاحرار ، وطالبت الامم المتحدة بالتدخل لوقف مذابح الجزائر .

وفى هذا اليوم توقفت القطارات والسيارات عن العمل . تعطلت المصالح والمدارس والمصانع ووسائل النقل ، وأغلقت المحال أبوابها احتجاجا على العدوان الفرنسى على الاحرار فى الجزائر والمغرب العربى .

شهد الشرق العربى يوم ٢٨ من أكتوبر أروع اضراب فى تاريخه . كان رمزا فى الوطن العربى على يقظة القوميه العربية ، واتساع مداها ، كان دليلا على وحدة الآمال والآلام فى أوطان العروبة ، كان استنكارا أقوى من الحديد والنار للطغيان الفرنسى ، وانتصارا أقوى من أية قوة لنضال الجزائر الحرة .

انتظمت مواكب شعوب العرب فى عواصم بلادهم ، ساروا فى مظاهرات ضخمة ليجتمعوا فى ساحات مجالسهم النيابية ، وخطب أكثر من زعيم عربى . قالوا ان الشعوب العربية التى ذاقت طعم الحرية لن تترك المغرب العربى فريسة لفرنسا الظالمة قالوا ان اعتقال الزعماء الجزائريين الخمسة لن يخمد ثورة المغرب ، فهى ثورة تبعث فى النفوس نارا تدفعها للعزة والحرية .

وطالبت الهيئات فى كل بلد عربى بمقاطعة فرنسا . لم تكن شعوب الشرق العربى وهى تقوم بأروع اضراب وأعظم مظهر لتضامنها تدرى أن مؤامرة خطف بن بيللا وزملائه ليست الا مقدمة لمؤامرة أكثر غدرا وخسة ودناءة ستحدث فصولها فى اليوم التالى لهذا الاضراب ... بل ظهرت بوادرها عند ما أنذرت الولايات المتحدة رعاياها فى مصر وسورية والاردن والعراق ولبنان بمغادرة هذه البلاد فورا .

بن بيللا وزملاؤه فى السجن . فى انتظار المحاكمة . . . فرنسا تفكر كيف تحاكمهم ... وهجمات المجاهدين الجزائريين تشتد . وتشهد القوات الفرنسية أكبر هجوم مسلح ضدها . والعالم الحر أمام أكبر عملية قرصنة فى العصر الحديث ساكن لا يتحرك ، لان أساطيله كانت تمخر العباب فى البحار والمحيطات متجهة الى مصر !

أحمد بن بيللا... الثائر الأول

أحمد بن بيللا أسير فى السجن يعانى آلاما فى صمت مرير ٠ هـذه الآلام ليس مصدرها انه بين جدران زنزانة ، ولكن مصـدرها ان قضية بلاده تعثرت وتنكبت الطريق ٠ فها هو الاستعمار يعرقل جهادهم ، انه هو والزعماء الذين ذهبوا للتفاوض فى تونس مكبلون الآن بالقيـود ، وينامون فى حجرات مظلمة ، ويعذبون الى أن تتم محاكمتهم عما قريب ٠

خطة بارعة متقنة ، تفنن فيها الاستعمار ورسم خيوطها ٠

عندما فشـل فى مواجهة واقعه المرير فى الشرق العربى لجأ الى حيل دنيئة ومؤامرات تعبر عن الغدر والخسة والدناءة ٠

فرنسا التى بدأت المفاوضات منذ شهور مع زعماء الجزائر والتى رتبت بمعرفتها مؤتمر تونس ، واتخذت تدابير واسعة النطاق لاشتراك أكبر عدد من زعماء جبهة التحرير فى هذه المحادثات تخطف الزعمـاء وترميهم فى السجون ٠

أثبتت فرنسا انها لم تكن فى وقت من الاوقات جادة فى ادعائهـا الرغبة فى الوصول الى حل سـلمى عادل لقضية الجزائر ، كما أعطت الدليل القاطع على انها لا تقيم وزنا لاسـتقلال مراكش أو تونس ، بل انها مستعدة لتعبث بهذا الاستقلال لأوهى سبب وفى أية فرصة تسنح لها ٠ فلم تحترم فرنسا ضيافة ملك مراكش للمجاهدين ولا ضـيافة الرئيس التونسى لهم ٠

نعم ٠٠ فرنسا تريد أية فرصة للانتقام من زعماء الجزائر، وللانتقام من الذين يساعدون الزعماء من أجل تحرير الجزائر ٠

❊ ❊ ❊

ولنعد الى الخلف أدراجا قليلة ٠٠٠

الجو مشحون بشتى الانفعالات، والسماء ملبدة بغيوم تنذر بعواصف شتى ، والعالم يجرى نحو الخطر بأنفاس لاهثة !

كل هذا حدث نتيجة لحق مسلوب يعود لصاحبه ٠

ففى ٢٦ من يوليو عام ١٩٥٦ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى الاسكندرية تأميم شركة قناة السويس بعد أن رفض الغرب تمويل السد العالى ٠٠٠

ردت القناة لابناء الذين حفروها بعرقهم وبدمائهم ، ودفن فى رمالها ١٢٠ ألفا من الآباء والأجداد ٠

انها الضربة التى ترنح لها الاستعمار من هول المباغتة ٠

آخر شيء كان يدور بخلده أن يقدم عبد الناصر على تأميم شركة قناة السويس ٠

بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة واسرائيل ، والدول التى تسير فى ركاب الغرب جميعا أصابها الدوار ٠ وملأ الحقد والبغضاء قلوب الشركاء وراحوا يجتمعون فى السر والعلانية ٠

وراحوا فى مؤتمر لندن وغيره من الاجتماعات يتدبرون الامر ٠ واستقر رأيهم على شيء ٠

عقدوا العزم على التخلص من ناصر ٠ والهجوم على مصر للقضاء عليه ، فمصر تساعد الجزائر ، وتقف لاسرائيل تترصد بها الدوائر ٠

لقد كان جى موليه يقول : «اننا نريد أن نهزم الجزائر فى مصر !»

ونكهرب الجو العالمى ، توطئة لتنفيذ مؤامرات دبرت فى الخفاء ٠

أعلنت فرنسا فى الوقت الذى تتحرك فيه أساطيلها هى وبريطانيا عرض البحار مقتربة من مصر ، أعلنت استعدادها للوصول الى تسوية لقضية الجزائر ٠

وأعلنت كذلك بريطانيا والولايات المتحدة استعدادهما لتسويةأزمة قناة السويس بالطرق السلمية فى اجتماع يعقد يوم ٢٩ من أكتوبر عام ١٩٥٦ فى جنيف ٠

ولم تشرق شمس ٢٩ من أكتوبر ، الا وكانت القوات الاسرائيلية تزحف عبر الحدود فى سيناء ، واشتبكت مع القوات المصرية على طول الحدود ٠

ومنذ اللحظات الاولى لقنت القوات المصرية اسرائيل درسا لن تنساه وراحت الحكومة المصرية تدرس الموقف بدقة بالغة : كيف تقدم اسرائيل على المغامرة بحياتها فتشتبك بجيشها معالقوات المصرية اشتباكا مسلحا مباشرا ، وعلى طول الحدود ؟

ولماذا اختارت اسرائيل هذا الوقت بالذات لتتحرش بنا ؟ ولماذا أقدمت هذه المرة على العدوان وبهذه الصورة ؟

وعلى الفور صدرت الاوامر الى الجيش بالتحرك الى سيناء والزحف الى تل أبيب عاصمة اسرائيل الدخيلة !

هذه المرة لا بد من ابادة اسرائيل !

وبدأت فى الأفق تلوح بوادر جديدة ٠٠٠

لم يمض أربع وعشرون ساعة على العدوان الصهيونى حتى كانت بريطانيا وفرنسا توجهان انذارا الى الحكومة المصرية !

انذارا بأن القوات الانجليزية والفرنسية ستحتل « مؤقتا » مواقع

رئيسية فى كل من بورسعيد والاسماعيلية والسويس• وطلبنا من الحكومة المصريه واسرائيل سحب قوات كل منهما الى مسافه عشرة أميال غرب القناة بالنسبة لمصر وشرق القناة بالنسبة لاسرائيل •

هذا مع وقف جميع الاعمال الحربية بحرا وجوا وبرا — والمطلوب ارسال الرد خلال ١٢ ساعة ، والا اضطرت الدولتان الى استخدام القوات اللازمة لتنفيذ شروط الانذار •

وكان رد مصر هو رفض الانذار •

وكانت انجلترا وفرنسا تعرفان مقدما رد مصر هذا ، لان الانذار صيغ بطريقة معينة لترفضه مصر •

وفى الحال بدأ تنفيذ خطة العدوان التى دبرت فى الظلام خلال اجتماعات طويلة •

كانت الخطة تتكون من ثلاث نقاط :

أولا : زحف اسرائيل على سيناء صبيحة يوم ٢٩ من أكتوبر والاشتباك مع القوات المصرية ، وكان الغرض من هذا الزحف الصهيونى هو استدراج الجيش المصرى كله الى شبه جزيرة سيناء فى العراء — تاركا البلاد دون جيش يدافع عنها •

ثانيا : غزو مصر من الجو بآلاف الطائرات من أحدث طراز مخصص لقوات حلف الاطلنطى وتعطيل عمليات القوات الجوية المصرية مع ضرب الجيش المصرى من الخلف اذا ما حاول الانسحاب من سيناء ، والغرض من هذا أن تكون مصر دون جيش يدافع عنها •

ثالثا : تنزل القوات المعتدية من انجلترا وفرنسا على أرض مصر من جهة بور سعيد والسويس ، والالتقاء فى الاسماعيلية مع ملاحظة تحطيم محطة اذاعة صوت العرب حتى تكون آمنة مطمئنة •

هذه هى المراحل الثلاث لاحتلال مصر •

وكان مقدرا لكل خطوة منها ٢٤ ساعة ، وهذا فى نظر المعتدين وقت كاف لاتمام الخطة قبل أن يفيق العالم ، واذا احتاج الامر الى يوم آخر لم يكن فى هذا كبير بأس ، وخاصة أن أمريكا مشغولة ومنهمكة فى تطاحن الاحزاب والانتخابات والامم المتحدة « حبلها طويل » والاتحاد السوفيتى مشغول بالثورة فى المجر •

هكذا حسب فنانو المؤامرات وتجار الحروب حسابهم فى بريطانيا وفرنسا • وأقدموا على تنفيذ جريمتهم ومغامرتهم الحمقاء التى سبق تدبيرها بعد تأميم قناة السويس •

وأصدرت القيادة العامة الواعية أوامرها الى الجيش المنتصر بالانسحاب من سيناء مع ترك بعض الكتائب لتغطية الانسحاب والتراجع للدفاع عن المدن ، حتى لا يتعرض الجيش للضرب من الخلف •

وكان قرار الانسحاب حكيما ، مما أفسد على العدو خطته ·

وأقدم المعتدون ينفذون باقى المؤامرة، وتقدمت قواتهم نحو بورسعيد، وتلقى المعتدون هناك على يد الجيش والشعب أروع درس يشهد به التاريخ الحديث ·

هذه لمحة عن العدوان الثلاثى على مصر فى نهاية أكتوبر عام ١٩٥٦ لاتصاله الوثيق بقضية الجزائر والحرب الدائرة على أرضها بين الابطال المجاهدين ، وقوات الاحتلال الغاشمة ·

وذهبت أوهام جى موليه رئيس وزراء فرنسا أدراج الرياح !

كان يتصور واهما انه سيحقق آماله ، فقد أعلن عن انتصاره على مصر وتحطيمها سيفقد المجاهدين الساعد الايمن فى معركتهم مما يجعلهم يستسلمون دون أدنى مقاومة ·

ولكن محاولته باءت بالخسران المبين !

وهجمات المناضلين تشتد على المعسكرات الفرنسية بالجزائر · لقد صمموا على اذلال فرنسا واذلال قواتها ، ان كل انتصار على فرنسا فى الجزائر انما هو انتصار لمصر ، حتى لا تتمكن من اشراك جيشها ضد مصر فى هذا العدوان الاثيم ·

وأحمد بن بيللا فى سجنه يتابع تطورات الموقف بقلبه وعقله فى مصر والجزائر ·

ومن وراء قضبان السجن كانت تصدر أوامره بتشديد الهجمات على قوات الاحتلال الفرنسية لافنائها ، وخاب فأل جى موليه ·

لم ينتصر على مصر ، ولم ينتصر على الثورة فى الجزائر !

جى موليه هذا وقف أمام الجمعية الوطنية فى فرنسا ليقول «يكفينا فخرا اننا القينا القبض على بن بيللا الرأس الملتهب » ولكن القبض على بن بيللا وزملائه لم يؤثر فى الثولة الجزائرية· كانت فرنسا تعتقد أن أحمد بن بيللا وحده هو الثورة فى الجزائر، ظنت أنه العقل المدبر وراء الثورة، ومحمد خيضر هو العقل السياسي لها · وبالقبض عليهما وعلى زملائهما سوف تضيع الثورة الجزائرية فى متاهات الخلاف والانتكاس ·

ولم تدرك فرنسا ان تنظيم جبهة التحرير كان أقوى من ألاعيبها وحيلها وقرصنتها ·

فى الليلة التى ألقى فيها القبض على الزعماء الخمسة أذاعت قيادة جيش التحرير بيانا هاما · واختارت قائدا جديدا لجبهة التحرير ·

كان التنظيم الثورى الجزائرى مثيرا للغاية ، فى الحال يتم اختيار القائد الاحتياطى لكل قائد عند حتمية الظروف الطارئة ·

فى الليلة نفسها بعد خطف الزعماء ، عقدت عدة اجتماعات سريعة،

اجتماعات لمجلس الحرب فى قلب الجزائر نفسها ، واجتماعات بين الزعماء السياسيين أعضاء جبهة التحرير ، وتقرر اختيــار من يحل مكان محمد خيضر فى تحمل أعباء مسئولياته ، وتقرر أيضا اختيار مندوب جـديد ليمثل جبهة التحرير فى الولايات المتحدة فى المكان الذى كان يشــغله حسين آية أحمد ٠

وفى الليلة نفسها كان محمد يزيد يستقل الطائرة الى نيويورك ٠ ووصل اليها بعد ٣٦ ساعة من وقوع أحمد بن بيللا وحسـين آية أحمد وباقى الزملاء فى قبضة الفرنسيين ٠

اختطاف بن بيللا وزملائه كان عاملا من العوامل التى ألهبت حماس المجاهدين ودفعتهم الى مزيد من التضحية والجهاد فى سبيل الرسالة التى يحملونها نيابة عن شعب الجزائر كله ٠

لن تتحقق أوهام فرنسا ! وستشتعل حرب ضروس لن يطفئها الا استقلال الجزائر ٠

لقد قالها أحمد بن بيللاوجنود فرنسا يضعون الاغلال فى يده بمطار الجزائر : « لا شيء سيتغير ! » وبالفعل لم يتغير شيء فى الجـزائر ، بل ازدادت النيران اشتعالا ٠

وراحت فرنسا تفكر فى الطريقة التى تقضى بها على الزعماء الذين تفخر بأنها اختطفتهم ٠

انها فى حيرة ، كيف تقدمهم للمحـاكمة ؟ وما نوع المحكمة التى سيحاكم أمامها الزعماء ؟ هل تكون مدنية أو عسكرية ؟

الرأى الراجح أن تكون المحاكمة عسكرية طبقا للقانون والسلطات الاستثنائيه التى صدق عليها البرلمان الفرنسى فى مارس عام ١٩٥٦ ٠

واذا كانت السلطات الفرنسية قد قررت نوع المحكمة ، فماذا عن الاتهامات التى ســتوجه الى الرأس الذى ألهب النيران فى الجزائر وفى فرنسا نفسها والى زملائه الاربعة أيضا ؟

ووجهت الى الزعماء اتهامات تقضى بمحاكمتهم وفق المـادة ٧٦ من القانون الجنائى ٠ وهى تنص على عقوبة الاعدام لكل فرنسى اشــترك متعمدا فى عمل يهدف الى زعزعة القوة المعنوية فى الجيش أو فى الأمة للاضرار بالدفاع الوطنى ٠

وعرف أحمد بن بيللا نوايا فرنسا ، عرف أنها ستقوم باعدامه هو وزملاؤه كان يعرف نواياها منذ زمن قديم ٠ ففرنسا كلها تعرف بن بيللا الذى دوخها ودوخ قواتها فى الجزائر ٠

وكل شخص فى فرنسا يعرف من أحمد بن بيللا ٠

فرنسا التى أعلنت عن استعدادها لدفع مليون فرنك لمن يقبض على أحمد بن بيللا حيا أو ميتا ٠

فرنسا التى جندت كل امكانياتها ومخابراتها لاغتياله فدبرت له عددا من المؤامرات .

فرنسا التى تخسر كل يوم ملايين الفرنكات وعشرات الجنود تتمنى لو وقع أحمد بن بيللا قائد جيش التحرير الجزائرى فى يدها لتذيقه ما أذاقها من عذاب !

وها هو ذا قد وقع فى يدها هو وأربعة من زملائه المجاهدين بعد أن اختطفتهم خطفا فى أدنأ عملية قرصنة فى العصر الحديث .

فمن هو أحمد بن بيللا ؟

***

السكون يخيم على قرية مارينا الصغيرة على الحدود بين الجزائر والمغرب . والقمر يبزغ فى فجر ذلك اليوم فى عام ١٩١٩ ، والحرب العالمية الاولى تضع أوزارها لتنتشر مبادىء السلام من جديد فى عالم طحنته الحروب ودمرت معالم المدنية فيه . وصوت مؤذن ينادى يدعو المسلمين للصلاة : كانت امرأة تعانى آلام الوضع . وراحت تبتهل الى الله أن ينزل بها اليسر فينطلق المولود دون كبير عناء .

ولم تكن تدرى هذه الام وهى تزفر الآلام وصرخات الوضع أن طفلها الذى سيبزغ نجمه بعد لحظات معدودة سيكون له شأن كبير .

ومرت لحظات .. وظهر المولود الى الوجود .. وحانت من الأم التفاتة الى وليدها الصغير وهو يركل الهواء بقدميه ويديه ... كان صغيرا وضئيلا واحتضنته أمه وكأنها تشفق عليه مما ينتظره . هذا الطفل الوليد ستوضع على كتفيه أعباء أمة بأسرها ، سوف يشب عن الطوق فيرى الاستعمار يدنس بلاده بل يزعم أنها جزء من فرنسا . وسيحارب مع فرنسا . ثم ينقلب ضدها لتحرير بلاده ، ويدخل السجون ، ويعذب . وتدبر مؤامرات لاغتياله ، وتهز قصته الضمير العالمى .

أمه لم تكن تدرى ، ولعلها بقلب الام واحساسها كانت تشعر بغموض يحيط به منذ مولده . وراحت الام تتمتم بدعوات الى الله أن يحرس ابنها محمدا أحمد بن بيللا وأن يطيل عمره وأن يرعاه على مدى الايام .

ونما محمد أحمد بن بيللا وترعرع .. والمستعمر يدنس بلاده . كان لا يتماثل للنوم الا اذا حكت له أمه قصة ، وكان يطيب له أن يسمع منها قصة احتلال الجزائر ، فهى قصة طويلة فيها بطولة وأمجاد وفيها خزى وعار على فرنسا . ولا بد من الانتقام لشرف الجزائر وأبطالها الامجاد !

ودخل المدرسة الفرنسية يتلقى فيها علومه . تعلم الفرنسية وعرف من مدرسيه الفرنسيين ان الجزائر ولاية فرنسية . هكذا أكد له العباقرة الذين درس عليهم مادة التاريخ : أن الجزائر امتداد لفرنسا عبر البحر

المتوسط . وحنق الطفل محمد أحمد بن بيللا وسخط . وازداد احساسه سخطا وهو يستمع كل يوم مزيدا من المزايا الاستعمارية التى دخلت ولاية الجزائر الفرنسية .

ومنذ يومها وهو يلعن فرنسا ويلعن عباقرة التاريخ الفرنسيين المغالطين !

وحاول محمد أن يهتدى الى الحقيقة ...

حاول أن يعرف من أمه الحقيقة بأبعادها العميقة... وتلقى الدروس الاولى فى الوطنية منها وهى تخبره كيف حول الفرنسيون الجزائر الى ولاية فرنسية لا تتمتع بشىء سوى نهب خيراتها وحرمان الوطنيين من كل شىء حتى الحياة نفسها .

وبدأت حمم صغيرة تتطاير من التلميذ محمد أحمد بن بيللا ، من البركان الكامن فى أعماقه ، حمم تتطاير منه فى نظراته الى القوات الفرنسية تدنس بلاده ، بل والفرنسيون جميعا ينهبون خيراتها ... والشعب حوله ... كل الشعب بين فقير أو مغرق فى الفقر والجوع والمرض .

وتخرج أحمد بن بيللا من المدرسة الثانوية ...

والسياسة الفرنسية تقضى بتجنيد الجزائريين اجباريا فى الجيش الفرنسى على اعتبار انهم جنود فرنسيون .

وأصبح أحمد بن بيللا جنديا فى جيش فرنسا . وصمت يطبق على شفتيه فلا ينبس ببنت شفه ، وحقد وكراهية تتأصل فى نفسه وتغوص فى أعماقه نتيجة لكل شىء . حتى فى الجيش كانت التفرقة قائمة بين الفرنسيين وبين الجزائريين ، امتيازات لابناء فرنسا ومعاملة سيئة للغاية لابناء الولايه الفرنسيه عبر البحر المتوسط .

كان الجندى محمد بن بيللا لا يهمه ما يلاقيه ... انه يعيش مع وطنه بكل جوارحه . ويعد نفسه لخوض معركة سيطول أمدها ... معركة ستكون حاسمة .

الحركات والتنظيمات التى رآها تدور فى الخفاء فى بلاده لا يرضى عنها كل الرضا ، ان الزعماء فى الجمعيات الثورية لا يعجبه سلوكهم ، ولا طرقهم السلمية فى الكفاح للمطالبة بحقوق الجزائر .

انه يرى حوله أعمال الفرنسيين التعسفية ويرى المقاومة السلمية التى انبرى لها الزعماء السياسيون أمثال الامير خالد والحاج على عبد القادر ومصالى الحاج والشيخ عبد الحميد بن باديس وفرحات عباس . ولكنه صامت والصمت الرهيب يلف كيانه أينما ذهب .

ونشبت الحرب العالمية الثانية ... وكان محمد أحمد بن بيللا برتبة ملازم فى الجيش ، وكان لابد أن يخوض المعركة مع فرنسا لانه فرنسى ... هكذا تقول فرنسا التى تحارب الآن ضد الفاشية والنازية ..

واشترك بن بيللا فى الحرب من أجل عالم أفضل كما أعلن بعض

زعماء العالم ، ومنهم فرنسا ، ان الحرب تخاض الآن من أجل القضايا العادلة ، ولكن بن بيللا كان يعد نفسه لمعركة أخرى ...

واستطاع بشجاعته الخارقة التى تجلت فى احدى المعارك الحربية الحاسمة وهى معركة « مونتى كاسينو » أن ينتزع اعجاب القادة الفرنسيين ، لقد عجزت الجيوش الاوروبية أن تبدأ بالهجوم والمغامرة فى هذه المعركة ، فما كان منه الا انه طلب من الفرقة الجزائريه أن تقوم بالهجوم ، استطاع أن ينجح فى كسب المعركة مما كان سببا فى ترقيته الى رتبة أعلى . ولقد كان سر نجاحه العسكرى باعتراف الفرنسيين أنفسهم انه لا يخاف الموت ، بل يريد أن يموت موتا نظيفا فى سبيل قضيه عادلة!

وقد وجدت الاحزاب الجزائرية نفسها عاجزة عن أداء رسالتها بعد أن قامت الحرب العالمية ، وذلك بسبب ضعف برامجها الاصلاحية وخداع الاستعمار والحيل السياسية الفرنسية .

وكانت هزيمة فرنسا أمام ألمانيا سببا فى تداعى هيبتها فى الجزائر وعندما فتحت ألمانيا جبهة ثانية للقتال فى قلب أوروبا أسرع الاميرال دارلان والجنرال جيرو من قواد فرنسا فى الجزائر الى العمل لحمل المواطنين على الاشتراك فى القتال ضد المانيا وحلفائها من دول المحور .

واستغل فرحات عباس هذه الفرصة ، ووجه رسالة الى السلطات الفرنسية وقعها معه زملاؤه ، قال فيها :

« انه يوافق على المساهمة فى حرب تشن من أجل تحرير الشعوب ولكن بشرط أن تخاض هذه الحروب بدون تمييز بين جنس وآخر ، وبين دين ودين ، وبشرط ألا تحرم الشعوب من حريتها ومن حقوقها الاولية بالرغم من التضحيات التى تقوم بها والوعود التى تبذل لها وبشرط أن يتم عقد مؤتمر للمنتجين وممثلى جميع الهيئات الاسلامية لوضع نظام سياسى واقتصادى واجتماعى للبلاد »

وتوجه وفد من الوطنيين للتحرى عن رد السلطات الفرنسية. وقال لهم الجنرال جيرو انه يباشر شئون الحرب ولا يعنى بالشئون السياسية

وتمكن الحلفاء من دول المحور فى ٨ من نوفمبر عام ١٩٤٢ من انزال قواتهم فى الجزائر فوجدوا شعبا ثائرا ضد فرنسا وسياستها ونبذ سياسة الاندماج مع فرنسا وصمم على أن يعيش حرا مستقلا فى بلده .

وفى ٣ من فبراير عام ١٩٤٣ اجتمع أحرار الجزائر ، وتشاوروا فى مستقبل الأمة الجزائرية وخروجها نهائيا من منطقة النفوذ الاستعمارى ، وقرروا تقديم بيان الى الحاكم العام الفرنسى . ورفضه هذا الحاكم لانه موجه الى الامة الفرنسية ، والمسئولية فى الدول المتحالفة لا الى الادارة الفرنسية فحسب .

مر أسبوع كامل ثم جاء ١٠ من فبراير من عام ١٩٤٣ عندما اجتمع فرحات عباس مع ٢٨ شخصا من المنتخبين، ووقعوا « وثيقة مطالب الشعب الجزائرى » وقدموها الى الجنرال ديجول زعيم « الفرنسيين الاحرار » فى

ذلك الوقت ، ورفضها • ولكنه أعلن عن برنامج « فيوليت » وبمقتضاه وعد الجزائريين بعدد من الاصلاحات باعتبارهم فرنسيين واعتبار بلادهم الجزائر جزءا من فرنسا الى الأبد •

ولكن الزعماء لم يرتاحوا لهذه الاصلاحات التى تقضى بهضم حقوق الجزائر ، وقام فرحات عباس بالاتصال بالعلماء ، كما اتصل بمصالى الحاج الذى أطلق سراحه فى أبريل عام ١٩٤١ وأنشئوا جماعة أصدقاء البيان والحرية التى ترمى الى انشاء جمهورية مستقلة فى الجزائر •

وعلمت السلطات الاستعمارية بهذا التنظيم فقامت بالقاء القبض على فرحات عباس وزجت به فى السجن وأرسلت المصالى الى منفاه فى الصحراء •

وشعب الجزائر يغلى غليانا على أثر وقوع هذه الحوادث ، وينذر بانفجار شديد •

وأحمد بن بيللا ثائر وبداخله مرجل يغلى••• ولكن فى الوقت الحالى لا يفيد الانفجار •••

وخرج فرحات عباس من السجن وعاد رجال أنصار البيان والحرية الى العمل والاستعداد لخوض المعارك السياسية عندما تضع الحرب العالمية الثانية أوزارها •

* * *

وفى ٨ من مايو عام ١٩٤٥ احتفل العالم الغربى بعقد الهدنة مع ألمانيا ، وشارك الشعب الجزائرى احتفال العالم بانتصار الحرية على الاضطهاد والاستعمار • ألم يساهم الشعب الجزائرى مساهمة فعالة فى ارسائه وتحقيقه حيث كان يعتقد انه سيصيب منه مغنما ، وخاصه بعد أن وقف يحارب مع فرنسا وحلفائها : كان يظن أنه اذا انتصرت فرنسا فانها سوف توفى بتعهداتها لشعب الجزائر ، التى قطعتها على نفسها ابان الحرب • كان يظن ان فرنسا سترد اليه الجميل بعد أن ساندها ووقف معها فى محنتها •

وخرج الشعب الجزائرى فى مظاهرة سلمية كبيرة • وانطلق الرصاص من القوات الفرنسية يحصد الشعب المسالم ، وسقط يومها ٤٥ ألف مواطن ! أكبر مجزرة بشرية عرفها التاريخ ، ترتكبها دولة « الحرية والاخاء والمساواة ! »

هكذا أرادت فرنسا : قتلت ٤٥ ألفا من الابرياء الذين نصروها فى حربها ، ليكون ذلك درسا قاسيا للشعب لكى لا يثور فى وجه فرنسا •

ولم تكتف فرنسا بهذا القتل وحده ، بل قامت بالقاء القبض على حوالى خمسة آلاف مواطن من نخبة الأمة ومفكريها ، وأصدرت أحكامها على ألف وثلثمائة رجل منهم ٩٩ شخصا بالاعدام !!

فرنسا أرادت أن تلقن الجزائريين درسا يخمد صوتهم الى الابد !

هذه المذبحة كانت ناقوس الخطر الذى دق عاليا فى جميع أرجاء الجزائر ·

بركان هائل انفجر فى قلوب الجزائريين ···

مذبحة « ستيف » هذه حددت اتجاه محمد أحمد بن بيللا ، ورسالة حياته ·

آمن أحمد بن بيللا أنه لابد من ثورة مسلحة للقضاء على الاستعمار المسلح ، لا بد من ثورة تستمر ولا تتوقف حتى يتم القضاء على الاستعمار · وبدأ يقدر لها عشرة أعوام طويلة ·

أحمد بن بيللا يحلم بثورة من الشعب وبالشعب وللشعب ·· ثورة عامة مسلحة لا يستغلها زعيم ولا تضللها طبقة أو جماعة ·· ثورة يؤمن بها الشعب ويحققها أو يفنى فى سبيلها ··

لم يتحقق ما أرادته فرنسا ·

لقد ازداد الشعب اصرارا على الرغبة فى الحياة والحرية وفقد الشباب ايمانه بجدوى الحركات والأحزاب السياسية وراح يستجمع قواه فى حركة بعيدة عن العيون أطلق عليها اسم «المنظمة السرية» تهدف الى اقناع الناس بالكفاح المسلح للحصول على الحقوق ، ورد العدوان بالعدوان · وانطلق الشباب : بن بيللا وبوضياف وخيضر ويوسف وباجى مختار وعميروش وعمران وعبان رمضان وبن بولعيد والعربى بن مهيدى ورابح بيطاط ومحساس ودبدوش مراد وغيرهم ، انطلقوا يجمعون المجاهدين والأنصار ·

وفرنسا لا تدرى · خيل لها أنها تنفست الصعداء عندما امسكت مفاتيح الزنازين ، وقالت انها ستبدأ الآن العمل فى هدوء ·

وأعلنت على الملأ دستورا جديدا يصلح الأمور ويعيدها الى الصراط المستقيم ، ويحيل الجزائر الى جنة وارفة الظلال !

ونص دستور المستعمر على تكوين برلمان من ٢١٠ نواب نصفهم يمثل مليون فرنسى والباقى يمثلون ١٢ مليون جزائرى !

ونشطت فرنسا قبل أن يفلت من يدها الزمام ، فقامت بطبخ وتزوير انتخابات النواب الجزائريين · ودخلت البنادق والمسدسات والمدافع الرشاشة لتدلى بصوتها فى اللجان الانتخابية · ومات عدد كبير فى مجازر أخرى دامية ، وأسفرت هذه الانتخابات عن فوز ٦٠ فرنسيا و ٥٦ من الجزائريين معظمهم من عملاء فرنسا ·

بدأ بن بيللا يعد جناحا ثوريا قويا فى حزب الشعب الجزائرى وبدأ يقضى لياليه الطويلة فى دراسة خريطة الجزائر واستراتيجيتها أو فى اجتماعات سرية فى الكهوف والسراديب : اعدادا للثورة المسلحة التى يريد شباب الجزائر أن يعدوا أنفسهم لها ·

وصدر قرار العفو فى ١٦ من مارس عام ١٩٤٦ ، أفرج عن فرحات

عباس وأصدقائه فخرجوا من السجن ليستأنفوا العمل ببرنامج « الوثيقة » ولكن في شـــكل حزب جديد هو الاتحاد الديمقراطى لوثيقة المطـالب الجزائرية ·

ومضى وقت غير طويل عندما انبثقت من قلب حزب الشعب الجزائرى الحركة المناصرة للحريات الديمقراطية وعقد أول مؤتمر لهـــا في نوفمبر عام ١٩٤٧ ·

وكلف أحمد بن بيللا من رياسة الحزب الشعبى بتنظيم جهاز سرى عسكرى · طلب اليه أن يعد هذا الجهاز بحيث يكون مستعدا فى كل لحظة للمعركة الفاصلة ·

وفي خلال أسبوع استطاع أحمد بن بيللا أن يجمع حوله ما يزيد عن ثلاثة آلاف فدائي أشرف على اختيار كل واحد منهم ، وكان من الضرورى توافر شروط خاصة ، يجب أن يكون الفدائى مدربا عسكريا ، وأن يكون غير متزوج وان يقبل التضحية من أجل معركة الوطن الكبرى ·

ويحكى بن بيللا قصة الثورة فيقول :

« ووضعت الخطة ·· كان كل فدائى يظل منخرطا فى قواتنا لمدة ستة أشهر كاملة ··· وبعدها يحال الى قواتنا الاحتياطية ·· على أن يبقى مستعدا تحت الطلب فى أية لحظة ·· »

والثابت أن رجال المخابرات الفرنسية لم يعرفوا شيئا عن هذا الجيش السرى مدة ثلاث سنوات كاملة ··

وحدث فى الجزائر سلسلة من الحوادث العنيفة التى كانت التمهيد الحقيقى والعملى للثورة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسى ·

ولم يكن حادث الهجوم على مركز بريد وهران الا حلقة فى هذه السلسلة من الحوادث · كان هذا فى يوم من أيام ابريل عام ١٩٤٩ · كان كل شيء هادئا فى مدينة وهران فى ذلك اليوم ، وقامت الجماعة المسلحة الصغيرة من الجزائريين بمداهمة مركز البريد بطريقة سريعة خاطفة ، واستولت على مبلغ « ثلاثة ملايين فرنك » ولاذت بالفرار فى احدى السيارات · وضعت هذه الأموال فى داخل سيارة المجاهد « محمد خيضر » ـ واستطاعت أن تمر وسط قوات البوليس ، ونقط المراقبـــة التى تبحث وتفتش فى كل سيارة وذلك لأن سيارة « خيضر » كانت ذات حصانة برلمانية ، اذ كان خيضر وقتها عضوا بالجمعية الوطنية الفرنسية ·

كان مبنى البريد هدفا لأول عمل مسلح للجماعة الثورية الوليدة وكان القصد من ذلك هو الاستيلاء على بعض الاموال التى هى فى الواقع أموال الشعب الجزائرى ـ لتمويل الحركة التحريرية الثورية · أما بطل هذه الحادثة فقد كان أحمد بن بيللا ·

وذات يوم فى عام ١٩٥٠ وقعت حادثة نبهت الاذهان الى قوات أحمد بن بيللا الفدائية ، وكانت مفاجأة مذهلة اهتز لها جهاز المكتب الثـــانى

الفرنسى كله ، وانتشرت قوات البوليس محـــاولة القاء القبض على الفدائيين ٠٠٠

وكان أحمد بن بيللا قائد هذا الجيش ٠ وقد ألقى الفرنسيون القبض على المجاهد ــ الأول ــ أحمد بن بيللا ــ ومعه أكثر من ٨٥٠ من المجاهدين الفدائيين ــ أما بقية زملائه أعضاء هيئة القيادة فلم يعرف الفرنســيون عنهم شيئا ٠

وهكذا بقى أحمد بن بيللا مع بعض زملائه أمثال محمــد خيضر ، وعيان رمضان ، وعلى محساس من شباب المنظمة السرية ــ بقوا فى السجن سـنتين كاملتين ، وحاول الفرنســيون أن يحصـلوا منهم على أى اعتراف كامل ٠ ولكن جميع محاولاتهم باءت بالفشل ، وصمم أحمد بن بيللا على الصمت ٠٠ حتى الموت ٠٠

وفى السجن استعمل الفرنسيون جميع أدوات التعذيب ووسـائله الوحشية التى سمع الناس عنها فى القرون الوسطى ٠٠٠

حدث مرة أن انهال عليه أحد الجنود ضربا بعصا غليظة ــ وهو مكبل بالاغلال ــ وكانت الضربات تقع على رأسه كالمطارق حتى أدمته ، فوقع على جنبه الأيسر ، ومع ذلك استمر الجندى يضربه على رأســـه حتى أصابت احدى الضربات أذنه اليمنى فأفقدتها السمع الى الأبد !

وقضى أحمد بن بيللا عاما كاملا فى هذا العذاب ــ وسنحت له أكثر من فرصة للفرار من هذا السجن وهذا العذاب ٠ ولكنه قرر أن ينتظر حتى نهاية التحقيق والمحاكمة : أراد أن يتحدى فرنســـا ٠ وفى اليوم التالى (١٦/٣/١٩٥٢) لصدور الحكم ضده ــ بالسجن المؤبد مع الاشـــغال الشاقة ــ انتهز فرصة نقله من سجن لآخر ، وغافل الحراس ولاذ بالفرار ، حيث عبر الحدود بطريقة سرية ، أدت فيها منظمات جيش التحرير دورا هاما ٠٠٠

وخرج أحمد بن بيللا ليجد « الحزب » منقسما على نفسه ، وفى مكان سرى بالجزائر جمع بعض زعماء الحزب فى هيئة مؤتمر ، وقرروا جميعا . فى هذا المؤتمر ، وضع جميع امكانيـــات الحزب تحت تصرف « جيش التحرير » ٠

وقد ساعد الموقف الدولى فى الاسهام لاظهار الكيان الجزائرى الى حيز الوجــــود ٠ ففى ذلك الوقت أثيرت فى المحافل الدولية ــ مشكلة استقلال « ليبيا » التى كانت ترضخ حينئذ للاستعمار الايطالى ٠ فوقفت فرنسا تعارض حرية الشعب الشقيق ، وصالت وجالت وراحت تضغط وتهدد ، وتقدم وهما زائفا تتمسك به قائلة : كيف تترك العازل الطبيعى بين المشرق العربى والمغرب العربى فارغا تمتد منه الأيدى ؟

وهال هذا الموقف الشعب الجزائرى ، فهب يطالب زعماءه باثبات الكيان ، وخرج رجال السياسة وزعماء الأحزاب الى النور ، عندما كونوا جبهة تضم الكل وتمثل المجموع وأسموها « الجبهة الجزائرية » ــ وشملت

الجبهة بقايا حركة انتصار الديمقراطية برياسة مصالى الحاج ، وانضم اليها ـ كذلك ـ فرحات عباس بأعضاء حزب « الاتحاد الديمقراطى للبيان الجزائرى » وانضم أشخاص آخرون ممن لمعت أسماؤهم فيما بعد .

ودرست الجبهة امكانياتها التى ترتكز على ارادة من حديد وتصميم على بلوغ الهدف مهما كان الثمن باهظا ووجدت أنها تستطيع أن تمارس قوتها فى الميدان ، وقامت بخطوة كانت الأولى والأخيرة ، فسرعان ما دب الخلاف الحاد بين الاشقاء ، وتصدعت الجبهة وتفككت أوصالها بعد أن وجهت نداء للشعب بالتبرع للاشقاء ـ المجاهدين العرب ـ الذين سلبت الصهيونية ماء الحياة منهم فى فلسطين ، واستجاب الشعب للنداء ـ وتدفقت الأموال من كل الجيوب ، ولكن المشكلة التى واجهت الجبهة هى من الذى له الحق فى تقديم المبالغ للفلسطينيين ؟ مما أدى بقيام النزاع بينهم .

ووصل بن بيللا ـ وخيضر ـ وحسين آية أحمد ، وعلى محساس وغيرهم الى قاعدة العروبة وقلبها النابض الى القاهرة . ولجأ بعض الشباب الآخرين أمثال يوسف زيفون ـ وديد روش مراد ـ كريم بلقاسم ـ عمران .. وكثيرون غيرهم الى الجبال يتخذون منها جبهة لقتال المستعمرين! . وكانت بداية مرحلة جديدة .

طرق أحمد بن بيللا وزملاؤه فى القاهرة الأبواب طالبين مساعدة حركة الكفاح بالجزائر ، كما عمد كريم بلقاسم ورفاقه بالجبال الى توجيه النداء لكل الاتجاهات والحركات السياسية فى الداخل لبدء حركة النضال المسلح ضد الغاصبين .

استجابت القاهرة ـ معقل الحرية ـ لنداء الاشقاء الاحرار وفتحت كل الابواب لبن بيللا وزملائه الذين استطاعوا أن يكونوا على اتصال بالذين فروا الى الجبال ، ودفعت هذه الأشياء الدماء حارة ونابضة فى العروق .

دب الخلاف بين مصالى الحاج واللجنة المركزية لحزبه ـ عام ١٩٥٢ ـ فقد أراد مصالى الحاج أن ينفرد بالسلطة ، وكانت اللجنة المركزية تسعى الى اقرار مبدأ القيادة الجماعية للحزب بقصد توحيد الصفوف ـ وأصاب هذا الخلاف الشبان الثوريين فى المنظمة السرية بخيبة أمل مريرة مما كان له أثر سيىء على فعالية الكفاح . ولقد كان الشبان الثوريون يعارضون دكتاتورية مصالى الحاج ـ ويعيبون أيضا على اللجنة المركزية فى أن تحقيق الوحدة الوطنية لا بد أن يسبق بدء الكفاح المسلح ، وكانوا يرون العكس من ذلك أى ان الكفاح المسلح سيكون عاملا فى توحيد صفوف الامة والمحور الذى يلتف حوله الشعب الجزائرى .

وعندما استفحل الخلاف بين مصالى الحاج واللجنة المركزية خرج تسعة من الشبان أعضاء اللجنة الثورية وألفوا « اللجنة الثورية للوحدة والعمل » ـ وكان أعضاء اللجنة هم : أحمد بن بيللا ـ محمد خيضر ـ

رابح بيطاط ـ عميروش مراد ـ مصطفى بن بلعيد ـ كريم بلقاسم ـ محمد العربى بن مهيدى ـ محمد بوضياف ـ حسين آية أحمد ...

وهذه اللجنة هى التى تحولت فيما بعد الى جبهة التحرير الوطنى الجزائرية .

وبدأ شباب الاحزاب يطالب زعماءه بالكفاح المسلح استجابة للموقف الراهن . وبهرت المطالب الجديدة هذه أنفاس السياسيين الذين بوغتوا بالاسلوب الجديد . وبدأت الرجعية تتخذ موقفها ، فقد خافت من النتائج الخطيرة ، وراح عملاء الاستعمار يسوفون ويماطلون وادعوا ان الوقت لم يحن بالنسبة للجزائر .

عام ضاع من عمر الشباب ومن عمر الأمة الجزائرية قبل ان تتكون « اللجنة الثورية للاتحاد والعمل » ـ وبدءوا على الفور فى البحث والاتصال واعداد أجهزة الثورة لليوم الموعود ...

وعقدت اللجنة سلسلة من الاجتماعات لاتخاذ الاجراءات والاستعدادات الكفيلة باستمرار الثورة ، والكفاح الذى لا يتوقف عند حد . ومرت أحداث بلورت جميع الخلايا الثورية والافكار المنطلقة ، تلعن الاستعمار ، وتلعن أسلوبه فى الحياة . لقد كانت مذبحة «ستيف» فى عام ١٩٤٥ التى سالت فيها دماء ٤٥ ألف شهيد جزائرى فى يوم واحد ، كفيلة باذكاء نيران الألم والأسى فى فؤاد كل مواطن جزائرى . لقد ظن الاستعمار أن هذه المذبحة أخمدت روح المقاومة لدى الشعب الجزائرى ، وأن نيران الثورة قد انطفأت الى الأبد . ففرنسا قد خرجت من الحرب العالمية الثانية ضعيفة هزيلة ، ولكنها أرادت أن تثبت للشعب الجزائرى أنها لا تزال تمتلك من القوة ما تستطيع به أن تبطش حين تريد البطش ، وأرادت أن تعلم الشعب ألا يثور فى وجه فرنسا الى الأبد . أرادت أن تجبر الشعب الجزائرى أن يدفع الثمن باهظا ، لأنه خرج يطالب بحقه ، وحريته ، واستقلاله .

واستمرت الاجتماعات خارج الجزائر وداخلها لاتخاذ خطوة ايجابية حاسمة مع فرنسا . وفى ٢٠ من أغسطس سنة ١٩٥٤ انعقد مؤتمر فى « الصومام » تكون فيه مجلس استشارى ، ومجلس تنفيذى لجبهة التحرير الوطنى ـ وكان أعضاء المجلس التنفيذى هم : فرحات عباس ـ كريم بلقاسم ـ بن مهيدى ـ يوسف بن خدة ـ سعد دحلب .

وكان من الضرورى أن يستعدوا بسرعة حتى يستطيعوا أن يحققوا أماني البلاد الوطنية ـ واضطر احمد بن بيللا الى مغادرة الجزائر حيث كان قد حضر اليها من القاهرة منذ أيام مضت ـ وكان الفرنسيون يتربصون للقبض عليه ـ ولكنه قبل مغادرته أرض الجزائر استطاع أن ينظم مع زملائه المسئوليات داخل الوطن الجزائرى كالآتى

رابح بيطاط لولاية الجزائر ، كريم بلقاسم للقبائل ، وعميروش مراد لشمال قسنطينة والعربى بن مهيدى لوهران ، ومصطفى بن بولعيد للاوراس . أما محمد بوضياف فيلحق بالاشقاء فى القاهرة .

ولندع أحمد بن بيللا يكمل القصة بنفسه :

« كان ضروريا أن نستعد بسرعة حتى نحقق أمانى البلاد الوطنية بالقوة ، أعنى بالحرب . وقبل أن أتسلل الحدود كنت قد نظمت مع زملائى كل شيء ، اخترنا هيئة قيادة المناطق المختلفة ووضعنا قواعد للعمل بعد حدوث تلك الخلافات . لقد نجحنا فى الوصول الى توحيد الصفوف ، لقد اضطررت الى السفر الى جنيف ثلاث مرات من أجل تحقيق الهدف الوطنى » .

وقال بن بيللا :

« أرسلت الى أعضاء هيئة قيادة المناطق المختلفة أدعوهم للمجيء الى سويسرا ، كان ذلك فى شهر سبتمبر عام ١٩٥٤ .

وفى حجرة صغيرة من فندق هادىء فى احدى ضواحى مدينة برن عقد أول مؤتمر عسكرى تمخض عنه قرار الحرب .

كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل عندما انتهيت من رواية تفاصيل المساعى التى بذلتها للتوفيق بين أعضاء الحزب . وسكت . لم أقل بعد هذا كلمة واحدة . وقد فهم اخوانى الخمسة المجتمعون معى ما يجول بخاطرى .

كنت أجلس على حافة السرير وزملائى يجلسون على المقاعد . وواحد كان يجلس على الارض . وكل منا شارد بأفكاره . ، انه مستقبل شعب بأسره أصر على الحرية ، ومستعد لبذل الدماء ، والطريق هو أهم شيء الآن .

قلت وأنا اتطلع الى وجوه الحاضرين معى فى هذا الاجتماع : لن يفلح أى شيء لتوحيد الصفوف وتحرير البلاد الا معركة حربية !

وتقرر فى هذه الجلسة اعلان الحرب على فرنسا . لم ينفض الاجتماع فى تلك الليلة . سحب أحد زملائى طاولة ووضعها أمام السرير ، وجلسنا على هيئة مؤتمر وأخرجت خريطه كبيرة للجزائر ، ورحت أوضح الخطة التى وضعناها للمعركة الحربية . »

فى ذلك الاجتماع استقر الرأى على أن المعركة تحتاج من جيش التحرير الى خمس سنوات حتى يتم النصر .

واتفقوا على تقسيم الجهاد الى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : هى التى بدأت بها الثورة ، وقد خصصت للاستعداد ومهاجمة مخازن الجيوش الفرنسية بصورة تكفى لتسليح جيش كامل ، وكان محدودا لهذه المرحلة سنتان على الأقل .

المرحلة الثانية : كانت للتوسع فى العمليات الحربية وتكوين مناطق نفوذ تعمل فيها جيوش التحرير بحرية ، وهى المناطق التى يطلق عليها بلغة العسكريين اسم « مناطق النشاط » وكان محدودا لهذه المرحلة سنتان أيضا .

المرحلة الثالثة : هى مرحلة التحرير وكان محدودا لها سنة واحدة .

وتتم خلالها عملية الزحف المقدس لطرد الفرنسيين من الجزائر كلها .

وتحدد فى آخر اجتماع فجر يوم أول نوفمبر عام ١٩٥٤ موعدا لساعة الصفر .

وجاءت ساعة الصفر ...

واندلعت الثورة فى كل مكان ...

بوغت الاستعمار الفرنسى ، وذهلت السلطات الفرنسية . ففى هذه الليلة كان ثلاثة آلاف مجاهد ينتشرون فى الجبال وفى جميع أرجاء الجزائر ، وقاموا بنحو ثلاثين هجوما فى ليلة واحدة .

عندما طلع الفجر كانت الجزائر تستقبل مرحلة جديدة ،وحاسمة من تاريخها .

* * *

كانت مفاجأة مذهلة . وصدر أول بيان عن قيادة الثورة الجزائرية ليلة أول نوفمبر عام ١٩٥٤ .

وقال تصريح اعلان الثورة :

الى الشعب الجزائرى

اليكم يا من سوف تزنون أعمالنا ، نريد بنشر هذا النداء أن نوضح الاسباب العميقة التى دفعتنا للعمل ، فنبين لكم برنامجنا وماهيات حركاتنا ، ومبررات نظرياتنا التى ما يزال هدفها الوحيد هو الاستقلال الوطنى فى نطاق الشمال الافريقى ، ونريد أيضا أن نجلو أمامكم الشبهات التى يختلقها الاستعمار وأذنابه من الاداريين وسماسرة السياسة .

اننا نعتقد أن الحركة الوطنية وقد مرت عليها عشرات السنين من الكفاح قد بلغت طور العمل والتحقيق . وبما أن المقصود بكل حركة ثورية هو تهيئة الظروف للعمل التحريرى فنحن نرى ان الشعب متحد حول أوامر الاستقلال والعمل من الوجهة الداخلية أما من الوجهة الخارجية فالجو السائد مناسب لحل المشكلات الصغرى ، ومنها مشكلتنا الجزائرية بفضل المساعدة الدبلوماسية التى يمدنا بها اخواننا العرب والمسلمون بوجه خاص .

ولنا كل عبرة فى هذا القبيل بحوادث تونس والمغرب التى ترسم خطة واضحة لكفاح تحرير بلاد الشمال الافريقى . ونلاحظ هنا أننا كنا دائما فى مقدمة دعاة الاتحاد فى العمل بين أقطارنا الثلاثة ، ولكنه لم يتحقق ويا للاسف .

أما اليوم ــ فان كلا القطرين الشقيقين قد تقدم فى هذا السبيل بعزم وقوة على حين أننا فى الوراء نبوء بمصير المسبوقين ، اذ أصبحت

حركتنا الوطنية وقد أثقلتها أعوام من السكون والاساليب المبتـذلة ، وساء توجيهها ، وأعوزها تأييد الرأى الشعبى الضرورى ، وجاوزها سير الحوادث ، وأصبحت تنحل كل يوم على حين يزدادابتهاج الاستعمار وهو يعتقد أنه سجل انتصارا فى مكافحته للطليعة الجزائرية .

ان الساعة جد خطيرة ...

وأمام هذه الحالة التى كاد يفوتها كل تدارك ، قامت جماعه من المسئولين ، والمخلصين وقد التفت حولها أغلبية العناصر من الذين حافظوا على سلامتهم وعزائمهم ، وارتأت ان الوقت قد حان لاخراج الحركة الوطنية من المأزق الذى أرهنتها اياه الحزازات الشخصية والاغراض ، ودفعها مع شقيقتها المغربية والتونسية فى الكفاح الثورى الحقيقى .

ونريد بهذا الصدد أن نبين أننا مستقلون عن الهيئتين المتنازعتين على الرياسة . اننا نضع المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار شخصى أو نفوذى من الاعتبارات التقريرية الزائفة ، وذلك بموجب الاسس الثورية فنوجه نشاطنا ضد الاستعمار الذى هو عدونا الوحيد الذى امتنع دائما من أن ينيلنا أدنى نصيب من الحرية على طريق وسائل الكفاح السلمى.

هذه هى على ما نعتقد ، الاسباب الكافية التى جعلت حركتنا التجديدية تتقدم للشعب تحت عنوان :

« جبهة التحرير الوطنى » .

والقصد من هذا هو اجتناب كل مظنة للتعريض وتمكين الوطنيين الجزائريين من جميع الطبقات وجميع الاحزاب والحركات الجزائرية الخالصة ، من أن يدرجوا فى كفاح التحرير دون أى اعتبار .

ونوضح فيما يلى النقاط الاساسية لبرنامجنا السياسى :

الهدف : هو الاستقلال الوطنى :

١ ـ استعادة دولة جزائرية ذات سيادة ، ديمقراطية واجتماعية فى نطاق المبادىء الاسلامية .

٢ ـ احترام جميع الحريات الاساسية دون ميزة عنصرية أو دينية .

المقاصد الداخلية :

١ ـ التطهير السياسى بارجاع الحركة الوطنية الثورية الى منهجها الصحيح وباتلاف جميع آثار سياسة الارتشاء والاصلاحات التى هى سبب تعطلنا الحاضر .

٢ ـ جمع وتنظيم جميع القوى السليمة الموجودة فى الشعب الجزائرى وذلك للقضاء على النظام الاستعمارى .

المقاصد الخارجية :

١ ـ تدويل المشكلة الجزائرية ·

٢ ـ تحقيق وحدة الشمال الافريقي في نطاقها الطبيعي العربي الاسلامي ·

٣ ـ في نطاق معاهدة الامم المتحدة تأكيد مودتنا الفعالة نحو جميع الامم التي تؤيد مساعينا التحررية ·

وسائل الكفاح :

بناء على المبادىء الثورية والظروف الداخلية والخارجية نواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى نبلغ غايتنا ·

ولكي تصل جبهة التحرير الوطني الى ما ترمي اليه ، فانها تتخذ مهمتين أساسيتين متوازيتين تسعى بهما في آن واحد : مهمه داخلية في الميدان السياسي وفي ميدان العمل ، ومهمة خارجية تهدف الى ابراز المشكل الجزائري كشيء واقعي أمام العالم أجمع ، وبتأييد حلفائنا الطبيعيين ، وهذه المهمة شاقة ، وهي تتطلب تعبئة جميع القوى وجميع امكانيات الوطن ، ولا شك أن الكفاح سوف يطول أمده ولكن مآله محقق ·

واجتنابا للتأويلات الزائفه والتعليلات الباطلة ، وبيانا لصدق تعلقنا بالسلام ، وحقنا لاراقة الدماء وازهاق الارواح البشرية ، فاننا نقدم قاعدة شريفة للمحادثات مع السلطات الفرنسية اذا كان لها حسن المقصد ، واعترفت نهائيا بحقوق الشعوب التي تستعمرها في التصرف بشئونها ·

١ ـ الاعتراف بالوطنية الجزائرية في تصريح رسمي يلغي جميع الاوامر والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية تجاهلا بتاريخ الجزائر وجغرافيتها ولغتها ودينها وعاداتها ·

٢ ـ فتح المفاوضات مع الممثلين المأذونين للشعب الجزائري على قواعد الاعتراف بالسيادة الجزائرية واحدة لا تتجزأ ·

٣ ـ ايجاد جو ثقة بتحرير جميع المسجونين السياسيين الغاء جميع التدابير الاستثنائية ووقف كل مطاردة للقوات المكافحة ·

وفي مقابل ذلك :

١ ـ تحترم المصالح الفرنسية والاقتصادية ما دامت مكتسبة عن طرق عادلة ويحترم الاشخاص والعائلات ·

٢ ـ يخير جميع الفرنسيين الذين يريدون البقاء في الجزائر بين قوميتهم الاصلية ، فيعتبرون أجانب بالنسبة للقوانين الجارية ، وبين القومية الجزائرية ، فيعتبرون جزائريين في الحقوق والواجبات ·

٣ ـ تحدد العلاقات بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق يبرم بين البلدين على أساس المساواة واحترام كل جانب ·

أيها الجزائرى !

اننا ندعوك لتأمل هذا الميثاق ، ومن واجبك أن تنضم اليه لتنقذ بلادك وترد اليها حريتها . ان جبهة التحـــرير الوطنى هى جبهتك ، وسيكون انتصارها انتصارا لك .

أما نحن فاننا مصممون على مواصلة الـــكفاح ، موقنون بعواطفك المعادية للاستعمار وقد وهبنا كل ما نملكه للوطن .

تحيا جبهة التحرير الوطنى .

تحيا الجزائر حرة مستقلة ..

(أول نوفمبر عام ١٩٥٤)

* * *

وقام مجلس الثورة الوطنى : انتخب هذا المجلس ليقود الثـورة ويصبح لجنتها المركزية والسلطة العليا فيها .

وأحمد بن بيللا هو قائد الثورة ورأسها المدبر .

وهناك معه زعمـــاء آخرون مثل كريم بلقاسم ، وبوضياف ويزيد وخيضر ورابح بيطاط وآية أحمد وغيرهم كثيرون .

أحمد بن بيللا هو أول من فكر فى تحويل الثورة الســـلمية التى تتخذ من المفاوضات والمطالب السلمية أساسا لتحقيق مطالب الشعب الجزائرى الذى انضم الى هذه الاحزاب واللجان السياسية . وقد تم أيضا انتخاب ٧٢ عضوا هم مجلس الثورة الوطنى .

* * *

وهكذا بدأ الكفاح يتجه وجهة ايجابية . وضعت جبهة التحرير الوطنى المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار شخصى أو نفوذى من الاعتبارات التقريرية الزائفة : العدو الوحيد الآن هو الاستعمار .

الثورة الجزائرية الآن تسير فى الخط الثورى الصحيح . لن تقف عند تحقيق المطلب العاجل وهو الاستقلال الوطنى ، انها ستتخطاه الى ثورة شاملة ، ثورة اجتماعية واقتصادية . لن تكتفى الثـورة بتحطيم الاستعمار وأجهزته ، ولكنها ستبنى الشعب بناء معنويا وماديا .

أحدث بيان أول نوفمبر ، بداية الثورة المسلحة ، تغييرا نفســيا عميقا فى جماهير الشعب .

قد لا يشعر المرء بعمق المعانى التى ينطوى عليها يوم أول نوفمبر عام ١٩٥٤ ، فهناك ناحية ايجابية تكمن فى الكفاح الذى غير الأوضـــاع فى الجزائر . منذ هذه اللحظة بدأت الثورة من الشعب ومن أجل الشعب تجربة حية ستتجسد كل يوم وتمارسها الجماهير فى قلب المعـــركة : ويا لها من معركة مصير : موت أو حياة ، والشعب الجزائرى ممثلا فى جبهة التحرير قد اختار منذ اللحظة معركة الحياة .

استجاب الشعب منذ اليوم الاول لمنشور أول نوفمبر الذى أصدرته قيادة الثورة والذى دقت فيه ساعة العمل الثورى ودعت الجزائريين الى انتزاع حريتهم بالدماء ، وعدم الاهتمام بالكفاح يعتبر جريمة ، ومعارضته خيانة .

استجاب الشعب لهذا النداء ، ونظم صفوفه .

قررت كل الاحزاب لهذا السبب حل نفسها والانضمام الى جبهة التحرير الوطنية تحالفت القوى والاحزاب برغم تباينها فكرا وأسلوبا، بعد أن اجتذبتها ظروف النضال الجزائرى .

أصبحت جبهة التحرير الجزائرية تضم الاحزاب والجماعات المختلفة ، مجموعة الشباب الذين يؤمنون بمبدأ القتال المسلح ورئيسها أحمد بن بيللا ، ثم جماعة مصالى الحاج التى تؤمن بسياسة تطورات الظروف والحصول على الممكن ، ثم جماعة السياسيين القدامى .

الآن تبدأ مرحلة جديدة ، وعلى كل فرد أن يخوضها .

وقع الاختيار على عدد من الموظفين لتقديم استقالاتهم دفعة واحدة ، وتخلى المتعاونون مع السلطات الفرنسية عنها ، فأصبحت معزولة عزلا تاما عن الشعب .

السلطات الفرنسية تصطدم منذ هذه اللحظة بشعب وحد صفوفه ! وتتمنى لو تعرف أين يوجد هؤلاء الذين يشرفون على المعركة، وعلى هذا التنظيم الجديد .

الثورة تنتشر فى كل مكان ، كما تنتشر النار فى الهشيم حينما تذروه الرياح ، واندفعت جماهير الفلاحين الجزائريين للانضمام الى صفوف جيش التحرير .

دخلت الثورة كل مدينة وكل قرية ، بل كل بيت وكوخ . لقد أصبحت ثورة الشعب كله ، الفلاحون والعمال وكل انسان يقدم كل شىء للجيش ، المأوى والطعام وكل مساعدة ممكنة !

وبدأت الهزائم تنزل بالمستعمرين الهزيمة تلو الاخرى برغم ازدياد القوات الفرنسية الضاربة .

الحرب غير متكافئة لا فى العدد ولا فى العدة ولا فى شىء على الاطلاق !

الجنود الجزائريون يرتدون الآن الزى العسكرى ، وقد أدخلت على جيش التحرير تحسينات فنية وعسكرية بفضل التدريب وبفضل ماغنمه من ذخائر فى ميادين القتال ، وبدأ الجيش ينشىء تشكيلات عسكرية وسياسية .

واهتدى القواد الفرنسيون الى فكرة يردون بها على الوطنيين . منديس فرانس رئيس الوزراء حينئذ رأى أن يقابل القوة بالقوة ، فراح يضاعف من قواته فى الجزائر ليقضى على الثوار الجزائريين . والقواد

الفرنسيون يدفعون جنودهم الى تطويق المناطق التى أصابتها عدوى العصيان ـ هكذا يزعمون ... رأوا هذا يكفى للقضاء على حركة النضال ، وعمدوا الى السكان المدنيين من هذه المناطق ، آملين من وراء هذه العملية التوصل الى تجويع قوات جيش التحرير الوطنى والقضاء عليها .

وفشل المستعمرون الفرنسيون مرات ومرات أمام قوة الكفاح واتساع رقعته ، واقتنع هؤلاء القتلة السفاحون أنهم فى هذه المرة لا يواجهون حركة اقليمية محلية ، ولكنهم يواجهون الشعب الجزائرى بأسره .

وعدل المستعمرون خططهم !

لابد من الحرب الشاملة !

حرب تشنها القوات الفرنسية الاستعمارية على الشعب الجزائرى . ولتكن حرب ابادة مرة ثانية .

وبدأت الحرب ... استخدموا لهذا الغرض أحدث وسائل التخريب والفتك الذريع . حرب الابادة تشنها فرنسا على حسب خطط مرسومة ، وتقع على مرأى ومسمع من العالم الذى أعلن فى هيئة الامم أنه لن يسمح بارتكاب مثل هذه الجرائم فى حق الانسانية .

والقسوة والتعذيب والقاء القنابل على المدن والقرى بما فيها من نساء وأطفال ومواش . الجنود الفرنسيون يقومون بهدم المنازل واحراقها دون شفقة ولا رحمة ..

وقد ذكر هذه الوسائل عشرات الكتاب ، معظمهم من الفرنسيين أنفسهم فى الكتب التى نشروها عن الجزائر وحرب الدماء هناك .

قال أحد الجنود الفرنسيين : « هذا جميل جدا ،يجب احراق الجزائريين فى مساكنهم الحقيرة لانهم لا يفهمون الا بهذه الطريقة : »

وذكر الكاتب الفرنسى « بيار هنرى سيمون » فى كتابه « ضد التعذيب » كيف رأى ـ جنود المظلات وهم يعذبون الوطنيين الجزائريين بأبشع الوسائل لارغامهم على الكلام وذلك بوضع ماسورة فى فم الوطنى تحت ضغط الماء حتى يخرج الماء من جميع منافذ الجسم والايدى مكتوفة وراء الظهر ، ثم يعلق من راسه حتى تخرج المفاصل من مواضعها . وحين ذلك ينهال عليه جنود المظلات ضربا لا هوادة فيه ، فان لم يعترف بشىء يرضيهم ، يرتكبون عندئذ أشد الاعمال فظاعة الا وهى تسليط الكهربا على رأسه ورجليه حتى يكاد يموت ، وأخيرا يضرب بالخنجر بين الكتفين ...

وجاء فى كتاب « المجندون » لكاتب فرنسى :

« نحن الآن فى وادى الصمام بالجزائر ، وقد جىء بثلاثة من

الوطنيين الجزائريين وأمرهم الجند الفرنسيون بحفر حفرة ، ثم دفنوهم فيها الى العنق وبقيت رءوسهم معرضة لوهج الشمس . ووضعوا أمام كل منهم وعاء به ماء يبعد عن فمه نصف متر ، وقيل لهم انهم لن ينالوا شيئا الا اذا تكلموا ، فقد ظلوا على هذه الحال يومين كاملين ولم ينبس اثنان منهم ببنت شفة فأعدما وهما على تلك الحالة . أما الثالث فقال بعض كلمات فى آخر لحظة ثم أعدم أيضا على أثر ذلك »

وشهد شاهد من أهلهم !

وقال الصحفى الانجليزى « جون جبتل » : ان متوسط عدد القتلى الجزائريين فى عام ١٩٥٤ زاد على مائتى قتيل فى الشهر الواحد ، أما فى سنة ١٩٥٦ فقد وصل المتوسط الى ١٤٠٠ قتيل فى الشهر الواحد ويرتفع العدد فى الاشهر الاربعة الاولى من عام ١٩٥٧ حتى لقد وصل الى ٢٦٠٠ قتيل فى الشهر . »

وأظهر كل جزائرى ، شابا أو رجلا ، أو امرأة أو كهلا أو طفلا ، أروع أمثلة البطولة ، وكان يستشهد منهم الكثير ، فهناك عشرات الابطال، بل آلاف يموتون فى أى وقت ، هناك جلاء أحمد ، ودنيب محمد ، ومهر بن حسين والكولونيل لطفى صديق ، ورابح بيطاط . وضرب المجاهدون الجزائريون أروع الامثال فى البطولة لشعوب الارض قاطبة .

والآن .... فلنعد الى القابع فى سجنه ، يعذب هو وزملاؤه والمعتقلون جميعا ، فى انتظار المحاكمة ! .

أحمد بن بيللا يتحدى الموت

أحمد بن بيللا فى السجن بين الجدران التى تخنق أنفاسه . وبرغم ذلك فهو ينزل الرعب والفزع فى قلوب أعدائه هناك على ارض الجزائر ، بل وفى قلوب حكام فرنسا نفسها .. وكانت حيرتهم بالغة عندما فكروا كيف يحاكمون أحمد بن بيالا وزملاءه ؟ وما نوع المحكمة التى سيحاكم أمامها ؟

كانت فرنسا تتلهف للعثور عليه ، وتجند كل امكانياتها وقواتها ومخابراتها للقبض عليه ، وها هو ذا أحمد بن بيللا واربعة آخرون ، بل وآلاف المجاهدين المعتقلين بين يدى فرنسا . والعالم أجمع ، امه وشعوبه على اختلاف ألوانها تتلهف على سماع نهاية القصة قصة الخطف والقرصنة . أما فرنسا وحكامها فقد رأوا ان توجه الى أحمد بن بيللا اتهامات تقضى بمحاكمته هو وزملائه وفق المادة ٧٦ من القانون الجنائى وهى الاعدام .

وعندما كانت فرنسا تشكل المحكمة العسكرية التى ستصدر أحكامها بالاعدام على هؤلاء المجاهدين الزعماء الخمسة ، كانت لجنة التحقيق الدولية التى تشكلت بعد أن استنكرت الدول العربية والشعوب الآسيوية والافريقية العمل الاجرامى الفرنسى ، تواصل اجتماعاتها ، بعد أن تكونت من مندوبين يمثلون فرنسا ومراكش وايطاليا وبلجيكا ولبنان .

وكان من رأى مندوب فرنسا أن الحادث وقع فى منطقة المراقبة الجوية الفرنسية . وطلب مندوب مراكش الاستماع الى أقوال بعض الشهود ، مثل قائد الطائرة الفرنسى الذى ثبت تآمره مع ادارة المخابرات الفرنسية لخطف الزعماء الخمسة . وأقوال مساعديه ، وبعض الصحفيين الذين كانوا يستقلون الطائرة نفسها ولكن السلطات الفرنسية رفضت تقديم الشهود . رفضت تقديم قائد الطائرة وضابط الاتصال وبعض الفنيين ليدلوا بأقوالهم أمام لجنة التحقيق الدولية . كانت تعرف أن ظهورهم على مسرح الحوادث كفيل بكشف عملية القرصنة كاملة .

وأجرى التصويت على الاقتراح المراكشى فى أثناء اجتماع اللجنة فى جنيف . ولم يقف الا مندوب لبنان الى جانب مندوب مراكش . وكانت النتيجة هى ثلاثة أصوات ضد صوتين ، وثار مندوب مراكش ، وأعلن انسحابه من اجتماعات اللجنة ، واتهم المندوبين البلجيكى والايطالى بالتحيز الى جانب المندوب الفرنسى .

وتعطلت اجتماعات اللجنة ، وهذا كل ما كانت تسعى اليه فرنسا . كان هذا جزءا من المؤامرة ضد بن بيللا وزملائه .

ولم يندهش احمد بن بيللا عندما ما سمع أن اللجنة انتهت اجتماعاتها بهذا الفشل . الى هذا الحد يمكن ان تضيع الحقوق ، بل السكوت على الاجرام والقرصنة التى تقوم بها فرنسا . ولكنه واثق أن الحق لا يمكن أن تقهره الاباطيل ، فهو لا تهمه نفسه ، ولا يفكر فى مصيره المحتوم ، سيعدم هو وزملاؤه ، ولكن حتمية النضال فى الجزائر سوف تنتصر عما قريب .

أحمد بن بيللا يدرك جيدا امكانيات شعبه ، من القوى المعنوية ـ والارادة والتصميم على الانتصار مهما كان الثمن . انه يعرف امكانيات اخوانه الذين وصلوا الى أعلى درجات البطولة والتضحية .

وكانت قصة جميلة بوحريد مثلا من أمثلة البطولة الخالدة التى وثق احمد بن بيللا أنها تكمن فى الشعب الجزائرى جميعه . وسمع وهو فى سجنه قصة القبض عليها عندما كانت تجتاز مع اثنين من المجاهدين أحد أزقة القصبة فى مدينة الجزائر ، فتصدت لهم دورية فرنسية واطلقت عليهم الرصاص ، فأصيبت جميلة فى كتفها وسقطت على الارض ، وتمكن رفيقاها من الهرب ، ونقلها الجند الفرنسيون الى غرفة التحقيق . وبرغم جراحها بدءوا يستجوبونها . جميلة الطالبة بكلية آداب الجزائر فى السنة الاولى والتى تبلغ ٢٢ عاما ، كانت مسئولة عن الاتصالات السرية بالعاصمة الجزائرية .

وعذبت بعد ذلك تعذيبا متواصلا طيلة ١٧ يوما ، عذابا يندى جبين الانسانية لذكره ، ولم تعترف على زملائها ، ولم تفش سرا واحدا من اسرار الثورة أو من شبكات الفدائيين . وبعد هذا التعذيب قدمت الى المحاكمة .

استندت السلطات الفرنسية فى حكمها الذى لوثت به القضاء ، الى شهادة فتاة جزائرية مناضلة هي جميلة بوعزة التى عذبت حتى فقدت عقلها تحت تأثير التعذيب وفعل المخدرات التى كان يجبرها الجنود على تعاطيها ، وبرغم ذلك فانها رجعت فى شهادتها التى نسبت فيها الى جميلة انها وضعت قنبلة فى مكان ما .

وعندما طلب المحامون عرض جميلة بوعزة على طبيب مختص فى الامراض العقلية رفضت السلطات الاستعمارية طلبهم ، وكان القضاة الفرنسيون قد أحسوا بضعف الاتهام ، ـ فزعموا أن جميلة بوحريد اعترفت ، وانكرت جميلة هذا الزعم وطلب محاميها الاطلاع على نص الاعتراف وعرضوا عليه نسخة لا تحمل توقيعها ، ولما طلب الاطلاع على الاصل الذى يحمل توقيعها لم يجب الى طلبه . وانكرت جميلة أن يكون ذلك توقيعها وطالبت بتحقيق علمي لخطها وخط الامضاء على نسخة الاصل التى ظهرت يوم المحاكمة فقط ، ولكن السلطات الاستعمارية رفضت طلبها .

وسجل محاميا جميلة بوحريد الفرنسيان : «جورج أرنو» «وجاك فرجي » هذه الوقائع فى كتيب صغير أصدراه عام ١٩٥٧ ، حيث قال ارنو فى خاتمة هذا الكتاب :

« يجب الا تموت جميلة بوحريد كبرى اخواتها الخمسة جميلة التى تنتمى الى عائلة متواضعة ، وقد سبق لجنود المظلات أن قتلوا عمها الذى عرفها بجبهة التحرير الوطنى .

وقد كان ياسف السعدى قائد الفدائيين فى العاصمة يفضلها على الجميع لانها كانت مثال الشجاعة والاخلاص . »

وسمع بن بيللا الكلمات التى نطقت بها جميلة بوحريد وهى فى قاعة المحكمة ، هذه الكلمات التى الهبت بها كبرياء الاستعمار الفرنسى وجعلت أقسى القلوب فى العالم ينحنى اجلالا واحتراما للرمز الكبير ، والاسطورة الخالدة ، قالت جميلة : « أيها السادة ... كنت أعلم أنكم ستحكمون على بالاعدام لان أولئك الذين تخدمونهم يتشوقون لرؤية الدماء ... ومع ذلك فأنا بريئة ... والحقيقة كل الحقيقة اننى أحب بلدى، وأريد الحرية ... ولهذا أؤيد كفاح جبهة التحرير الوطنى ... ولكنكم اذ تقتلوننا لا تنسوا أنكم بهذه المؤامرةالدنيئة انما تلطخون شرف بلادكم ، ولاتنسوا أنكم لن تنجحوا أبدا فى منع الجزائر من الحصول على استقلالها ! »

وصرخ المحامى الفرنسى فيرجيس باعلى صوته فى وجه القاضى الفرنسى رواتار وقال : « ماهذا ؟ هل نواجه هنا محكمة عسكرية ، أو اجتماعا للقتل ؟ ».

وحرم على المحامى الفرنسى بعد هذا التصريح الخطير ان يترافع عن جميلة . وانتهت المحاكمة الصورية بالحكم باعدام جميلة .

وكان أحمد بن بيللا من وراء القضبان يتابع قضية بلاده فى هيئة الامم المتحدة فى نيويورك هناك على بعد آلاف الاميال من سجنه فى فرنسا .

كان ابراز القضية الجزائرية الى المسرح العالمى يشغل باله . جرت المداولات امام اللجنة السياسية التابعة للامم المتحدة فى فبراير ١٩٥٧ حول مشروع آخر فقد تقدمت بعض الدول الآسيوية الافريقية بمشروع ينص على : « الاعتراف بحق الشعب الجزائرى فى تقرير المصير ، على حسب مبادىء الأمم المتحدة ـ ودعوة فرنسا والشعب الجزائرى للدخول حالا فى مفاوضات ـ ومطالبة السكرتير العام بمساعدة الاطراف المعنية فى اجراء هذه المفاوضات وبتقديم تقرير بهذا الشأن فى دورة الجمعية القادمة . »

ثم تقدمت الولايات المتحدة تساند أغلبية من وفود أمريكا اللاتينية بمشروع آخر هو عبارة عن لائحة اجراء بسيطة تعبر عن الأمل فى ايجاد حل ديمقراطى للنزاع .

وقد حرر فيما بعد نص لائحة افرو آسيوية ثانية اكثر اعتدالا قصد بها كسب أكبر عدد من الاصوات ، وكانت تنادى بمبدأ « مفاوضات بقصد الوصول الى حل سلمى » .

وصادقت اللجنة السياسية فى النهاية على كل من :

المشروع الذى تقدمت به وفود أمريكا اللاتينية . والذى حصل على ٣٨ صوتا مقابل ٣١ وامتناع ٣ عن التصويت .

والمشروع الآسيوى الافريقى المعتدل بالاغلبية البسيطة ٣٧ صوتا وتقدمت به الفيليبين وتايلاند واليابان . ولنأخذ صورة أكثر وضوحا للموقف الدولى بالنسبة للجزائر ومدى الاثر الذى تركته فى هذا العالم .

صوت ضد فرنسا كل من اليونان ويوغوسلافيا وتركيا والاكوادور . وامتنعت بوليفيا عن التصويت .

أما فرنسا فقد ساندت وجهة نظرها الاستعمارية احدى عشرة دولة فى الحلف الاطلنطى ، كما ساندت بعض دول أمريكا اللاتينيه وجهة النظر الفرنسية .

وقد وعد جى موليه الذى رأس الحكومة الفرنسية الجديدة منافقا ومخادعا بعد انتخابات يناير عام ١٩٥٦ باجراء مفاوضات بعد وقف اطلاق النار واجراء انتخابات حرة .

وصادقت الجمعية العامة بعد ذلك بالاجماع (٧٧ صوتا) على اللائحة التى كانت أوفق لفرنسا وهى لائحة جماعة أمريكا اللاتينية .

نعم هكذا أوصى مجلس الامن هذه المرة بتسجيل القضية دون

مناقشاتها يوم ١٥ من نوفمبر عام ١٩٥٦ ، وذلك بعد أن رفض مجلس الامن طلب مناقشة القضية الجزائرية بأغلبية سبعة أصوات مقابل صوتين وهما أيران وروسيا . وامتنعت الصين الوطنية ويوغوسلافيا عن التصويت .

وشعر أحمد بن بيللا كما شعر كل مناضل جزائرى بشىء من الحنق والسخط والغضب : فرنسا الباغية وخلفها العالم المتحضر لا يريد أن يعترف بحق الشعب الجزائرى فى تقرير مصيره . هذا أمر واضح لاجدال فيه .

ما زالت بعض دول العالم تصدق ما ادعته فرنسا فى عام ١٩٥٥ عندما انسحب الوفد الفرنسى من الجمعية بصورة ملفتة للانظار ، معربا عن احتجاجه ضد ما يسميه « تدخل لا يغتفر فى شئون فرنسا الداخلية » .

وبحثت بعض الوفود عن صيغة لبقة لدفع الوفد الفرنسى الى تغيير موقفه واحتلال مقاعده من جديد فى المجلس .

وهكذا قدمت لائحة هندية على أن الجمعية العامة لن تناقش القضية الجزائرية وان القضية لهذا السبب لم تعد من مشمولات أنظارها .

وقدمت الشيلى والاكوادور وكوبا مشروع قرار بالغاء القضية من جدول الاعمال .

واعتمدت اللجنة السياسية في النهاية اللائحة الهندية التى صادقت عليها اثر ذلك الجمعية العامة للامم المتحدة بالاجماع دون مناقشة .

وهكذا انخذل قرار المجموعة الافرو آسيوية التى استندت الى توصيات مؤتمر باندونج الذى كان اول وأخطر مظهر عبرت فيه الشعوب الملونة على تضامنها فى سبيل تحرير الشعوب التابعة. قرار هذه المجموعة بعرض القضية الجزائرية فى جدول أعمال الدورة العاشرة للجمعية العامة للامم المتحدة تنتهى الى لا شىء !

وتعجب بن بيللا الذى قرأ مشكلات العالم أجمع وقضاياه الكبرى ، والذى درس قصص الشعوب المكافحة وقصة الاستعمار فى العالم أجمع

الا تدرك هذه الدول التى وافقت مع فرنسا أن مناقشة القضية الجزائرية أمام الجمعية العامة تدخل فى شئونها الداخلية ، بأن هذا الشعب الجزائرى العريق المناضل كان شعبا مستقلا له حضارته وتاريخه وله دوره فى العلاقات الدولية !

ولنعد الى الوراء قليلا ، أو كثيرا ، منذ ان كانت الجزائر دولة عربية ناهضة ، دولة غنية تقرض فرنسا ملايين الفرنكات . قصة البغى والعدوان من جانب فرنسا على الجزائر . قصة كفاح الابطال فى الجزائر ، وحركة التحرر التى لم تهدأ منذ وطئتها اقدام المستعمرين ؛ هذه القصة طويلة وشرح أمجادها يطول ، ولكننا سنحاول ايجازها لنعرف مدى كذب فرنسا وافترائها عندما تدعى أن الجزائر لم تكن دولة فى يوم من الايام وانها الآن ولاية فرنسية عبر البحر المتوسط .

* * *

كانت الجزائر حتى عام ١٨٣٠ م ــ دولة ذات سيادة واضحة المعالم والحدود ، لها حياتها القومية والدولية المعترف بها ، وكانت الجزائر أيضا خلال قرون مضت قوة فى حوض البحر المتوسط . وتقع الجزائر فى قلب أفريقية الشمالية ، وتؤلف مع بقية العالم العربى وحدة متجانسة ، وقد كان لها علاقات ودية وتجارية واقتصادية مع دول البحر المتوسط ، وبعض الدول الاخرى التى تبعد عنها كثيرا كالولايات المتحدة الامريكية مثلا .

وكانت دولة الجزائر قد وقعت معاهدات كثيرة مع بريطانيا ، وأسبانيا ، وهولندا والدانمارك ، والبرتغال . .

وعلى وجه الخصوص سنستقصى الحقيقية عن العلاقات عموما التى قامت بين دولتى الجزائر وفرنسا منذ عصر امبراطورية نابليون بونابرت التى ترامت اطرافها فى ربوع أوربا .

اتجهت اطماع فرنسا الى شمالى افريقية بصورة عامة بعد فقد مستعمراتها فى كندا والهند ، وفشل حملتها على مصر سنة ١٧٩٨ التى

قام بها نابليون بونابرت ، وتألب دول أوربا عليها بعد هزيمة نابليون فى موقعة « واترلوا » سنة ١٨١٥ ، فجاءت قرارات مؤتمر فيينا فى السنة نفسها لتسد عليها الطريق فى أوربا ، فلم تجد فرنسا أخصب من شمالى افريقية ميدانا لتحقيق مطامعها الاستعمارية .

أما بالنسبة للوضع فى الجزائر ، فانها ظلت دولة قوية تدور فى فلك الدولة العثمانية ، مثلها كمثل بقية الدول العربية فى ذلك الوقت . ولكن حينما دب الضعف والفساد فى كيان الدولة العثمانية منذ نهاية القرن السابع عشر فمن ثم تأثرت الدول العربية الخاضعة لها ، وكان من أهم عوامل تفكك اوصال الامبراطورية العثمانية هو ازدياد نفوذ « الانكشارية » وسيطرتهم على شئون الدولة فى الداخل والخارج . ولذلك رأينا اضطراب الامور فى الجزائر ، وسيطر على الحكم فيها فرق الجند الانكشارية وبسطوا نفوذهم على الوالى العثمانى نفسه ، ثم اختاروا من بينهم حاكما يلقب « بالداى » أصبح الحاكم المطلق فى شئون البلاد ، وأصبحت سيادة العثمانيين سيادة اسمية ، وابان حكم «دايات» الانكشارية نشطت أعمال القرصنة حتى أرهبوا السفن والتجارة المارة قرب سواحلهم ، وضجت دول أوربا لغزواتهم واغاراتهم ــ ولكن الداى كان يحمى القرصنة لانها اصبحت موردا ماليا رئيسيا للجزائر . وحاول الأوربيون عبثا وبخاصة فرنسا ايقاف عمليات القرصنة وفشلت مساعيهم لدى حكام الجزائر .

وكانت الجزائر تتمتع بالاستقلال الذاتى فى ظل الحكم العثمانى منذ أوائل القرن السادس عشر ، وكانت دولة ذات علاقات سياسية واقتصادية على وجه الخصوص مع فرنسا . فقد وقعت فرنسا منذ عام ١٦١٩ نحو سبع وخمسين معاهدة صداقة وتحالف مع الحكومة الجزائرية حتى عام ١٨٣٠ ميلادية .

وعندما قامت الحرب بين فرنسا فى عهد الملك « فرنسوا الاول » فى القرن السادس عشر وبين أسبانيا فى عهد الملك « شارل الخامس » طلبت فرنسا من الحكومة الجزائرية أن تقف بجانبها وتساعدها فى الدفاع عن « ساحل بروفانس » وبناء على هذه المعاهدات المبرمة بين البلدين وقفت الحكومة الجزائرية مع فرنسا فى الدفاع عن ساحل بروفانس وتحرير مرسيليا من الأسبان فى عهد « هنرى الرابع » ملك فرنسا حينما استولت عليها أسبانيا .

وللجزائر أياد بيضاء على الثورة الفرنسية فى أولى أيامها ، فقد استطاعت الجزائر أن تحطم الحصار المفروض عليها ، وتزودها بالقمح وتمدها بالمال . وقامت الجزائر بمثل هذا العمل ايفاء بنصوص المعاهدات المبرمة ، كما اعتبرت مبادىء الثورة الفرنسية الاولى عام ١٧٨٩م فى فرنسا مبادىء تدين بها .

وكانت فرنسا فى الثلاثينات الاولى من القرن التاسع عشر تمر بمحنة ، وتضرب الدول الاوربية حول الشعب الفرنسى حصارا اقتصاديا قاسيا . كما بلغت ديون فرنسا للجزائر ما يزيد على ستة مليارات من

الفرنكات : حدث ذلك فى عهد حاكم الجزائر الداى « على بن أحمد » وفى عهد خلفه الداى « حسين بن حسن » .

ولما استقرت الامور فى فرنسا ، بعد الاضطرابات والافلاس ، عمد الداى الى المطالبة بدينه . وتلكأت فرنسا فى الدفع ، بل جعلت تفكر فى التخلص من التزاماتها والتهرب من تسديد ديونها حتى ولو اضطرت الى استخدام القوة !

وأتيحت لفرنسا الفرصة الملائمة . فقد لبت الجزائر نداء الدولة العثمانية فى حربها مع روسيا وانجلترا وفرنسا ، ابان ثورة اليونان فى سنة ١٨٢٧ — وكان الاسطول الجزائرى من بين الاساطيل التى تحطمت فى معركة « نفارين » البحرية . وفى الوقت نفسه كانت فرنسا تقف بالمرصاد للجزائر ، كانت ترقب الفرص لاحتلالها ، وتذرعت بشتى الوسائل والسبل للاحتكاك بالجزائريين . ومهدت لذلك الاسباب وعمد قنصل فرنسا الى اصطناع خلاف مع الداى « حسين بن حسن » وتصادف أن حدث — فى أثناء مناقشة بين الداى — والقنصل الفرنسى « مسيو ديفال » عام ١٨٢٧ — بشأن تعويض يهوديين فرنسيين عن صفقة مالية — ان احتدم الجدال ، وغضب الداى ، فلوح بمذبته فى وجه القنصل ، ولامست المذبة وجه الرجل ، وفقدت حكومة فرنسا أعصابها ، وعدت ذلك العمل اهانة لاتغتفر موجهة اليها فى شخص ممثلها . وثارت ثائرة الفرنسيين ، وسعت فرنسا الى اتخاذ هذا الحادث البسيط ذريعة لاحتلال الجزائر وتأديبها !

وكانت لفرنسا أغراض عميقة ، اذ أنها تريد أن تتهرب من دفع ديونها للجزائر ، وتستولى على الاموال الطائلة التى قال لها جواسيسها انها مكدسة فى خزائن الداى بمدينة الجزائر . لم يكن هذا فحسب بل الاستيلاء على الجزائر وتحويلها الى مستعمرة تستأثر بخيراتها ، وتعوضها عن مستعمراتها المفقودة فى كندا والهند .

انها خطة استعمارية — رسمت بامعان تام على أساس تنفيذ أغراضها الاستعمارية فى شمالى افريقية — وعلى أساس أن تصيب ثلاثة أهداف فى وقت واحد : التخلص من الدين ، وملء خزينة فرنسا بأموال الجزائر — والاستيلاء على بلد مترامى الاطراف كثير الموارد — فى قلب شمالى افريقية .

وقام « شارل العاشر » سنة ١٨٢٧ م . بارسال اسطول فرنسى لتأديب الداى الجزائرى ، وقامت بعض السفن بمحاصرة مدينة الجزائر . ولكنها لم تجرؤ على النزول بالبلاد ، والتوغل فيها ، وقد فشلت هذه الحملة بعد عامين من محاصرة مدينة الجزائر التى تقع على ساحل البحر المتوسط . واضطرت الحملة ان ترفع الحصار وتعود الى فرنسا مكللة بالخزى والعار والفشل فى مهمتها نتيجة لمقاومة الشعب الجزائرى ووقوفه فى وجه حملة فرنسا .

ولاحت — فى الافق — فرصة اخرى لفرنسا حينما أطاحت الرياح عام ١٨٢٩ م بسفينة فرنسية الى الساحل الجزائرى فى منطقة محرمة ،

فاطلق عليها الجزائريون النار وأدت هذه الحادثة الى ثورة الشعب الفرنسى ومطالبة الحكومة بالقيام بعمل ايجابى ·

وعلى أثر ذلك قررت فرنسا غزو الجزائر فى شهر مايو سنة ١٨٣٠ ورحل أسطولها من ميناء « طولون » سربا بعد آخر فى طريق العدوان . وقد خلا البحر المتوسط من أسطول جزائرى يرد ذلك الغزو الذى لم يكن أحد يتوقعه · وفى الرابع عشر من شهر يونيو نزلت طلائع الجيش الفرنسى فى ميناء « سيدى فرج » على بعد أربعة وعشرين كيلو متر من — الجزائر — العاصمة واتخذه القائد العام الجنرال « بورمون » وزميله الاميرال « دوبيرى » قاعدة للعمليات الحربية التى جهزت لها فرنسا ثلاثين الفا من جنودها .

وباغت الفرنسيون العاصمة — الجزائر — وحاصروها من ناحية البر بأسلحتهم الثقيلة ، وصمد الجيش الجزائرى بالرغم من المفاجأة ، وهرع السكان أيضا الى صد الغزاة بما توافر لهم من سلاح وعتاد · وحتى النساء لحقن بالرجال يحملن لهم الذخيرة ويتولين اعداد الطعام ويضاعفن حماستهم بالاهازيج الوطنية ·

وتوالت المعارك خلال ثلاثة أسابيع كاملة ، تكبد فيها المعتدون خسائر فادحة ولم يتمكنوا من السيطرة على مدينة الجزائر — عاصمة البلاد — الا فى اليوم الخامس من شهر يوليو من ذلك العام ١٨٣٠ م ·

وتابع الفرنسيون توغلهم فى الاراضى الجزائرية حتى وصلوا الى مداخل « القصبة » مركز الدفاع الرئيسى ، ولكن حامية الحصن الكبير المشرف على المدينة ظلت تواصل القتال من وراء الاسوار العالية والابراج المنيعة .

لم يكن عدد المدافعين عن الحصن يزيد على ألفين من المقاتلين ، على حين كان يحاصر الحصن — عشرة آلاف من جنود « بورمون » الفرنسى وطاف فى ذلك الوقت العصيب قائد الحامية « الخزنجى » وهو وزير المالية الجزائرية ، على جنوده فى مراكز دفاعهم — وأقسموا بين يديه على مواصلة الدفاع بقدر ماتسمح به طاقتهم البشرية .. سيدافعون حتى آخر قطرة من دمائهم — وامتد الحصار أسبوعا كاملا

كلما فتحت مدفعية العدو ثغرة فى الاسوار ، كان جنود الحامية الباسلة يسارعون الى سدها بالحجارة وأحيانا بجثث القتلى من رفاقهم ·· تضحيات رائعة فى كل ساعة ، وبطولات وشهداء يتساقطون واحدا بعد واحد — حتى لم يبق غير بضع عشرات من الرجال ، أنهكهم التعب ، ونال منهم الحرمان كل منال ، ومن حولهم خرائب وأطلال .

واحتل الفرنسيون عاصمة الجزائر — ونهبوا القصبة ، ووضعوا أيديهم على خزائن الحكومة الجزائرية المملوءة ذهبا وفضة وحجارة كريمة غالية الثمن ، ونقلوا ذلك الكنز الهائل الى بلادهم حيث تلقاه ملك فرنسا شارل العاشر ورجال حكومته بمظاهر الفرح والابتهاج . بلغ قيمة مادخل خزينة فرنسا بعملية السطو هذه ثمانية عشر مليارا من الفرنكات ..

ولما اضاف الملك والمسئولون عن الحرب ثمار السطو الى قيمة الدين الذى تخلصوا منه وهو - ستة مليارات من الفرنكات ، وجدوا أنهم استرجعوا نفقات الحملة لغزو الجزائر ، بل وربحوا مبلغا كبيرا : ربحوا أربعة وعشرين مليارا من الفرنكات ، أقر الملك أن يستعان بها لسد العجز فى الميزانية وانقاذ فرنسا من الافلاس .

عندما سمع احمد بن بيللا وهو تلميذ صغير هذه القصة غلى الدم فى عروقه . لقد عرف قصة الجريمة التى ارتكبتها فرنسا فى حق بلاده، وحق أجداده وآبائه الذين استشهدوا منذ مقدم هؤلاء السفاحين الى اللحظة الحاضرة ، ورأى محمد احمد بن بيللا التلميذ النابه الذى لا يتكلم الا اذا سئل ، رأى أنه من غير المعقول أن تحتل فرنسا بلاده انتقاما لكبرياء زائف وكرامة مفقودة ، ومن الداى حسين الذى لوح بمذبته فى وجه القنصل الفرنسى ، لم يصدق أن فرنسا تسرع الى احتلال الجزائر وانزال الخراب والدمار فى كل بقعة فيها ، واتباع سياسة ابادة كاملة لاهلها الذين هبوا يدفعون شرا جثم على صدورهم ، وغريبا جاء ليدنس أرضهم ، كل هذا ردا للاهانة التى لحقت بها ، بل وتكلف نفسها مائة مليون فرنك ، وتعرض حياة أربعين الفا من الجنود والضباط للموت ثأرا لكرامتها ؟

أحمد بن بيلا يطالع تاريخ بلاده ويقف مشدوها أمام تلك الحقائق، وأمام تلك المزاعم والأباطيل التى تسوقها فرنسا لتبرر احتلالها لدولة الجزائر . فقد قال شارل العاشر ملك فرنسا فى ذلك الحين ، انه لم يراع فى الاستيلاء على الجزائر سوى اعتبارات الكرامة الفرنسية ولكنه هو نفسه ينفى ماقال فى تصريح آخر له عندما اعترف بالحقيقة التى لا يمكن أن ينكرها التاريخ : انه ينوى انشاء مستعمرة هامة فى قلب شمالى أفريقية .

وقال رؤساء فرنسا أنه أصبح من العسير على فرنسا أن تتراجع بعد أن فتحت الجزائر فتحا باركته المسيحية ودولها . وراحوا يزعمون مزاعم أخرى بأن قالوا : انهم أنقذوا الجزائر بغزوها من الوقوع فى براثن غزاة آخرين .

عرف محمد أحمد بن بيللا كل مزاعم فرنسا ، وعرف حقيقة الاوضاع فى بلاده . والكراهية تملأ قلبه للذين مزقوا أوصال بلاده . . وعرف لماذا يصر مدرس التاريخ الفرنسى على أن يذكر لهم فى المدرسة أن الجزائر ولاية فرنسية ، وتمنى لو يستطيع أو يفعل شيئا ، ولكنه أصغر من أن يفعل شيئا ، فليس المهم ان يعمل ، ولكن المهم أن يكون لعمله قيمة بالغة ، ويساعد فى تحرير بلاده من المغتصبين الفرنسيين .

وقص التلميذ الصغير على بعض زملائه قصة احتلال الجزائر والمقاومة البطولية التى استشهد فيها آلاف وآلاف . واندهش التلاميذ أن يحيط زميلهم احمد بن بيللا علما بكل هذه المعلومات والتفاصيل ، واستمعوا اليه فى صمت وهو يسرد لهم ثورة الامير عبد القادر الجزائرى الذى دوخ فرنسا .

ورجع تلميذ صغير من هؤلاء الى منزله ، وجلس مع جده المعمر وطلب منه أن يسرد له قصة كفاح الزعيم عبد القادر بعد أن ظن الفرنسيون أن الامر قد استتب لهم فى الجزائر ، ولكن سرعان ماخاب ظنهم .

عندما دخل الفرنسيون العاصمة ظنوا ان الامر قد استتب لهم، ولكن سرعان ماتبدد أملهم وخاب ، لانهم فى الواقع لم يستولوا الا على العاصمة والساحل فقط . أما الاقاليم الجنوبية فى الداخل فقد واصلت الجهاد والكفاح ضد هؤلاء الغزاة وتزعم حركة المقاومة هذه الامير عبد القادر الجزائرى الذى كان يبلغ من العمر أربعة وعشرين عاما ، واستطاع أن يوحد الصفوف وقادهم فى جهادهم الرائع .

وتمكن الامير عبد القادر بن محيى الدين ان يدوخ أكبر جيش أوربى فى ذلك الوقت ، طيلة خمسة عشر عاما من الكفاح المتواصل ، وكان هذا الشاب يمتاز بمتانة الخلق ، وارادته القوية وصبره الذى لا ينفد . وكانت له شخصية قوية بين مواطنيه ، حتى أن قواد فرنسا أعترفوا بقولهم : أنه استطاع دائما الافلات من ضرباتنا ، وقد بعث فينا اليأس وقلب خططنا رأسا على عقب ، فبعد أن كنا نطارده هو نفسه ، أصبحنا نعمل فقط على منع القبائل من الانضمام اليه حتى لا تقوى جبهته ضدنا

وقد استطاع الامير عبد القادر ان يبعث الفزع والرعب فى قلب عدوه الجنرال « ديميشيل » الفرنسى ، وان يسيطر عليه اليأس . فآثر القائد الاستعمارى أن يعقد معه فى ٢٦ من فبراير عام ١٨٣٤ معاهدة اعترف له فيها بالامارة وبقدر من السيادة لم تحدد معالمه بالضبط . وزاد هذا الاتفاق من شأن الامير عبد القادر فى البلاد . ويشاء القدر أن يتم ديميشيل عقد هذه المعاهدة قبيل أن تصله تعليمات من فرنسا بعدم الاعتراف بأى شىء لعبد القادر بل يجب أن يعترف هذا الثائر بسيادة فرنسا كاملة مقابل أن يعين هو « داى » على بعض القبائل ، ويحصل من فرنسا على نصيب معين من المال .

وعرفت فرنسا ان الاتفاق قد تم فعلا . وارادت ان تجعل منه وسيلة لضم الامير عبد القادر تحت جناحها ، وجعله مواليا وصنيعة لها

ودامت المقاومة الوطنية والمساومة الفرنسية عاما ونصف عام مرت فيها الجزائر بفوضى عمت البلاد وهزت كيانها ، واستطاعت فرنسا استغلال الموقف للتوسع فى الفتوحات داخل البلاد .

وظل الامير عبد القادر شوكة دامية فى قلب الاستعمار ونهض الزعيم لينقض على فرنسا كالصقر ، وكان يكتسب النصر بعد النصر ، ويستعيد اجزاء من ارض بلاده ، لدرجة أحست فيها فرنسا بضعفها امام قوته التى تمثلت فى المقاومة الشعبية التى وحد صفوفها .

وقام القائد الفرنسى بمناورة جديدة يرد بها الاعتبار الى فرنسا وقوات الاحتلال فى أرض الجزائر ، فاصدر أوامره الى قواته العسكرية بالتحرك من مدينة قسنطينة الى مكان آخر ، وتحركت القوات بالفعل

الى المنطقة المسماة « بالابواب الحديدية » وكانت هذه المنطقة داخلة تحت امرة عبد القادر الجزائرى بمقتضى نصوص المعاهدة المبرمة مع الحاكم العام عام ١٨٣٤م ، وقامت القوات الفرنسية بمهاجمة المنطقة على حين غرة ، فما كان من الامير عبد القادر الا أن شن الحرب ضد قوات الاحتلال . واشرع بالفعل فى غزو منطقة « متيجة » . وازاء هذا الموقف الراهن فى الجزائر رأت فرنسا عام ١٨٤١ العمل على احتلال البلاد احتلالا كليا .

وقال الحاكم العام الفرنسى حينئذ فى خطاب وجهه الى ابناء قومه فى الجزائر : « يجب أن يخفق العلم الفرنسى على أرض الجزائر ، واعدكم اننى ساكون استعماريا نشيطا . »

وازاء هذه السياسة الفرنسية الجديدة اعلن الجنرال بوجوالحاكم العام الفرنسى أن جميع مصالح الجزائريين تتمثل فى زراعتهم ، لذلك يجب الاستيلاء على حقولهم .

وبدأت فرنسا من جديد ترتكب أبشع انواع الجرائم البشريةالتى سجلها التاريخ يوما بعد يوم متنكرة لمبادىء ثورتها عام ١٧٨٩ ، ثورة المبادىء الثلاثيه الحرية والاخاء والمساواة التى تشدقت بها بلاد الحرية الزائفة والاخاء الكاذب والمساواة التى لا تمت للمساواة بصلة .

وقد اشمأز من هذه الجرائم التى تذهل قساة القلوب بعض الذين شاركوا فيها او امروا بتنفيذها مثل القائد الفرنسى الكونت«هيريسيون» الذى قال : « فظائع لا مثيل لها ! اوامر بالشنق تصدر من نفوس كالصخر يقوم بتنفيذها جلادون قلوبهم كالصخر ، بالرمى بالرصاص أحيانا وباستعمال المقصلة أحيانا أخرى ، فى أناس مساكين كل ذنبهم انهم لا يستطيعون ارشادنا الى ما نطلب اليهم أن يرشدونا اليه ، أو نتيجة لالتفافهم حول زعيمهم عبد القادر الجزائرى » .

ويقول الجنرال شان جارنييه : « ان رجاله وجدوا التسلية فى جزر رقاب المواطنين من رجال القبائل الثائرة . »

وعبثت فرنسا على أرض الجزائر بكل شىء حتى العقائد حتى الدين الاسلامى . فقد أصدر القائد « روفيجو » لاعوانه أمرا بأن يحولوا أجمل جوامع الجزائر الى كنيسة وفى ظهر يوم ١٨ من ديسمبر عام ١٩٣٢ تحركت احدى بطاريات الجيش الفرنسى ، وخرجت فرقة من سلاح المهندسين ، فهاجمت أبواب المسجد وفتحته بالقوة ، واذا بداخله أربعة آلاف مسلم اعتصموا ببيت الله ، فاندفع نحوهم الجنود الفرنسيون ، وحاصرتهم بالسناكى ، وأطلقت عليهم وابلا من الرصاص ، فخروا صرعى ولم يطلع الصباح حتى كان المسجد قد تحول الى « كاتدرائية الجزائر » .

وفى أعقاب الفترة التى تلت اعلان الحرب من جانب الامير عبد القادر وقاسى فيها الجزائريون شتى الوان العذاب والبؤس ، قام الجزائريون بأعمال انتقامية يشفون بها غليلهم . كانوا ينقضون علىجماعات العساكر الفرنسية ويذبحونهم .

وتلفت الحاكم الفرنسى (بوجوم) حوله فرأى الطريق أمامه طويلا ووعرا ، ولكن سرعان ماعاوده الأمل من جديد بعد أن استولى فى عامى ١٨٤١ و ١٨٤٢ على مواقع عبد القادر المنيعة ، بعد أن قوى تحصيناته جنوبى منطقة « التل » وعلى المرتفعات والهضاب ، عاوده الأمل فى احراز النصر على عبد القادر الجزائرى ٠

ولكن الأمير الجزائرى استطاع أن يقنع سلطان مراكش بالوقوف معه ، للعمل على تحرير أرض الجزائر لان احتلال الجزائر - قلب شمالى أفريقية - معناه احتلال المنطقة كلها فيما بعد اذا استتب الامر لفرنسا ٠

وأجبر الفرنسيون سلطان مراكش عن التخلى عن مؤازرة عبد القادر الجزائرى بأن شن الفرنسيون غارة على طنجة ومغادور فى أغسطس عام ١٨٤٤ بالقنابل ، وعقدوا معه معاهدة فى ١٠ من ديسمبر من العام نفسه واضطر سلطان مراكش الى التراجع عن مساندة الجزائريين ٠ وبرغم ذلك استطاع الامير عبد القادر أن يحرز عدة انتصارات على الفرنسيين حينما انقض الثوار بقيادته فى جبل « الظهرة » وجبل « أرسنيس » عام ١٨٤٥ مما اضطر الفرنسيون معه الى تعبئة ١٠٨ آلاف من الجند لمقاومة عبد القادر ومحاولة القضاء عليه هو وأعوانه ٠

واكتسح « بوجو » فى عام ١٨٤٧ حصن أزرو فى منطقة القبائل ذلك الحصن المنيع الذى فشل فى الاستيلاء عليه - وغضبت فرنسا فاستدعت ذلك القائد فى شهر يونيو عام ١٨٤٧ ليعين مكانه الدوق « دومال » ٠٠

وقد نال الجهد والتعب من الأمير عبد القادر ، فعاد الى الاحتماء بسلطان مراكش وأخذت حالته تسوء وتتدهور ، اذ بدأت القبائل التى كانت تحت قيادته تتوق الى السلم فى الوقت الذى تنكر السلطان له ٠ فما كان منه الا أن عاد الى وطنه أرض الجزائر وأخذ يستحث همم القبائل لمواصلة القتال ، الى أن جاء اليوم المشئوم عندما ألقت فرنسا القبض عليه فى ٢٣ من ديسمبر عام ١٩٤٧ ٠

وظل الأمير المجاهد معتقلا فى مدينة « بو » ثم نقل الى « امبواز » وظل بها حتى عام ١٨٥٢ وفى نهاية المطاف نفى الى خارج بلاده ، واختار سورية منفى له ، فظل فى دمشق حتى توفى بها عام ١٨٨٣ ٠

***

وبدأت فرنسا بعد ذلك تنفذ سياسة نزع الاراضى الزراعية من أصحابها الجزائريين فقد صدر فى أكتوبر عام١٨٤٤ قرار يقضى بمصادرة أراضى الأسرة المالكة أسرة الداى حسين ، وفى ٣١ من مايو عام ١٨٤٦ صدر قرار بمصادرة الاراضى التى تقيم فيها القبائل الرحالة مما اضطرهم الى العمل كأجراء فى أرضهم ٠ ثم استولت بعد ذلك على ٢٠٠ ألف هكتار من الغابات و ٦١ ألف هكتار من أراضى العرش ٠

وأرسلت الحكومة الفرنسية الى الجزائر نحو ٤٠ ألفا من الفرنسيين اللقطاء والضالين والمجرمين ليستوطنوا الجزائر وامدتهم بالمال ، واقطعتهم

مساحات واسعة من الاراضي الزراعية • وجاءت موجات أخرى من هؤلاء الأفاقين والمجرمين الى الجزائر ليستوطنوها •

وجاءت الحرب السبعينية بين فرنسا والمانيا حيث هزمت فرنسا فأرادت أن تنسى الشعب هزيمتها ، وسارعت بانقاذ سمعتها ورأت أن تعوض خسائرها لفقدها الالزاس واللورين ، فبدأت تعتبر الجزائر اقليما فرنسيا وأصبحت الجزائر تعتبر جزءا من الكيان السياسي لفرنسا ، فلم تتبعها لوزارة المستعمرات بل أتبعتها لوزارة الداخلية شأنها في ذلك شأن أية مقاطعة في فرنسا •

ورأت فرنسا أن تقسم الجزائر على أساس اداري الى ولايات ثلاث هي وهران والجزائر وقسنطينة وجعلت لكل ولاية ممثلا في مجلس الشيوخ وآخر في مجلس النواب في باريس •

انتهجت فرنسا هذه السياسة وسارت فيها الى أشواط بعيدة • انتهجت سياسة الاستعمار الاستيطاني في الجزائر • بل وفرنسة الشعب الجزائري العربي • وكان هذا أبغض أنواع الاستعمار الذي عرفته شعوب آسيا وافريقية •

وبدأت فرنسا من جديد تجلي السكان الوطنيين عن أراضيهم ليحل محلهم فرنسيون مستعمرون • ونفذت في اقليم التل أبشع الجرائم فلقد لجأت فرنسا الى اجبار الجزائريين الوطنيين من الفلاحين على الرحيل عن أراضيهم ، تحت سياسة الضغط والتهديد وفرض الضرائب الباهظة دون مبرر وتوالت عمليات ترحيل الفلاحين الفرنسيين على حسب خطة مرسومة باحكام وعلى نطاق واسع •

وبلغ عدد الفلاحين الفرنسيين في الجزائر ٣٠٠ ألف نسمة وقامت الحكومة الفرنسية ببناء ٨٠٠ قرية . وبلغت مساحة الاراضي التي اغتصبتها السلطات الاستعمارية من المواطنين خمسة ملايين فدان •

واتجهت فرنسا الى سياسة زراعة الكروم بأرض الجزائر بعد نجاح زراعته في سهل « ميتيجة » على أثر الوباء الذي أصاب حقوله في فرنسا عام ١٨٧٨ وبدأ انتاج النبيذ في الجزائر برغم أنه لن يستغل محليا لان سكان الجزائر مسلمون لا يشربون الخمر • ورسخت صناعة النبيذ هناك وكان لسياسة تصدير المواد الخام الى فرنسا لتورد الى الجزائر من جديد وبأثمان باهظة أثر سيء ، فقد زاد عدد المتعطلين ، وتفشت البطالة بينهم حتى أصبحت تشكل خطرا على المستعمرين أنفسهم •

***

وأحمد بن بيللا يحفظ كل ذلك عن ظهر قلب ، بل يعرف كل التفاصيل بالارقام كلها محفورة في قلبه •

ومن حقنا أن نتساءل : ماذا يفعل الشعب الجزائري الذي حرمه المستعمرون حقه في العمل ؟

ان الشعب الجزائرى يتمتع الآن بحق واحد فى بلاده وعلى ارضه انه حق الموت جوعا

وهكذا أصبح المواطنون الجزائريون مرغمين على التخلى عن كل شيء ، التخلي عن زوجاتهم وعن أطفالهم وعن ديارهم ، ووطنهم العزيز المقدس الذى يحملون له الحب والافتـــداء بكل نفس ونفيس • هكذا أصبح المواطنون مضطرين الى الهجرة سعيا وراء الضروريات فهاجر فريق الى فرنسا وهاجر بعض آخر الى تونس أو مراكش •

وظلت روح المقاومة والـكفاح كامنة فى أعمـاق الشعب الجزائرى الاصيل ، تظهر حينا بعد حين في صورة صدام بين قوى مسلحة غاشمة وشعب أعزل من السلاح ، حتى قبل مولد أحمد بن بيللا بعدة سنين •

تجمع بعض الشباب الجزائرى فى عام ١٩١٢ ، هؤلاء الذين أدركوا مدى التفرقة بين الاجنبى والوطنى الجزائرى فأنشئوا « الحزب الجزائرى الفتى » وكان يهدف الى محاربة الخدمة العسكرية التى أصبحت اجبارية بالنسبة للجزائريين العرب فى جيش فرنســا ، وتهدف كذلك الى الغاء « قانون الوطنيين » الذي ينص على أن المسلمين لا يستطيعون الانتقال من مكان الى آخر الا باذن من السلطات الادارية ويعمــل لنشر التعليم والعمل على زيادة ممثلى الحزب فى الجمعيات المنتخبة •

وقد تقدم صفوف هـــذه الجماعة الامير خالد وهو من احفاد الامير عبد القادر الجزائرى وذلك للسعى وراء استقلال البلاد •

وبدأ الكفاح يتخذ شـكلا ايجابيا فى قلب فرنسا نفسهـا • فقد تكونت من المهاجرين الجزائريين فى فرنسا جمعية « نجم شمالى أفريقية » وكانت برياسة الحـاج على عبد القـادر الذى أنشـأ صحيفة « نجم شمالى افريقية » من أجل الدفاع عن المصالح الادبية والمادية والاجتماعية لمسلمى شمالى أفريقية •

وخلفه فى زعامة الجمعية « مصالى الحاج » الــذى كان حينئذ فى التاسعة والعشرين من عمره بعد ان سرح من الجيش الفرنسى •

وقد الغت الحكومة الفرنسية هذه الصحيفة لانها كانت تطالب دائما باستقلال البلاد ، ولطابعها الوطنى الذى لا تقره فرنسـا • واستطاعت جمعية نجم شمالى افريقية أن تتضامن مع الحزب الشيوعى الفرنسى الذى كان يرى ضرورة التحالف مع الوطنيين الجزائريين من أجل التوحيد بين الاقلية الأوربية والأغلبية المسلمة لوضع حد للنزاع الـذى يستفيد منه الاستعمار • وتضامنا فى اصدار برنامج يقضى بعدة نقاط :

١ ـ استقلال الجزائر استقلالا تاما •

٢ ـ انسحاب جميع قوات الاحتلال •

٣ ـ انشاء جيش وطنى •

كما أشار البيان الى واجبات الحكومة الوطنية في ظل الاستقلال

التام الى ضرورة انشاء جمعية تأسيسية تنتخب بالاقتراع العام ومنح حق الانتخاب لجميع سكان الجزائر واعتبار اللغة العربية لغة البلاد الرسمية .

وتضمن البيان وجوب تسليم جميع المرافق التى استولى عليها المستعمرون واسترجاع الملكيات الكبيرة التى صادروها ، واعادة توزيعها على الفلاحين الذين يزرعونها . وأشار البيان الى حق العمال فى العمل وتكوين هيئات نقابية لضمان مصالحهم وحقوقهم .

واستطاعت صحيفة « نجم شمالى افريقية » أن تصدر سرا حتى عام ١٩٣٣ ثم اكتشف أمرها ، وقبض على رئيس تحريرها وهو « مصالى الحاج » وأودع السجن بتهمة اعادة تكوين هيئة سبق الغاؤها .

وأطلق سراحه فى عام ١٩٣٥ ، فعاود نشاطه من جديد من أجل قضية الجزائر حتى القى القبض عليه بعد أربعة شهور . واستطاع أن يلجأ الى سويسرا فارا حيث تابع نشاطه من هناك ، وظل يصدر تعليماته السرية لاتباعه ومعاونيه ليتموا سلسلة أعمال المقاومة التى كان قد بدأها .

وبدأ الحاكم الفرنسى ووزير الداخلية يتشددان فى تضييق الخناق على الاحرار فى الجزائر .

وعاد مصالى الحاج من سويسرا بعد أن اتسعت حركة التحرير تحت اسم « الجبهة الشعبية » وزاد عدد أنصار الجبهة حتى أصبح لها ثلاثون شعبة فى شتى أنحاء البلاد .

وأصدر الحاكم العام الفرنسى فى ٢٦ من يناير عام ١٩٣٧ قرارا بالغاء حزب النجم من جديد .

ومرت ثلاثة شهور ، استطاع بعدها مصالى الحاج أن ينشىء حزبا جديدا هو « حزب الشعب الجزائرى » على المبادىء السابقة التى أعلنها فى جريدة النجم التى تم الغاؤها ، ولكنه القى القبض عليه من جديد فى أواخر شهر أغسطس عام ١٩٣٧ بتهمة التحريض على أعمال الشغب ضد سيادة الدولة الفرنسية ، وحكم عليه بالسجن لمدة عامين ، مع حرمانه من حقوقه المدنية والسياسية .

وعندما خرج من السجن قررت الادارة الفرنسية فى الجزائر حل « حزب الشعب الجزائرى » فى ٢٩ من سبتمبر عام ١٩٣٩ واعادة اعتقاله من جديد . بل وحكم عليه بعد سنتين بالاشغال الشاقة مدى ستة عشر عاما ، ومنعه من الاقامة بالجزائر مدى عشرين عاما .

ولم يكن مصالى الحاج وحده فى الميدان : كانت هناك جماعات أخرى تسير على طريق الكفاح نفسه .

فقد تكونت جماعة « علماء الجزائر » وهى التى الفها الشيخ عبد الحميد بن باديس فى عام ١٩٢٨ وأصدر لها جريدة أسبوعية هى «الشهاب» الناطقة باسمها . وكانت هذه الجمعية تهدف الى تحرير الدين الاسلامى من البدع والاوهام ، والعمل على نشر اللغة العربية ، ثم اتخذت

أهداف الجمعية صيغة سياسية وطنية بسبب الظروف التى تحيط بالجزائر ٠

وكانت هذه الجمعية تتفق مع جمعية نجم شمالى أفريقية فى الايمان بالقومية الجزائرية وفى ضرورة التمسك بالاستقلال التام الذى يتم تدريجيا ٠ هذا مما كان سببا فى اضطهاد فرنسا لاعضاء هذه الجمعية مثل جمعية نجم شمالى افريقية ٠

وعاشت الجزائر على فوهة بركان ٠

وراح الشيخ عبد الحميد بن باديس ينادى بأن الأمة الجزائرية ستظل حية مابقيت على دينها ولغتها ومعرفة ماضيها ٠

وقد أنشأ العلماء المدارس الحرة لنشر اللغة العربية والديانة الاسلامية وتخليصها من الخرافات والبدع ، وتعليم الفلسفة والحقوق والتاريخ ، وامتد نشاطهم حتى شمل فرنسا نفسها ٠ وهذا مما أزعج السلطات الفرنسية ، فاتخذت اجراءات مشددة بصدد تعاليم الجمعية فى عام ١٩٣٠٠كما صدر منشور ميشيل السكرتير العام لادارة مدينة الجزائر بعد ثلاث سنوات وبمقتضاه فرضت رقابة دقيقة على العلماء وعلى نشاطهم ٠

وقام بعد ذلك فرحات عباس عام ١٩٣٦ ليدعم فكرة « الأمة الجزائرية » ويشد من أزرها بدون الدعوة الى الانفصال عن فرنسا ٠ وقال فرحات عباس عباراته المشهورة : ٠ « لقد ساءلت التاريخ ، واستجديت الاحياء والاموات ، وزرت المقابر ، فلم يحدثنى أحد عن وجود الأمة الجزائرية ، بل أرانا قد طرحنا آمالنا جانبا ، وربطنا مصيرنا نهائيا بمصير فرنسا فى هذه البلاد ٠ انهم يحدثوننا عن الوطنية والواقع ان ما يريدونه من وراء ذلك هو القضاء على تحررنا السياسى والاقتصادى معا ٠ »

واشتد الاقبال من الشعب الجزائرى على هذه المنظمة الوطنية ، فاستطاع فرحات عباس أن يكون « الاتحاد الشعبى الجزائرى » .كما عقد « مؤتمر اسلامى » حضره ممثلو الأحزاب ، وأصدر قرارا باعلان أول ميثاق بمطالب الامة الجزائرية ٠ وكان فرحات عباس فى بادىء الأمر معتدلا فى سياسته ، يعتقد أن ربط مصير الجزائر بعجلة فرنسا أمر ممكن اذا اعترفت فرنسا للجزائريين بالحقوق التى تعترف بها للفرنسيين ٠ ولكنه أدرك خطأه وتحول عن هذه السياسة ومال تدريجيا الى التطرف والدعوة الى الاستقلال التام ٠ فى حين أن مصالى الحاج كان يتخلى عن الثورة ٠

***

ومضت الثورة الجزائرية فى الطريق ، وأحمد بن بيللا يعرف انه طريق طويل ليس مفروشا بالورود ، وانما هو طريق فيه أشواك وعراقيل والسير فيه يتطلب مزيدا من التضحيات والدماء ٠

وقبل أن ينعقد ذلك المؤتمر الجزائرى بالقاهرة فى ٥ من سبتمبر عام ١٩٥٧ كان بن بيللا قد أقر كل شىء يتعلق بهذا الاجتماع ٠ وقد عين فى أثناء هذا المؤتمر اعضاء المجلس التنفيذى الجديد وهم :

كريم ، بوصوف ، بن طوبال ، عباس ؛ مهرى ؛ عيسان ؛ محمود الشريف ؛ والامين الدباغين •

لقد تقدمت الجزائر خطوة جديدة فى طريق التحرير والاستقلال •

صحيح أن الطريق مازال طويلا أمام الجزائر •

ولكنه طويل أيضا أمام فرنسا الظالمة •

وكلما طال على فرنسا الطريق كلما كانت أبعد الى العودة الى الصواب • فهى تسير بخطى سريعة نحو انهيارها ، انهيارها فى جميع النواحى ، الاقتصادية والاجتماعية والحربية والسياسية ، فهذه الحرب المشتعلة فى الجزائر تكلف فرنسا مبالغ هائلة ، فبينما بلغت تكاليف هذه الحرب فى عام ١٩٥٦ خمسمائة مليار فرنك (حوالى خمسمائة مليون جنيه) نجد أنها بلغت فى عام ١٩٥٧مقدار سبعمائة وخمسين مليار فرنك •

هذه الارقام الكبيرة كان لها معنى حسابى ، ولها معان أخرى ، لقد خلقت حرب الجزائر توترا فى صميم الاقتصاد الفرنسى ، وهذا ناشىء عن زيادة الواردات ففرنسا كان عليها ان تشترى العتاد الامريكى الذى يتكلف سنويا حوالى مائة مليار فرنك ، ثم شراء المواد الأولية كالصوف والقطن وشراء المنتجات الجاهزة التى لا تنتجها المصانع الفرنسية مثل العتاد الحربى ، هذا بالاضافة الى تضاؤل صادرات فرنسا ، فهناك عمليات بيع غير كافية ناتجة عن ارتفاع الاسعار الداخلية وعمليات بيع يعوقها الرواج الداخلى الناجم عن حرب الجزائر •

اذا كانت فرنسا تصر على سياسة العناد ، فستجد أمامها شعبا كاملا قناته لن تلين لا يعرف اليأس ولا الاستسلام ، ستظل الحرب قائمة وتدور رحاها حتى تسلم فرنسا نفسها بحق الجزائر فى الحرية والاستقلال •

وتقدمت مجموعة الدول الآسيوية الافريقية بطلب ادراج القضية الجزائرية فى جدول الاعمال للمرة الثالثة فى اجتماعات الامم المتحدة •

وكل ما تمخض عنه نقاش القضية فى الأمم المتحدة والتصويت عليها هو انها صادقت بالاجماع على لائحة وفاق تسجل عروض المساعى الحميدة من طرف تونس والمغرب وتعبر عن الرغبة فى مشاهدة افتتاح المفاوضات •

وكان شعور أغلبية الوفود فى نيويورك هو أن الامم المتحدة لا تستطيع أن تجد بنفسها حلا ، تابعا أولا وآخرا لحسن النية المتبادلة الذى يجب أن يتوافر فى الطرفين : فرنسا وجبهة التحرير الوطنى •

والشعب ماض فى طريقه تشحذ همته ظروف السجن الذى يحيط به ، سجن الاستعمار والاستغلال والاضطهاد والجوع والعذاب •

وجيش التحرير ماض نحو هدفه الـكبير : سوف يحقق لنفسه ما يريد ، قلوب ممتلئة بالايمان والثقة بالنصر الأكيد والغد المشرق الزاهر مهما طال الأمد ٠

والهجمات تشتد على جيوش الاحتلال ٠ وتزداد الاعمال الاجرامية والقتل الجماعى للمواطنين الجزائريين ٠ وبن بيـلا وزملاؤه فى السجن يلاقون فنونا فى العذاب ، ينتظرون الاعدام ، وهم على اتصال بالزعماء فى الجزائر بل وفى أية بقعة فى العـالم ، وكان بن بيللا يستطيع الهرب ، ولكنه سيبقى فى سجنه ليتحدى طغيان فرنسا ٠

بن بيللا يقود المعركة من السجن

وصلت رسالة سرية من أحمد بن بيللا فى سجنه الى اخوانه المجاهدين فى قلب الجزائر ، فى الجبال ، يصف فيها الحياة التى يعيشها هو وزملاؤه ، فى سجن «لاسانتيه» بفرنسا .

قال فيها : « اننا نعيش فى جو غريب يكتنفه الغموض وتحوطه المؤامرات ، وأصبحنا فى كل يوم نتوقع محاولات جديدة للاعتداء على حياتنا . ولكن حياتنا لم تعد تهمنا كثيرا . اننا جنود معكم فى المعركه وأى جندى يحتمل أن يسقط شهيدا فى أية لحظة . ان كل جندى منا وضع روحه على كفه رهن القضاء ، منذ اللحظة الاولى من اعلان الثورة فى أول نوفمبر عام ١٩٥٤» .

ويقول : «لاتهمنا الاشخاص ، المهم هو أن تستمر الثورة منطلقة لاتتوقف حتى يتحقق النصر ، والاستقلال الذى وعدنا به الشعب» ويكشف أحمد بن بيللا عن سر مثير حول محاولات الفرنسيين التفاوض معه هو وبعض زملائه فى داخل السجن .لقد حاولوا اغراءه بقبول حلول لاتتفق مع أهم هدف قامت من أجله الثورة ، وهو الاستقلال . ويقول احمد بن بيللا لزملائه المجاهدين «رفضت أن أدلى اليهم بأى رأى مادمنا سجناء ! »

واستطرد يقول : « ... وشىء آخر .. لاأنا ولا أى واحد من زملائى له حق تقرير مصير الثورة .. لان فى الجزائر شعبا استشهد منه حتى الآن مايقرب من مليون شهيد ، وهذا الشعب وحده هو الذى يستطيع أن يقرر مصير بلاده » .

ويقول احمد بن بيللا ان موقفه هذا كان سببا فى كل المتاعب التى تعرض لها هو وزملاؤه فى السجن .

الحرمان فى السجن .. والعذاب الرهيب .. والسير فى الزنزانات طوال الليل والنهار .. والتفكير هناك خارج الأسوار ، على أرض الجزائر هكذا يعيش الابطال الخمسة وراء القضبان بأجسامهم ، ولكنهم يعيشون بأرواحهم ومشاعرهم مع جيش التحرير حيث المعارك التى كانت تدور رحاها على أرض الجزائر .. وكانت مرارة السجن وآلامه .. وقسوة الحراس ، وصرامة الأوامر .. والأخبار التى تؤجج مشاعرهم وتذكى آلامهم .. كانت هذه هى حياة الزعماء فى السجن .

ولنعد الى السجن حيث جلس أحمد بن بيللا يقرأ كتابا سياسيا يتناول قضايا العالم ومشكلاته . كان الضوء خافتا ، وكانت نفسيته

مشحونة بالانفعالات ، فالمشاعر تزحم خياله ، وتهز وجدانه • وظل يقرأ وعندما وقعت عيناه على كلمة «مصر» شعر كان شيئا خفيا يشد فكره الى الوراء ومرت صور وذكريات عدة أمام ناظريه : وهو يتطلع الى الكتاب السياسي بين يديه ولكن فى خياله كتابا آخر •• كتاب سجلت فيه ذكرياته عندما فر من السجن •• واستطاع أن يصل الى القاهرة •• فى النصف الثانى من شهر مارس سنة ١٩٥٢ ، ليدير المعركة من القاهرة ويعمل على طلب مساعدتها للثوار ومدهم بالسلاح والعتاد •

تذكر بن بيللا أول مرة صعد فيها الى الدور السادس بعمارة الشربتلي فى شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة حيث كان يقيم مع السيدة « بدور مصطفى العمروسى» وكانت تجهل شخصيته تماما ، وكان وهو بالقاهرة على اتصال دائم بالثوار المجاهدين فى الجزائر وخارج الجزائر • كان يعلم كل شيء عن تطورات الامور على أرض بلاده ، التى اضطر أن يتركها ولاحظت السيدة التى يقيم معها أنه كثير الحركة ، لايهدأ •• يقرأ كثيرا •• مكتبه مزدحم بالكتب ، يدخل ويخرج كثيرا ، ربما عشر مرات فى اليوم الواحد•

لا أحد يزوره مطلقا ـ يستعمل التليفون بكثرة ـ ودائما يدور حديثه باللغة الفرنسية •

لايرتاد الاماكن العامة ، ولا يتناول طعامه فى المطاعم كان يكتفى بالسندوتشات أولا بسبب ضيق الوقت ، وثانيا بسبب ضيق اليد •

وقد اقترح عليه أحد أصدقائه أن يشترى سيارة حتى لايضيع جزء من وقته فى التنقل وركوب الاتوبيس •

فقال بن بيللا : ان الثمن الذى اشترى به سيارة سأحضر به عددا من البنادق لاخواننا المجاهدين فى الجبال •• أما الوقت الذى يضيع منى فى التنقل فسأوفره من نومى •

كان أحمد بن بيللا لايتكلم الا بحذر •• وتحركاته فى شوارع القاهرة سرية • يسافر فجأة •• ويحضر ـ للقاهرة ـ فجأة • ويغيب أحيانا بل ربما شهرين أو ثلاثة •• ثم يعود ولا يتكلم ـ كان يفكر أضعاف ما يتكلم ـ يطيل النظر فى الأفق بعينين يخفى وراءهما أسرارا وأسرارا وقصة كفاح شعب بأكمله ـ حتى ان السيدة كانت تسميه «رجل لاينام ولا يتكلم» •

كان يتردد ـ فى بعض الاوقات ـ على حى الأزهر ، حيث يزور مشهد الحسين ويختلس بعض الوقت ليلتقى بأصدقائه واخوانه الجزائريين فى «قهوة الفيشاوى» بالقاهرة •

وذات مساء ، خرجت السيدة التى كان يقيم معها ، من احدى دور السينما واشترت احدى المجلات ، قلبت الصفحات ثم تسمرت عيناها على صورة كبيرة مكتوب تحتها «احمد بن بيللا قائد جيش التحرير الجزائرى» ولم تصدق عيناها ، وأسرعت الى المنزل •• ووجدت أحمد بن بيللا بالحجرة وعلى الفور قدمت له المجلة •• ونظر فى الصورة بهدوء ودار هذا الحديث بينهما :

ـ دى صورتك ؟

ـ لا ... يخلق من الشبه أربعين !

وصدقت السيدة « بدور مصطفى العمروسى » كلامه .. لانه كان يسكن عندها تحت اسم مستعار : «أحمد مازونى سعدون» وأخذ منها المجلة ليقرأ الموضوع وما كاد ينتهى حتى سألها :

ـ ايه رأيك فيه ؟

ـ هو مين ؟

ـ احمد بن بيللا ؟

ـ انه رجل بطل يدافع عن بلده .. وعن حق شعبه فى الاستقلال ويضحى فى سبيل وطنه .. نصره الله .

ومرت الايام ...

وشاهدت السيدة صورة أخرى للزعيم احمد بن بيللا فى احدى الصحف يجلس فيها في وضع معين .. ان الصورة المنشورة هى الصورة نفسها المعلقة فى غرفته . وقد كتبت الصحيفة : «ان فرنسا ستمنح مليون فرنك لمن يقبض على احمد بن بيللا حيا أو ميتا » .

وعلى الفور ـ رجعت الى المنزل ـ ولم يكن موجودا فيه ساعتهـا وانتظرته وكلها لهفة .. وطال انتظارها .. ومر الوقت بطيئا مملا .. كانت تخشى ألا يعود أحمد بن بيللا الى حجرته ، بعد أن تأكدت أن الشخص الذى يقيم معها هو نفسه احمد بن بيللا. كانت نفسها مشحونة بالانفعالات والأحاسيس ، كانت تجلس شاردة تفكر وتفكر .. لم يكن الأمر بالشىء الهين .. ولم يقطع عليها توارد الأفكار والخواطر الا رنين جرس الباب ، وعلى الفور أسرعت تفتح الباب .. لتجد أمامها احمد بن بيللا الذى عاد الى المنزل فى ساعة متأخرة من الليل .

وعلى الفور وبلا مقدمات قالت له :

ـ انت احمد بن بيللا ؟

ولم يغضب أحمد بن بيللا .. لم يتردد بل قال لهـا على الفور :

ـ نعم .. أنا احمد بن بيللا .. وده يغير رأيك ؟ انت خايفه ؟

ـ ياسلام .. أبدا .. والله انا فرحانة جـدا .. أهلا بالبطـل الجزائرى .. أنا زى والدتك تمام . انك رجل عظيم .. ربنا ينصرك !

ولم يتغير شىء فى حياة الزعيم احمد بن بيللا .. سوى زيادة فى الحرص ودخلت عليه السيدة ذات مرة فى منتصف الليل لتقدم له كوب شاى . وقام بن بيللا من السرير فجأة وهو شاهر المسدس فى وجهها ، فلما تبين أنها السيدة « بدور » وضع المسدس تحت الوسادة ، وعلى الفور قال لها :

ـ أرجوك ـ فلتطرقى الباب بشدة قبل دخولك ـ أنا معاى مسدسى !

وعلى الفور أبدت السيدة تأسفها لما حدث .

وكان احمد بن بيللا لايكف عن القراءة والكتابة يخرج ويعود بكثرة اتصالات تليفونية مستمرة • كان قائد جيش التحرير يقود الكفاح المسلح المرير ضد الاستعمار من ذلك المكان الهادىء •• كان يوجه أعظم الضربات الى قوات الاحتلال الفرنسية ، وعيون الاستعمار لاتغفل ، تبحث عنه فى كل مكان فى العالم •• تريد رأسه بأى ثمن •• تدبر الخطط للقبض عليه أو اغتياله •• ولا تدرى انه يقيم هنا !

وبين حين وآخر كان يترك مخبأه الأمين فى القاهرة ، ويذهب الى الخطوط الامامية ، هناك فى الجزائر •

وفى كل مرة تستقبله السيدة استقبال الأم التى عاد ولدها من الحرب - وذات مرة سافر أحمد بن بيللا الى مدينة طرابلس فى ليبيا فى مهمة استدعت بقاءه فيها عدة أشهر •

وفى هذه الاثناء كلف احد مساعديه بأن يلحق به فى ليبيا • وذهب مساعده الى مدينة طرابلس يحمل فى جيبه عنوان احمد بن بيللا - وكانت مفاجأة عندما وجده يعيش فى حجرة بدروم فى بيت متهدم وأخذ مساعده يتلفت حوله فى دهشة : حجرة صغيرة ليس فيها أكثر من سرير صغير فوقه بطانية بالية ، وفى أحد أركان الحجرة طاولة قديمة ، وجهاز راديو يستمع منه الى اذاعات العالم •

ولم يتمالك مساعده الا أن يثور فى وجهه قائلا له :

- لماذا تعيش فى حجرة كهذه ؟

ورد بن بيللا : أتريدنى أن أسكن فى قصر ونحن فى ثورة ؟

وقال له مساعده : «البلد محتاجه لك بصحتك لكى تستطيع خدمتها ! » •

وقال بن بيللا : « اخواننا المجاهدون فى الجبال ينامون أحيانا فى الطين - فلماذا أكون أحسن حالا منهم ؟ » ورفض بن بيللا أن ينتقل من حجرة البدروم ، وكان سعيدا لان ايجارها لم يكن يزيد على الجنيهين فى كل شهر •

وذات يوم كلف أحمد بن بيللا أحد مساعديه بالاشراف على توزيع معونة الشتاء على بعض الجزائريين من المرضى فى احدى المستشفيات •

وذهب بن بيللا يراقب مساعده فى أثناء عملية التوزيع ، وكانت مفاجأة عندما علم أن مساعده يسلم الى كل مريض ستة «غيارات داخلية» وثار احمد بن بيللا فى وجهه وقال :

ماهذا ؟ •• ان الشعب الجزائرى يموت ، وأنت تسلم كل واحد ستة غيارات ! •

واستطرد يقول بالرغم عنه لانه لايجب أن يتحدث عن نفسه : « كل ماأمتلك من غيارات اثنان فقط - ألبس واحدا وأغسل الثانى ! »

ثم يعود أحمد بن بيللا الى القاهرة ليجد كل شيء فى انتظاره يتطلب البت فيه بسرعة •

وكان يحكى احمد بن بيللا للسيدة قصص التعذيب الوحشية التى يلقاها اخوانه المجاهدون •• عذاب حتى الموت •• كان المجاهد يختار العذاب حتى الاستشهاد دون أن يبوح أو يعترف بأى شيء يفيد الفرنسيين عن تنظيمات جيش جبهة التحرير الجزائرية •

كان يحدثها عن المجاهدين والمجاهدات ، وقصص البطولة التى يقوم الثوار المجاهدون بها فى أرض المعركة ، فى جبال الجزائر ووديانها •

وكان احمد بن بيللا يعجبه فى السيدة «بدور» مدى خوفها عليه ، وحرصها على راحته وسلامته • قالت له ذات مرة : انها تلاحظ وقوفه أمام «الفترينات» فى شوارع القاهرة ، وطلبت منه أن يكون أشد حرصا على نفسه •

وابتسم احمد بن بيللا وهو يقول لها : «لاتخافى •• ربنا موجود !»

وسافر احمد بن بيللا فجأة الى طرابلس بليبيا فى مهمة سرية •• ولكن فى هذه الرحلة ــ كانت مفاجأة تنتظره ــ كانت فرنسا بوساطة جواسيسها لاتكف عن البحث عنه فى أى مكان ، وحينما اهتدت الى المكان الذى يوجد به فى طرابلس ، فى فندق « اكسليور » عهدت السلطات الفرنسية الى عصابة اليد الحمراء بمهمة اغتياله •

كان احمد بن بيللا ينزل فى احدى غرف الفندق • وتمكن يهودى فرسى من أعضاء العصابة الدخول الى الغرفة ليلا على حين كانت سيارة تنتظره خارج الفندق • ولم يكن بن بيللا قد عاد بعد الى غرفته ، وكانت خطة الاغتيال مدبرة ومدروسة من قبل •

ان مفتاح النور فى الغرفة لا يوجد بجوار الباب كما هى العادة ، ولكن بعيدا ، بجوار السرير • واختفى المجرم بجوار الباب فى الظلام انتظارا لقدوم بن بيللا •

وفجأة دخل بن بيللا غرفته ،وتوجه نحو مفتاح النور ، واذا به يتلقى ــفجأة ــ على رأسه ضربة قوية من آلة حادة • فسقط على الارض ، ولكنه تحامل على نفسه عندما رأى نصل خنجر طويل •• وفجأة هم واقفا وأخرج مسدسه من جيبه واخذ يطلق النار على المجرم ، وفى كل مكان •• فولى المجرم الأدبار •

وفى السيارة التى كانت تنتظره أمام الفندق فر هاربا • ولكن البوليس الليبى أسرع وراءه حتى أدركه قبل أن يصل الى الحدود التونسية بمسافة خمسة عشر كيلو متر ، وحاول أن يقاوم ، وأطلق النار على رجال البوليس • ولكن البوليس الليبى طوقه ، وانهال عليه بالرصاص ، فخر صريعا فى الحال •• وتبين من التحقيق الذى قام به البوليس أن هذا المجرم اسمه « هنرى لوى دافيد» عضو فى جمعية اليد الحمراء التى سبق لها أن اغتالت بعض زعماء تونس ومنهم فرحات حشاد ، وهادى شاكر •

وتبين أنه دخل ليبيا ست مرات ، قبل أن يقوم بمحاولة اغتيال احمد بن بيللا ٠

ومرت أيام ٠٠ وانتهى أحمد بن بيللا من مهمته بطرابلس وعاد الى القاهرة ٠ وذات يوم بينما كان احمد بن بيللا يسير فى شارع قصر النيل انطلقت عليه عدة رصاصات من احدى السيارات ٠ وكم كانت دهشته عندما رأى أن سيارة دبلوماسية هى التى تقوم بهذه المهمة الاجرامية ٠ ولكن القدر كانت له ارادة أخرى ٠ فقد انبطح احمد بن بيللا على الارض بسرعة عندما سمع صوت الرصاصة الاولى وأخطأته الرصاصات الأخرى ٠ وابقته لوطنه ولشعبه يكمل دوره على طول الطريق نحو الحرية ٠

كانت هذه وسائل فرنسا ٠ كانت كل جهودها مركزة فى محاولة التخلص من الزعيم احمد بن بيللا الذى اشعلها عليها حربا لاهوادة فيها هكذا صمم على أن تكون لغة التفاهم مع فرنسا هى لغة الحرب الشاملة ، حتى يجبرها على أن تسارع باعطاء الحقوق لأصحابها دون مساومة ، ودون لف أو دوران ٠

حتى فى السجن ، واحمد بن بيللا بين يدى فرنسا ، حاولت اغتياله عدة مرات ، حتى بعد أن حكمت عليه هو وزملاؤه بالاعدام دبرت مؤامرة وضع خطتها الجنرال «ماسو» قائد قوات البارشوت الفرنسية فى الجزائر ، بالاتفاق مع «جاك سوستيل» وزيرالاستعلامات فى حكومة فرنسا وتتلخص الخطة السرية التى وضعت لاغتيال بن بيللا فيما يلى :

يلبس جماعة من جنود البارشوت الذين تحت أمر ماسو ملابس حراس السجن ، وعلى هؤلاء الجنود أن يتقدموا الى مدير السجن بتعليمات مزورة تقضى بنقل الزعماء الجزائريين الى خارج السجن بحجة انهممطلوبون لاجراء تحقيق معهم ٠

وفى خارج السجن يتولى جنود البارشوت اغتيال احمد بن بيللا وزملائه برصاص مسدساتهم ٠

كان الجنرال ماسو متحمسا لتنفيذ هذه المؤامرة ٠ والسبب أنه يعتقد ــ وتؤيده فى هذا الاعتقاد كل العناصر المتطرفة من المستعمرين الفرنسيين فى الجزائر ــ ان أحمد بن بيللا وبقية زملائه المعتقلين فى السجن يمثلون العناصر الوطنية بين زعماء الجزائر ٠ وتصور الجنرال ماسو أن اغتيال بن بيللا وزملائه يمكن أن يفسح الطريق أمام بعض العناصرالجزائرية غير المتطرفة للدخول فى مفاوضات مع الفرنسيين ٠

وفشلت هذه المؤامرة اذ استطاعت قيادة الثورة فى الجزائر أن تكتشف أمرها قبل وقوعها بأيام فى شهر مايو سنة ١٩٥٨ ٠ وكانت تفاصيل التقرير السرى الذى تلقته قيادة جبهة التحرير الوطنى عن هذه المؤامرة تقول :

ان الجنرال ماسو استدعى ثلاثة من كبار ضباطه فى رتبة الكولونيل، وكلفهم السفر الى باريس وقيادة قوة تضم ١٥٠ جنديا من قوات البارشوت

التى تحت امرته فى الهجوم على سجن « لاسانتيه » واختطاف أحمد بن بيللا وبقية زملائه ٠

وتكشفت المؤامرة بعد وصـــول الضباط الثلاثة الى باريس وكان أحدهم قد اتصل تليفونيا بمدير السجن ، وطلب اليه أن يصدر أوامره الى الحراس بعدم المقاومة والتسليم ٠

وتردد مدير السجن ٠٠٠ وخشى على حياته ٠٠٠ ولم يكن منه الا أن اتصـــل بوزارة الداخليـــة فى باريس طالبا النجدة ٠٠ وقالت له وزارة الداخلية الفرنسية ان جميع قوات الأمن تعمل فى المحافظة على النظـــام بسبب الاضطرابات التى عمت باريس فى هذه الاثناء ٠

وقال مدير السجن : ان الموقف خطير وانه يخشى من وقوع مجزرة فى داخل السجن ! ولم تجد وزارة الداخلية قوات اضافية لتمد بها مدير السجن الا كتيبتين أى نحو ١٨٠٠ جندى من قوات يطلقون عليها فى باريس اسم « كتائب أمن الدولة » وهى أشبه بقوات بلوكات النظام التى تستخدم للمحافظة على النظام فى أى بلد ٠

وقد بادرت هـذه القوات الى محاصرة سـجن « لاسانتيـه » ومنعت الاقتراب منه ٠ وفشلت الخطة التى وضعها الجنرال ماسو لضباطه الثلاثة، ولم تتم عملية خطف الزعماء الجزائريين من السجن ٠ وياليت الامر وقف عند هذا الحد ٠ فقد سـبق أن دبرت فرنسا فى شـهر يوليو عام ١٩٥٧ مؤامرة أخرى ، بأن أثار الفرنسيون فتنة بين المعتقلين فى سجن «لاسانتيه» وتجمع نحو خمسة آلاف منهم فى ساحة السـجن الكبير وهم يتصايحون بالاحتجاج على المعاملة السيئة التى يلقونها من حراسهم الفرنسيين ٠

واستعد الحراس لاطلاق الرصـاص على هؤلاء المعتقلين واغتيـال بن بيللا وزملائه بعدة رصاصات طائشة ٠!

ولم يهتم أحمد بن بيللا بهذا التحذير بقدر اهتمامه بالضحايا الذين يمكن أن يسقطوا برصاص حراس السجن تنفيذا لهذه المؤامرة ٠ ولم يكن منه الا أن وقف خطيبا بين المعتقلين الثائرين ٠ وكان هو الذى أعاد النظام الى السجن وأنقذ عشرات الضحايا من الموت برصاص الحراس ٠

ولما فشلت هذه المؤامرة ، صدرت تعليمـــــات جديدة الى حراس السجن ، وكان غالبيتهم من رجال المخابرات الفرنســـية ، وقد ألحقوا خصيصا بالسجن فى وظائف الحراس حتى يكونوا دائما عيونا على زعماء الثورة ٠ ويطلق المعتقلون الجزائريون على هؤلاء الحراس اســـم « زبانية لاسانتيه » بسبب قسوتهم فى تنفيذ التعليمات ، وعمليـــات تعذيب المعتقلين ٠ وقد روى أحد التقارير الواردة الى قيادة الثـــورة بالجزائر ، كيف كان هؤلاء الزبانية يتجمعـــون تحت نافذة زنزانة أحمد بن بيللا ، وكيف كانوا يقذفونها بالطوب والحجارة ~~كان~~ هدفهم أن يثيروا أعصابه ٠

من النوم ٠ وبقيت محاولاتهم « للتحرش » به شهرا كاملا ٠ ولكن أحمد وكانوا يدقون على صفائح البنزين الفارغة تحت نافذته حتى يمنعوه

بن بيللا لم يستجب لتحديهم • واضطر زبانية السجن الى الكف عن محاولاتهم الصبيانية ••

***

فرنسا تعانى أزمة حادة •••

تدهورت حالتها المالية والاقتصادية ••• خطر كبير يهدد عملتها•• أصبحت كل الحلول واهية أمام الازمة الاقتصاديه التى تواجهها فى عنف وفشلت كل الوزارات المتتاليه فى الوصول الى حل سليم ليضع نهاية لمشكلات فرنسا واستمرار حرب الجزائر ••• وتكتل الجيش الفرنسى مع الحاكم العام للجزائر وأنشئت لجان الامن • وتتابعت الاحداث منذ ١٣ من مايو سنة ١٩٥٨ حتى أول يونيو عام ١٩٥٨ حين تولى « الجنرال ديجول » رياسة الجمهوريه الفرنسية • وكانت أهداف هذه الحركة « الادماج التام بين فرنسا والجزائر » والحيلولة دون قيام الحكومة الفرنسية بالمفاوضات مع مسلمى الجزائر • وكان أحمد بن بيللا وزملاؤه يرقبون الموقف باهتمام ويتابعون تطور الاحداث فى فرنسا والجزائر معا •

أراد ديجول أن يتبع سياسة جديدة ازاء قضية الجزائر هدفها كسب ود الجزائريين بالتظاهر باتباع خطة اللين فقرر تخفيف جميع أحكام الاعدام ضد الوطنيين الجزائريين واستبدالها بالاشغال الشاقة المؤبدة •

كما تقرر اطلاق سراح ٧٠٠ مواطن جزائرى ، والافراج عن مصالى الحاج •

وكان أحمد بن بيللا وجميع المجاهدين يعاملون معاملة سيئة للغاية فى سجن «لاسانتيه» فقرر بن بيللا الاضراب عن الطعام حتى تتحسن معاملة الفرنسيين له ولزملائه وجميع اخوانه المعتقلين ، وطالب بمعاملتهم كمسجونين سياسيين • وبالفعل استجابت فرنسا لهذه المطالب •

ولم تكن المعاملة السيئة التى لقيها زعماء الجزائر تقف عند هذا الحد فقد حدث مثلا فى شهر يناير عام ١٩٥٨ أن توفى والد حسين آية أحمد• الذى كان لاجئا فى تونس • وعلى أثر وفاته أرسلت زوجته برقية الى ابنها فى سجن لاسانتيه تنعى اليه والده • ومزقت ادارة السجن البرقيه • ولم تبلغها اليه • ولم يعرف حسين اية أحمد بوفاة والده الا بعد عدة أشهر عندما تلقى رسالة أخرى وصلت اليه بطريقة سرية من اخوانه المجاهدين فى الجبال !

كما أن ادارة السجن منعت عن زعماء الجزائر وصول الصحف والمجلات العربية ، وحرمت عليهم الاستماع الى اذاعات الراديو • وذات يوم قامت ادارة السجن بجولة تفتيشيه فى حجرات المعتقلين • وكانت مفاجاة حينما عثروا فى حجرات المعتقلين على مجموعات كاملة من مجلة « المجاهد » التى يصدرها جيش التحرير فى الجبال • واهتزت ادارة السجن ،وكذلك ادارة المخابرات الفرنسية بسبب العثور على هذه المجلة فى قلب السجن•

وتمضى الايام عسيرة ••• لا جديد فيها الا شعور القلق والترقب والانتظار ••• انها حياة السجن التى تبلد المشاعر ، وتجمد الافكار •ولكن هجمات المناضلين على أرض الجزائر تشتد •

وذات يوم شعر أحمد بن بيللا بمغص حاد وهو فى حجرته بالسجن وتبادر الى خاطره أن أحد حراس السجن قد دس له السم فى الطعام • ولم يكن أمامه الا أن يطلب استدعاء طبيب السجن على عجل لاسعافه • وجاء الطبيب ، ولكن بعد ستساعات كاملة، ليقول : ان حالة بن بيللا تستدعي نقله فورا الى أحد المستشفيات لتجرى له عملية استئصال الزائدةالدودية ••• ورفضت ادارة السجن وقالت اذا كان لابد من عملية فليقم الطبيب باجرائها فى داخل السجن • وأخيرا رضخ الطبيب لاوامر ادارة السجن ، وأجرى العملية الجراحية ـ وربما لاول مرة فى حياته ـ فى داخل الزنزانة التى كان بن بيللا مسجونا بها ـ بلا تعقيم ، وبلا أية استعدادات طبية •

وفى هـــذه الليلة ، لم ينم أى واحد من خمسة آلاف ســـجين من الجزائريين وامتلأت بهم ممرات سجن « لاسانتيه » •

اخذ كل منهم يبتهل الى الله وهو يصلى ، ان ينقذ حياة الرجل الذى اشترك مع زملائه ، زعماء جيش الجزائر ، فى قيـادة الثورة وتنظيمها منذ البداية واستجاب الله لدعواتهم واجريت لبن بيللا العملية • ولكن بمعجزة! معجزة أن تنجح عمليه جراحية له بهذه الصورة الوحشية !

ومر الزعيم بوضياف بالتجربة نفسها حينما أصيب بمرض صدرى وهو فى السجن • وذلك بسبب رطوبة جو زنزا نته التى وضع فيها : لم تكن ترى الشمس لانها شبه مقفله • ونصح طبيب السجن بنقله الى احدى المصحات • ولكن السلطات الفرنسية رفضت ذلك • ولما اشتدت حالة المرض عليه قرر طبيب السجن أن يجرى له عملية جراحيـــة لاستئصال احدى رئتيه • وأجريت له العملية فى داخل السجن !

وعاش المجاهد بوضياف برئة واحدة تروى قصـــــة الحياة الرهيبة والمعاملة البربرية التى لقيها هو والمجاهدون فى سجون فرنسا •

وبرغم هذه القسوة البالغة ، والحياة الجافة ، والأيام السوداء التى كانت تمر ببطء كان احمد بن بيللا لايترك لليأس طريقا الى قلبه ، كانت ارادته أقوى من مؤامرات فرنسا التى تدبر له فى الخفاء لاغتياله ،وكان واثقا من ان حتمية النضال وانتصار الثورة على أرض الجزائر ، أقوى من مزاعم فرنسا وأباطيلها المضللة فان ارادة الشعب هى ارادة الله •

* * *

فالأحداث ـ على أرض الجزائر ـ تبلورت • وتردد صدى الثـــورة فى خارج الجزائر • وازاء هذا راى مجلس الثورة أن يعلن قيام حـكومة جزائريه مؤقته ، تعترف بها الدول ، وتكون سلطاتها مستمدة من مجلس الثورة ، وتنطق باسمه فى الخارج •

وفى ١٩ من سبتمبر عام ١٩٥٨ أعلن مجلس الثورة تكوين حكـومة الجزائر المؤقتة بالقاهرة برياسة فرحات عباس •

ولكنها كانت حكومة « شكلا » ـ وبلا سلطة ـ اذ أن السلطةالحقيقية ظلت فى يد مجلس الثورة حتى بعد أن عهد المجلس الى المجاهد « هوارى

بومدين » وزملائه بقيـــادة جيش التحرير • فالحكومة المؤقتة ، وقيادة جيش التحرير ، كلاهما منبثق من مجلس الثورة الوطنى •

أما الكلمات مثل « رئيس حكومة ـ وزير ـ قائد ـ » كلها كلمات لا تعني فى الحقيقة المضمون المفهوم للكلمة ، كانت فى الواقع « مهام » يعهد بها الى هذا العضو او ذاك للقيام بها • ولكن الجميع جنود فى جبهة التحرير الجزائرى التى كان شعارها ـ القيادة الجماعية ـ والعمـل من أجل المجموع ـ وهو الشعب •

لأحد يفكر لمصلحته الشخصية ـ الجميع ثوار ••• تنظمهم خلايا ثورية ••• كل شخص مسئول ويحاسب على أعماله ••• لافرق بـين رئيس ومرءوس ، هذا هو شعار الثورة الجزائرية • وقد جاء قرار مجلس الثورة بتكوين حكومة مؤقتة ليثبت للعـــالم أجمع ، ولفرنســا على وجه الخصوص ، أن جبهة التحرير الوطنى ليست جبهة أفرادها جماعة من المتمردين خارجين على القانون ، ولكنها تنظيم شعبى ثورى ، باستطاعته أن يشكل للشعب الجزائرى حكومة ، آثرت أن تختار رئيسها معتدلا مثل فرحات عباس كى يمهد لبدء المفاوضات مع فرنسا • وأعضـــاء هـــذه الحكومة هم :

فرحات عباس : رئيسا لمجلس الوزارة •
كريم بلقاسم : نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير القـوات المسلحة
أحمد بن بيللا : نائب رئيس مجلس الوزراء
حسين آيه احمد : وزير الدولة
رابح بيطاط : وزير الدولة
محمد بوضياف : وزير الدولة
محمد خيضر : وزير الدولة
الدكتور محمد الامين الدباغين : وزير خارجيه
محمود شريف : وزير الامدادات والتموين
الاخضر بن طوبال : وزير داخلية
عبد الحفيظ بوصوف : وزير المواصلات
عبد الحميد مهرى : وزير شئون شمالى افريقية
الدكتور احمد فرنسيس : وزير المالية والاقتصاد
محمد يازيد : وزير الاستعلامات
يوسف بن خدة : وزير الشئون الاجتماعية
أحمد توفيق المدنى : وزير الشئون ووزير الثقافة •

كما تضم الحكومه السادة : الامين فان ـ وعمر الصديق ـ ومصطفى استامبولى •

وتقرر أن تكون الحكومة المؤقتة لجمهورية الجـــزائر مسئولة أمام المجلس الوطنى للثورة الجزائريه ابتداء من الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم الجمعة الموافق ١٩ من سبتمبر عام ١٩٥٨ بتوقيت الجزائر •

وازاء حوادث الاغتيال العدة التى تعرض لها الزعيم أحمد بن بيللا وزملاؤه ، وحياة القسوة والعذاب التى لقيها الزعماء الخمسة ، قرر مجلس وزراء فرنسا نقل بن بيللا نائب رئيس حكومه الجزائر الحرة وزملاؤه من سجن لاسانتيه الى جزيرة « ايكس » فى عرض البحر • ووضعهم تحت المراقبة الشديدة ، محافظة على حياتهم التى تعرضت لمؤامرات المتعصبين الفرنسيين ، أمثال الجنرال « ماسو » وغيره •

أحيطت عملية نقل احمد بن بيللا وزملائه بسرية تامة ، من سجن «لاسانتيه» فى باريس الى جزيرة « ايكس » القريبة من شواطىءفرنسا •

ففى الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة مساء جاءت عربة بوليس رقم ٤٠٣ لتقف أمام باب السجن بضعة دقائق قبل أن يسمح لها بالدخول وفى العاشرة والربع جاءت سيارة بوليس مملوءة بالجنود المسلحين بالمدافع الرشاشة • ثم اجتازت باب السجن لتقف فى بداية الممر الموصل الى الداخل •

وفى الساعة العاشرة وست عشرة دقيقة ، وصلت سيارتان من سيارات البوليس تحرسهما كوكبة من الدراجات البخارية ودخلت الى الممر الموصل الى فناء السجن الداخلى •

وفى العاشرة والدقيقة الثانية والثلاثين أخلى الطريق الموصل الى السجن تماما وخرجت من الباب سيارتان من سيارات البوليس لكى تنضما الى سيارات أخرى كثيرة كانت تقف أمام الممر وكانت هذه السيارات تكون فى مجموعها ثلاثة أرباع فرقة كاملة من فرق الطوارىء •

وانطلقت السيارات فى موكب يتكون من ست سيارات «بوليس» تتبعها ست سيارات آخرى محروسة بست دراجات بخارية للمحافظة على الامن • وكان الجنود فى هذه السيارات يشهرون أسلحتهم السريعة الطلقات •

وفى الساعة العاشرة والدقيقة الخمسين خرجت العربة السوداء رقم ٤٠٣ من السجن وبداخلها خمسة رجال يلبسون معاطف فاتحة اللون • وكانت تتجمد عليهم أنظار فرقة من البوليس •• انهم : احمد بن بيللا وزملاؤه الأربعة • وقد سار بهم الموكب المسلح حتى الشاطىء الفرنسى على المحيط الاطلنطى حيث كانت فى انتظارهم احدى السفن الحربية الفرنسية التى تولت مهمة نقلهم الى المنفى الجديد فى جزيرة ايكس • كما نقلت أربعة كلاب متوحشة ومدربة الى الجزيرة لمنع تنفيذ اية خطة لتهريب المعتقلين والزعيم احمد بن بيللا على الخصوص •

ولكن هذا المنفى الجديد لم يقف حائلا أمام أحمد بن بيللا ومتابعته لتطور الاحداث فى الجزائر ، بل والمشاركة فيها بعقله وفؤاده • فقد امتلأ قلبه بالأمل • وأيقن « ان الحق لايمكن ان تقهره اباطيل فرنسا ومزاعمها •• » حينما هب العالم المحب للسلام •• وفى مقدمته الذين يؤيدون قضية الجزائر فى عاصفة للسلام قوية لاستنكار أعمال فرنسا

المطالبة بوقف اعدام البطلة المجـاهدة « جميلة بوحيرد » وتدخلت شخصيات عالمية دولية طالبة العفو عنها . ومن هذه الشخصيات : جمال عبـد الناصر ـ وخروشوف ـ وأيزنهاور ـ وملكة بريطانيا اليزابيث ـ ونهرو ـ وسوكارنو ـ وهمرشولد سكرتير عام الامم المتحدة .

وفى شهر مارس عام ١٩٥٨ خففه حكم الاعدام الى السجن المؤبد . واضطرت فرنسا ان ترضخ لصوت السلام القوى . وفى الواقع ، كان احمد بن بيللا يدرك ان استنكار العالم اجمع لاعمال فرنسا هذه انما هو فى الواقع نصر للقضية الجزائرية العادلة .

* * *

فرنسا وقعت فى عدة مآزق لاسبيل الى الخلاص منها ...

واحمد بن بيللا يدرك أن فرنسا فى طريقها نحو الانهيار التام ...

وديجول يأتى للحكم لينقذ فرنسا من مشكلة الجزائر ...

لقد أصبح رئيسا للجمهورية الخامسة الفرنسية منذ أول يونيو ١٩٥٨ وسيحاول أن ينهى أزمة الجزائر التى دوخت الذين سبقوه .

ان حركة ديجول تهدف الى الادماج التام بين فرنسا والجزائر والحيلولة دون قيام الحكومة الفرنسية بالمفاوضة مع مسلمى الجـزائر .

بدأ ينفذ سياسة تتسم بالالتواء والغموض . كان كثير الاشارة فى تصريحاته الى قضية الجزائر . ويعترف بكل صراحة بأن الجزائر ولاية فرنسية عبر البحر المتوسط .

وقال ديجول ان للجزائر وضعا خاصا فى بناء سياسى يقوم لربط فرنسا بالجزائر وممتلكات ماوراء البحار .

وقال انه ابتداء من ذلك اليوم لايوجد بالجزائر سوى فرنسيين يتمتعون بالحقوق نفسها . وبعد رحلة ديجول الى الجزائر عرض الدستور الجديد للاستفتاء .

وعرض الدستور على الناخبين لقبوله أو رفضه دون الاشارة الى حق الاستقلال . ولم تفعـل فرنسا شيئا جديدا عندما تعـاونت مع سلطاتها الاستعمارية فى الجزائر فقامت بتزوير نتائج الانتخابات التى وصلت الى ٩٥٫٥ فى المائة ، قبلوا الدستور على حين رفضه ٤٫٥ فى المائة !

ودخلت جبهة التحرير الجزائرى معركة جديدة : انها تبغى اثبـات كيانها أمام ادعاءات ديجول ومشروعاته الملتوية .

اصدر بن بيللا وزملاؤه وقيادة الجبهة الاوامر بخطة جديدة . أثبتت الجبهة كيانها بطريقة ايجابية أذهلت الرجعية الفرنسية . فقد انتقلت الحرب سريعا الى أراضى فرنسا ذاتها . وسوف تحاول الجبهة القضاء على « الرجل المعجزة » الذى جاء ليقضى على الثورة الجزائرية ويضع حداً لافناء

الجيش الفرنسى فى الجزائر : ستكون الجزائر شـــعلة تحرق من يقف امامها يعترض طريقها نحو الاستقلال ·

كان ديجول يحاول ان يسوى قضية الجزائر تسويه نهائية وان ينال مايستطيع من الجزائر ، قبل ان يضع حلا · ولذلك رأينا سياسة ديجـول ازاء قضيه الجزائر تمر بمراحل كثيرة نجملها فى أربع نقط · ونستطيع أن نقول ان سياسته اتسمت بالتراجع الى الوراء رويدا رويدا أمام تصميم الشعب الجزائرى على الاستقلال والحرية ·

ففى المرحلة الاولى : « الجزائر فرنسيه » وحاول ديجول ان يسوى قضية الجزائر على هذا الاساس ، بل وأراد أن يحقق السلام فى الجزائر على أساس يرضى به كبار المعمرين المستوطنين فى الجزائر ، ولهذا لجأ الى محاولة خداع قادة الثورة الجزائرية بتظاهره الكاذب ، وخير دليل على ذلك هو خطابه الذى ألقاه فى ٣ من اكتوبر عام ١٩٥٨ وقال فيـــــه : « ··· أقول متوجها الى الذين يطيلون أمد الحرب فى الجـــزائر ، لماذا القتل ؟ يجب أن نعيش · لماذا التهديم ؟ يجب أن نبنى · أوقفوا هـــذه المعـــارك · وستجدون السجون تفرغ والأمل يزدهر · والمستقبل يفتح للجميع ··· »

وكان ديجول يفكر فى انهاء الحرب فى الجزائر على أساس استسلام جيش التحرير دون مفاوضات · ولم يكتف ديجول بهـــذا بل ردد هذه الفكرة فى مؤتمره الصحفى الذى عقده فى ٢٣ من اكتوبر عام ١٩٥٨ حينما قال : « ··· على الذين بدءوا القتال ان يوقفوه ···عليهم ان يعودوا الى عائلاتهم ،، وعلى قادتهم ان يتصلوا على الفور بقادتنا العسكريين بوساطة رفع العلم الأبيض !

والمنظمة الخارجية للثورة ماعليها الا أن تتوجه الى سفارة فرنســـا بتونس أو الرباط ، لكى تضمن نقلهم الى فرنسا · كى يبحثـوا شروط الاستسلام فى النطاق الفرنسى ، تماما كما يتوجه الفرنسى فى الخارج الى سفارته عندما يحتاج اليها ·· »

* * *

موقف ديجول هذا كان يفعل فى نفوس الثوار فعل السحر · لقـد اختاروا وسيلة القوة ، وسيلة الحرب التى أعلنها الشعب الجزائرى على فرنسا فى أول نوفمبر عام ١٩٤٥ ليجبر فرنسا على الاعتراف بالحق : حق شعب الجزائر فى الاستقلال ·

وفى هذا الجو المشحون بالمتناقضات (فرنسا مصممة على أن الجزائر فرنسية وقطعة منها ـ والشعب الجزائرى مصمم على الاستقلال) فى هذا الجو السياسى المضطرب كانت قضية الجزائر مطروحة أمام هيئـه الامم ، لبحث الطلب المقدم من كتلة الدول الافروأسيويه بضرورة ادراج القضـــية الجزائرية فى جدول الاعمال « بالدورة الثالثة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٥٨ » ·

ومنذ وقت قريب كانت الحكومة المؤقتة الجزائرية قد تشكلت برياسة

فرحات عباس وقد عرض ديجول على الجزائريين مشروع «سلم الشجعان» الذى رات فيه الوفود فى هيئة الأمم دليلا صادقا على تحسن الظروف - أما الجزائريون فقد رفضوا مثل هذا المشروع الذى كان فى باطنه يحمل معنى أعمق من هذا • فالجنرال ديجول كان يريد تحقيق السلم فى الجزائر على اساس استسلام جيش جبهه التحرير • وهذا المشروع المضلل لا يحمل سوى هذا المعنى •

وقد فاز الاقتراح – المقدم من كتلة الدول الافروأسيوية – فى اللجنة السياسية بأغلبية بسيطة ، وهو يطلب « ضرورة الاعتراف بحق الاستقلال للشعب الجزائرى والتوصية بفتح باب المفاوضات على وجه السرعة » •

ولكن هذا المشروع بالرغم من تصديق اللجنة السياسية عليه ، لم يحصل على ثلثى الاصوات حين عرض على الجمعية العمومية • والجدير بالذكر أن « هايتى » فى هذه الدورة تقدمت بتعديلين الاول : يقضى بتعديل عبارة « •• حق الشعب الجزائرى فى الاستقلال » وجعلها « الاعتراف بحقوق الشعب الجزائرى للتصرف فى مصيره بنفسه » والثانى : ينص على أن « الحكومة الفرنسية – وقادة جبهة التحرير الجزائرية – قد أظهروا رغبتهم فى الشروع فى مفاوضات » • وقد سجل المشروع الثانى الذى دفع بالقضية الجزائرية خطوة الى الامام فى المجال الدولى •

❋ ❋ ❋

عناد شديد ومرير ••• عناد الاحرار لن يلين •• أما ديجول فكان لابد أن يتراجع وهذه هى المرحلة الثانية من سياسة ديجول ازاء الجزائر:

كانت سياسة ديجول تتسم – كما أوضحنا – بالغموض والالتواء ومحاولة انقاذ ما يمكن انقاذه أمام ثورة الشعب الجزائرى ، الذى آمن «بأن الخط المستقيم هو أقصر الطرق » فأقصر الطرق أمام الجنرال ديجول ، أن يمنح الجزائر الاستقلال التام ، القائم على أساس وحدة التراب الجزائرى

وخير دليل على سياسة ديجول هو تصريحاته وخطبه ومؤتمراته الصحفية حول قضية الجزائر وكلها تتسم بطابع « اللف والدوران » والغموض والالتواء •

ففى تصريح قاله فى ٨ من شهر يناير عام ١٩٥٩ : « ان الجزائر ستكون لها مكانة ممتازة داخل دول المجموعه •• »

وهذا التصريح برغم ما يتسم به من غموض الا أنه يحمل معنى عميقا وهو تراجع ديجول عن صلابة رأيه الذى تمسك به فى مرحلته الاولى من سياسته •

اضطر ديجول للتخلى عن الفكرة المزمنة القائلة بأن الجزائر فرنسية وانها قطعة من فرنسا عبر البحر المتوسط •

والجدير بالذكر ان « بلدان المجموعة » قد صوتت ضد « سياسة الفرنسة لفائدة الحكم الذاتى داخل المجموعة » •

ومعنى هذا ان « دول المجموعة » تريد أن تسلك سلوكا ذاتيا وتنتهج

سياسة تتمشى مع حتمية طبيعتها وظروفها وعلى هذا الاساس اعترف ديجول بأن الجزائر ستكون لها مكانة ممتازه بين دول المجموعة ·

وفي مؤتمر صحفى بتاريخ ٢٣ من مارس عام ١٩٥٩ نطق ديجول بهذه العبارة :

« ··· يجب الوصول فى يوم من الايام الى المحادثات » · فسجل ديجول بذلك خطوة أخرى في الانفصال وبأن الجزائر جزائرية ، عندما اعترف بأن المكانة الممتازة داخل المجموعة يجب أن تكون وليدة محادثات·

ولكن برغم هذا ، فأن ديجول ظل مصرا على طريقة السفارة الفرنسية ، يرفض كل اتصال مع مبعوثى جبهةالتحرير فى بلد محايد ـ لانه فىالواقع كان يغالط تطور الاحداث · لا يريد ألاعتراف بمنظمة جبهة التحرير الجزائرية لأنها كما يزعم لا تمثل الشعب الجزائرى · وتوالت الادلة على سياسة ديجول فى هذه الفترة بانها تتسم باللف والدوران أو اللعب على الحبلين !

ففى يوم ٢ من مايو سنة ١٩٥٩ أدلى ديجول بحديث صحفى « لبيير لافون » مدير صحيفة « ليكو دوران » فقال ديجول : « ورفضت النطق بكلمة « الادماج » لانهم حاولوا فرضها على ! » (وهو يقصد بهذا أن يرضى المتطرفين الاوربيين) اذ يتساءل : « ما هو المعنى السياسى لكلمة الادماج »

ويرد قائلا : « ان كان يعنى ان الجزائر فرنسية فلاحاجة اذن الى ذكره ما دامت الجزائر فعلا فرنسية ! » وفى الواقع كان ديجول يريد بسياسته هذه أن يضرب عصفورين بحجر واحد : أراد أن يستميل كبار المتطرفين الاوربيين باقناعهم بأنه لم يتخل عن مبدأ الجزائر « فرنسيه » وكان قادة جبهة التحرير يتابعون الموقف بحرص شديد ، بعد أن لمسوا مدى تلهف ديجول وحرصه على وضع حد لحرب الجزائر

وبرغم أن أحمد بن بيللا كان فى سجنه الجديد الذى نقل اليه مع زملائه فى عرض البحر فى جزيرة ايكس الا أنهم كانوا على اتصال دائم بجبهة التحرير فى الجزائر · وظل بن بيللا يدير معارك القتال وهو داخل السجن · وفشلت فرنسا كل الفشل فى أن تعزل بن بيللا ـ الرأس الملتهب ـ عن شعب الجزائر الذى التحق كله بالخلايا الثورية العاملة فى الجبهة : فى الجبال والمدن والقرى ، وفى كل مكان .

وتركزت سياسة جبهة التحرير فى هدفين :

الاول : تشديد عمليات الهجوم على معسكرات الفرنسيين وانزال أكبر خسائر ممكنة بقوات الاحتلال ·

الهدف الثانى : رفض التفاوض مع فرنسا ، الا على أساس الاستقلال، مع وحدة التراب الجزائرى ، وعدم قبول شرط وقف اطلاق النار الا بعد اقرار هذا المبدأ ·

المرحلة الثالثه : لقد خاب ظن الجنرال ديجول الذى جىء به كى يضع حدا لحرب الجزائر ، ويحقق السلام على أرضها · خاب ظنه فى انهيار الثورة بسرعة · وأدرك ــ متأخرا ــ أن التقارير التى وافاه بها الجنرال « شال » والتى تتضمن ان الثورة الجزائرية وشيكة الانهيار من الناحية العسكريه ، تقارير لا تقوم على حقائق واقعية ·

فما كان من ديجول الا أن تراجع خطوة ثالثة الى الوراء عن موقفه الاول ، وأعلن « فى ١٦ من سبتمبر عام ١٩٥٩ » عن انتهاج سياسة جديدة تقوم على أساس « تقرير المصير » ولكن ــ بطريقته ــ أراد أن يخدع الرأى العام العالمى ، ويخادع فى الوقت نفسه جبهة التحرير الجزائرية ، ولكنه فى الواقع كان يخدع نفسه ، اذ أراد ديجول أن يكون « تقرير المصير » على أساس وقف اطلاق النار من جانب جبهة التحرير الجزائرية · وفى الوقت نفسه لم يكن يقصد أن يكف جيش فرنسا بالجزائر عن اطلاق النار ، بل يستمر فى القيام بمهمته وهى المحافظة على السلام وبقاؤه على أرض الجزائر وكذلك القيام بمهمة الدفاع عن وجوده اذا لزم الامر .

وكان ديجول يقصد من وراء هذه السياسة تهيئة ظروف جديدة تعزز جيش فرنسا فى الجزائر وتوفير سلاح نفسى ودبلوماسى يعزز السلاح العسكرى فى محاولات التعجيل بالقضاء على الثورة الجزائرية

وكان ديجول يريد أن يخدع الرأى العام المحب للسلام والمناصر للحريات والمطالب بتصفية الاستعمار بجميع أشكاله وألوانه ، فى العالم فتظاهر باستجابة الرأى العام العالمى بدون أن يتخلى عن سياسته .
وكان ديجول يعتقد أن الرأى العام العالمى ستعلق بذهنه ــ من أول وهلة ــ فكرة «تقرير المصير» دون أن يلقى بالا للقيود التى تصاحبه» ومن بينها تقسيم الجزائر ــ فى حالة التصويت للاستقلال ، تجزئتها على أساس عنصرى طائفى فى حالة تشاركها مع فرنسا ، وبقاء الاقتصاد ــ والتعليم العالى ــ والدفاع ــ والسياسة الخارجية فى يد فرنسا .

وهناك سلاح دبلوماسى نافذ يمكن فرنسا من مواصلة الحرب فى الجزائر من ناحيتها ــ بحجة الدفاع عن كيانها فى الجزائر ــ اذا ما استمرت جبهة التحرير الجزائرية فى عملياتها الحربية ، وبحجة أن « الخصم » هو الذى رفض التفاوض فى نطاق « تقرير المصير » ·

وفى الواقع كان ديجول يريد أن يجعل هزيمة الثورة الجزائرية عسكريا شرطا أساسيا لتحقيق مبدأ « تقرير المصير » وهو فى هذه المرحلة ــ الثالثة ــ من سياسته يدعو الى التفاوض ، وفى الوقت نفسه يضع المراقيل أمام زعماء وقادة جبهة التحرير الجزائرية ، محاولا بذلك القاء تبعة استمرار الحرب ونتائجها على عاتق الجبهة .

وفى دورة الامم المتحدة الرابعة عشرة لعام ١٩٥٩ ، تقدمت مجموعة الدول الاسيوية الافريقية بطلب للجمعية العامة بأن « تسجل بارتياح أن حق تقرير المصير قد قبل كأساس لحل المشكلة الجزائرية من جانب الطرفين المعنيين ، وتدعوهما للدخول فى مباحثات ، لبحث شروط مبدأ تقرير المصير ، وكذلك ترتيبات وقف اطلاق النار »

وقد تقدمت مجموعة الدول الافروأسيوية بتسجيل هذا الطلب بعد أن قبل رئيس الحكومة المؤقتة « فرحات عباس » بمبدأ تقرير المصير ولكن بشروط يراها هو . ولكن هذه « اللائحة » سقطت برغم ذلك حينما عرضت على اللجنة السياسية اذ أنها لم تحصل الا على ٣٨ صوتا . مقابل ٢٦ صوتا ، وامساك ١٧ عضوا عن التصويت وجملة القول أن انتقال صوتين اثنين فقط أو اقتراع خمسة من الممسكين كان كافيا لترجيح الكفة ، والحكم على فرنسا .

ولكن هناك فى الجزائر ، كان لجبهة التحرير الجزائرية موقف آخر ازاء سياسة ديجول ففى الجلسة التى عقدتها الجبهة يوم ١٩٥٩\٩\٢٨ تقرر رفض المشروع الذى يتسم بالغموض ويقوم — فى الواقع — على أساس التفاوض بين عدوين أحدهما منتصر والآخر منهزم . فما كان من المجاهدين الجزائريين الا أن استأنفوا هجماتهم على معسكرات جيش الاحتلال بعد أن ايقنوا ان وسيلة التفاهم مع فرنسا هى الحرب ، هى مقابلة القوة بالقوة ، ورفض كل مساومة حول الاستقلال على أساس وحدة التراب الجزائرى .

ولكن ديجول انتهز فرصة الاعداد لاجتماع الاقطاب واهتمام الرأى العالمى به وحينما أدرك أن سياسته أو بمعنى أدق « لعبته » أوشكت أن تفتضح سارع الى وضع تصريحات أخرى سماها « المطابخ العسكرية » وذلك فى يوم ٤ من مارس عام ١٩٦٠ والتى قال فيها للعسكريين :

« يجب أن تتيقنوا أننا مازلنا فى الجزائر لمدة طويلة جدا . واننا لن نسوى شيئا قبل انتصارنا العسكرى . وانه يجب أن تبقى فرنسا فى الجزائر . فأنتم تحاربون من اجل أن تبقى فرنسا فى الجزائر . »

واستمر ديجول فى سياسته التى ترفض التفاوض السياسى الحقيقى الى نوفمبر عام ١٩٦٠ . وحدث فى هذه الفترة تطور جزئى خفيف ، وهو مطالبة ديجول بوقف العمليات الفدائية قبل الشروع فى التفاوض .

وقد أكد ديجول تمسكه بهذه السياسة عندما أعلن فى ندوته الصحفية يوم ٥ من سبتمبر عام ١٩٦٠ الاعتراف بنفوذ جبهة التحرير « ولكن ليس على كل الجزائر » . وأصر على الفصل بين محادثات ايقاف القتال مع الجبهة ، والمحادثات السياسية مع « كل الاتجاهات » واللهجة نفسها سجلت خلال رحلته فى منطقة الالب فى أول أكتوبر عام ١٩٦٠ وتصريح ٤ من نوفمبر من العام نفسه عندما نطق لاول مرة بعبارة « الجمهورية الجزائرية » التى ستوجد فى المستقبل . ولكن هذا الاعتراف وضعه ديجول فى نطاق الحرب النفسية التى تهدف الى فصل السكان عن الثورة ، كما يدل على ذلك اعلانه فى التصريح نفسه عن « تحقيق الجزائر الجزائرية مع الجزائريين فى الجزائر » أى رفض التفاوض مع حكومة الثورة .

لقد بحث ديجول عن مخرج فلم يوفق الا الى اثارة كل سكان افريقية بتجاربه الذرية فى صحراء الجزائر . وتبخر مع الدخان المتصاعد

من رمال الصحراء كل أمل لديجول فى ضرب الحصار الخانق على الثورة الزاحفة التى سجلت أهدافا عدة رائعة . ففى هذا الوقت كان الشعب الجزائرى يكافح ، والشعوب الافريقية كلها تناضل ، من جبال الجزائر الى أحراج الكونغو الى أدغال انجولا الى غابات رواندا أورندى الى شوارع شاربفيل فى جنوبى افريقية : انه كفاح يؤكد أن مثل مؤتمر برلين فى عام ١٨٨٤ والذى تم فيه تقسيم افريقية بين الدول المشتركة فيه ، كما يتم توزيع الغنيمة المغتصبة بين كبار قطاع الطرق ، ان هذا المؤتمر لن يتكرر ثانية ، وأن لاسيادة من الآن فى افريقية الا للافريقيين .

شعر بن بيللا ببعض الرضا عندما أقرت الامم المتحدة فى دورتها الخامسة عشرة حق الشعب الجزائرى فى تقرير المصير ، بل أيضا حقه فى الاستقلال .

كان يؤمن هو وزملاؤه جميعا بأن طريق الكفاح والحرب والدماء هى الطريق الأمثل للحصول على الاستقلال من فرنسا . ولكنهم جميعا يؤمنون بميثاق الامم المتحدة والدور الذى يمكن أن تؤديه هذه الهيئة العالمية فى قضية الجزائر .

تقدم ٢٤ بلدا أفروأسيوى بمشروع قرار ينص على وجوب اشراف الامم المتحدة على كل عملية استفتاء . وأيدت هذا المشروع أمام اللجنة السياسية بعض الدول وعارضت بعضها ، وامتنع البعض الآخر عن التصويت .

وأدخل على مشروع القرار تعديل ، باضافة فقرة تنص على ما يأتى :

« توصى الجمعية العامة باجراء استفتاء فى الجزائر تحت اشراف الامم المتحدة ، استفتاء يمكن الشعب الجزائرى من أن يحدد مصير بلاده بكل حرية » .

وصادقت الامم المتحدة على اللائحة المقدمة ، وبذلك خطت القضية الجزائرية خطوات كبيرة الى الامام .

فالامم المتحدة أقرت بأن الوضع الحالى فى الجزائر يكون تهديدا للسلم العالمى مما أدى بها الى رفض وجهة النظر الفرنسية القائلة بأن القضية الجزائرية قضية فرنسية داخلية .

واعترفت الامم المتحدة بأن هناك طرفين فى النزاع هما الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ، وذلك عندما أقرت بأن الطرفين المعنيين قد قبلا حق تقرير المصير كأساس لحل المشكلة الجزائرية .

كما اعترفت الامم المتحدة ليس فقط بحق الشعب الجزائرى فى تقرير المصير وانما أيضا بحقه فى الاستقلال .

وحكمت الامم المتحدة على كل مشروع فرنسى يرمى الى تقسيم الجزائر وذلك عندما أوصت باحترام وحدة وسلامة التراب الجزائرى.

وساندت الامم المتحدة موقف الحكومة المؤقتة للجمهوريةالجزائرية حين ذكرت بأنه « من المحتم تحديد ضمانات ناجحة فعالة حتى يمكن تقرير المصير بعدالة ونجاح » .

وصرحت الامم المتحدة عن نيتها بالاضطلاع بمسئولياتها فى الضمانات ونزاهة الاستشارة الشعبية ، وذلك حين سلمت جدلا بأن على المنظمة الدولية مسئولية المساهمة فى تحقيق المصير بعدالة ونجاح.

الافراج عن بن بيلا

أصبح للجزائريين بفضل الثورة وعى لم يكن موجودا من قبل ٠ هكذا اعترف ديجول بقوة الشعب الجزائرى بعد مظاهرات ١٠ من ديسمبر عام ١٩٦٠ ، مع انه كان قبل ذلك بأربع وعشرين ساعة يشيد بدور الجيش الفرنسى فى تحقيق التآخى بين الجزائريين والاوربيين . لقد كانت هذه المظاهرات التى قام بها الشعب عاملا حاسما فى حمل ديجول على التخلى عن سياسة « تحقيق الجزائر الجزائرية بدون الجبهة » فقد أكدت له أن محاولاته السابقة لم تنجح فى فصل السكان عن الثورة ، بل ان الثورة هى التى نجحت فى تجنيد الجماهير وراءها بكيفية لم يسبق لها نظير بين أمم الارض قاطبة .

واستمر ديجول فى سياسة التهرب من التفاوض الحقيقى مع الحكومة الجزائرية ، واحتفظ فى بدء المرحله الرابعة من سياسته ازاء الجزائر بامكانيات اللعب والمناورة عندما أقام استفتاء يوم ٨ من يناير عام ١٩٦١ على أساس متناقض : انهاء الحرب بوساطة « المقابلات السلمية » من جهة ، أى بالتفاوض ، ومن جهة أخرى وضع قاعدة « شرعية » لتنصيب هيئة تنفيذية فى نطاق فكرة الجزائر الجزائرية الموجودة فى المرحلة السابقة .

وأعلن ديجول فى خطاب له القاه فى فبراير عام ١٩٦١ لاول مرة بأنه يسلم بالدولة الجزائرية التى يريدها الجزائريون ، والتى ستكون مستقلة فى الداخل والخارج .

وعلى أثر هذا الخطاب بدأت الاتصالات السرية من الحكومتين للتمهيد الى مفاوضات ايفيان الاولى التى بدأت فى ٢٠ من مايو عام ١٩٦١ واستمرت الى ١٣ من يونيو عام ١٩٦١ ثم توقفت بسبب مناورات فرنسا داخل قاعة المفاوضات واصرارها على فصل الصحراء الجزائرية عن الجزائر ، واصرارها على منح الجنسية المزدوجة للأقلية الاوربية فى الجزائر ٠ مما يجعل منها دولة داخل دولة ، وتهديدها بتقسيم الجزائر فى الشمال اذا لم ترضخ حكومة الثورة لشروط فرنسا التعسفية فيما يتصل بمشكلة الأقلية الاوربية ووحدة التراب الوطنى ، ووحدة الشعب الجزائرى ، كذلك اصرار فرنسا على الاحتفاظ ببعض القواعد العسكرية الى الابد ٠

كل هذه العوامل أدت الى اخفاق مفاوضات ايفيان ، فقد كان ديجول يريد استقلالا شكليا مزيفا محاطا بقيود وسلاسل تجعل منه مهزلة مضحكة ، وبالطبع أدى هذا الموقف المتعنت من طرف فرنسا الى تأجيل المفاوضات الى أجل غير مسمى .

انه العنـاد نفسه والمكابرة من جانب ديجـول . أليس هـو الذى طلب من قادة الثورة الجزائرية فى نوفمبر عام ١٩٥٩ التوجه الى باريس للبحث فى شروط وقف اطلاق النار ؟ ويومها اجابته الحكومة الجـزائرية فى ٢٠ من نوفمبر بتعيين الوزراء الجزائريين المعتقلين فى فرنسا وهم : بن بيللا وبوضياف وبيطاط وخيضر واية أحمد ، للتفـاوض مع فرنسـا باسـم الثـورة الجـزائرية ، غـير أن ديجـول رفض ذلك بدعوى أنه يريد التفاوض مع المقاتلين فى الجزائر لا مع المعتقلين فى السجون . وكانت مغالطة من دى جول الذى يعرف أن هؤلاء يشرفون على المعارك الدائرة فى كل لحظة على أرض الجزائر .

ولم يسلم دى جول بالاستقلال الكامل فى الجزائر . ان سياسـته تبذل مجهودات كبيرة للاحتفـاظ بقواعد الاستعمار الاقتصـادى فى الجزائر . وعرفت قيادة جبهة التحرير كيف تضـغط على دى جول وتجبره على الرضوخ تحت ضغط الكفاح المسلح ونضال الجمـاهير الجزائرية .

وقامت مظاهرات ضخمة يوم ٥ من يوليو عام ١٩٦١ ، فى الجزائر ، فاضطرت الحكومة الفرنسية يوم ٢٠ من يوليو ان تستأنف المفاوضات من جديد فى قصر لوجران قرب الحدود السويسرية بين وفد الحكومة الجزائرية ووفد فرنسا .

ولم تستمر هذه المفاوضات هذه المرة أكثر من أسـبوع ، قطعت نظرا لاصرار فرنسا على فصل الصحراء الجزائرية عن الجزائر . فقد سلمت بوحدة الجزائر فى الشمال ، واعتبرت الصحراء مشكلة قائمـة بذاتها ستسوى فيما بعد بين الجزائر المستقلة وفرنسا .

وقـد انتظر ديجـول من قطع مفاوضـات لوجران ، أن يجـر بعض المتاعب لحكومة الثورة فى الميدان الداخلى على الأخص . ولكن نضج الشعب كان من العمق والشمول بحيث ظهرت مسئولية الاسـتعمار الفرنسى فى توقف المفاوضات واضحة .

ويبـدو أن الجنرال ديجـول يئس من خـداع الشـعب الجـزائرى وتيقن أنه من العبث صرفه عن ثورته . فهو فى خطابه يوم ٢ من أكتوبر ، يسلم بضرورة التفاوض السـياسى مع جبهة التحـرير ، على قاعدة الاستقلال ، وهى القاعدة التى ما انفكت الثورة تطالب بالتفاوض على أساسها منذ عام ١٩٥٤ ، كما أنه أبعد فى هذا الخطاب لغة التهـديد وتقديم « شروط المنتصر » وأصبح يتحدث بلغة التعاون الحر .

وتساءل أحمد بن بيللا عندما كان يستعرض سياسـة ديجول ازاء الجزائر منذ مجيئه للحكم :

ماذا كانت فائدة التسويف والمخادعات والمماطلة منـذ ثلاث سنوات كاملة ... ثلاث سنوات دفعت الجزائر ثمنها دماء وضـحايا وحربا ، ودفعتها فرنسا خسائر فى الارواح والعتاد والسمعة والنفوذ ، وتدهورا فى الحكم ، وانهيارا وانحلالا وتفسخا فى جميع الميادين ... ثلاث سنوات من الاعمال الوحشية والحرب الشاملة لم تنجح فى ايقاف

سير الشعب الجزائرى نحو الاستقلال ولم تكسب فرنسا من جراء ذلك مكسبا ولو هينا . لقد كان فى استطاعة ديجول أن يحقق هذه الخطوة دفعة واحدة فى سنة ١٩٥٨ أو بعدها بقليل . ولو فعل ذلك لكان فى الامكان أن يطلق على خطوته انها « تاريخية » عملاقة • ولكن ديجول فضل أن يسير سيرا حلزونيا .. وسنرى كيف تدور عليه الدوائر !

* * *

فى ٢٧ من اغسطس عام ١٩٦١ تشكلت وزارة جزائرية جديدة . فقد قرر المجلس الوطنى للثورة الجزائرية بعد اجتماعه فى ليبيا اعادة تشكيل الحكومة الجزائرية على الشكل التالى :

بن يوسف بن خده : رئيسا للوزارة ووزيرا للمالية •
كريم بلقاسم : نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية .
أحمد بن بيللا : نائب رئيس الوزراء .
محمد بوضياف : نائب رئيس الوزراء .
سعد دحلب : وزير الشئون الخارجية
عبد الحفيظ بوصوف : وزير التسليح والمواصلات
حسين آية أحمد : وزير دولة
الاخضر بن طوبال : وزير الدولة
رابح بيطاط : وزير دولة
محمد خيضر : وزير دولة
محمد السعيدى : وزير دولة
محمد يزيد : وزير الاستعلامات

وبدأت الاتصالات السرية بين حكومة الثورة الجديدة برياسة بن يوسف بن خده والحكومة الفرنسية فى أماكن متعددة من أوربا •

وفى ٢٦ من أكتوبر نقل أحمد بن بيللا الى مكان مجهول ، بعد أن تلقت السلطات الفرنسية معلومات تفيد ان المجاهدين وضعوا خطة لخطفه • كانت فرنسا تنوى أن تنقل بن بيللا من ايكس الى فرنسا ، فى منزل تحدد فيه اقامته ليكون قريبا من المفاوضات . ولكنها الآن تضاعف الحراسة عليه ، فهى تعرف مدى بطولة الفدائيين الجزائريين.

وتمضى عشرة أيام ٠٠ ساءت خلالها صحة بن بيللا ، وتدهورت • وطالب المعتقلون بضرورة الافراج عن عميدهم قائد جيش التحرير وزملائه الذين اختطفتهم فرنسا • ولم تستجب فرنسا لمطالبهم • فأعلنوا اضرابهم عن الطعام ابتداء من ٢ من نوفمبر عام ١٩٦١ احتجاجا على رفض السلطات الفرنسية الافراج عن الزعيم احمد بن بيللا ، وكان هو على رأس المضربين عن الطعام .

وبدأت المظاهرات الوطنية تجتاح المغرب للمطالبة باطلاق سراح احمد بن بيللا بل وتهاجم دار السفارة الفرنسية فى الرباط . وطالب

الملك الحسن الثانى ملك المغرب بالافراج عن بن بيللا تفـاديا لنتائج خطيرة فى العلاقات بين فرنسا والمغرب : الملك الحسن ترسب فى أعماقه، بل وفى ذكرياته ، صور مؤلمة عندما تم خطف الزعماء الجزائريين بعـد أن تعهد الملك محمد بن يوسف بحمايتهم فوجهت فرنسا ضربة مؤلمة الى كرامته .

وفى منتصف شهر نوفمبر نقل احمد بن بيللا الى مستشفى للسل الرئوى ، واعلن الاطباء أنه مهدد بفقد البصر بين لحظة واخرى . بل وراجت اشاعات بأنه سيموت وأنه يعاني من الاغماء هـو والزعماء الآخرون . وفى اليوم التالى كان رد الفعل واضحا فى جميع انحاء الوطن العربى من المحيط الاطلسى الى الخليج العربى . فقد عم الاضراب لمدة ساعة فى يوم ١٦ من نوفمبر فى جميع الدول العربية .

وصرح ديجول فى ذلك اليوم للوزراء الثلاثة الذين أوفدهم الملك الحسن للتوسط فى الازمة الجزائرية بأن الزعيم أحمد بن بيللا سوف يرسل الى المغرب عقب وقف اطلاق النار فى الجزائر .

واجتمعت اللجنة السياسية التابعة للجمعية العامة للامم المتحدة وواصلت مناقشة القضية الجزائرية ، وطالب بعض أعضـاء المنظمة الدولية بحث الجانبين الفرنسى والجزائرى على استئناف المحـادثات بينهما ، وضرورة الاتفاق على وقف اطلاق النار فى الجـزائر ، وذلك لتهيئة الظروف الملائمة لانجاح هـذه المفاوضـات ، وضرورة اطلاق سراح الزعماء الجزائريين بن بيللا وزملائه ، وان تطلب الامم المتحـدة من منظمة الصليب الاحمر الدولية تقديم تقرير عن حالة المعتقلين الجزائريين فى السجون الفرنسية .

وفى ٢٠ من ديسمبر عام ١٩٦١ أقرت الجمعية العامة مشروع قرار آسيوى افريقى يرغم فرنسا على الدخول فى مفاوضـات مباشرة مع حكومة الجزائر الوطنية ، وذلك بأغلبية ٦٢ صـوتا ضد لا شيء ، وامتناع ١٨ دولة عن التصويت ، ولم تحضر فرنسا الجلسة مغالطـة منها ، بل واصرت أن تضع عصـبة على عينيها لتحجب عنهـا نور الحقيقة !

وتفنن المجاهدون فى شن الهجمات على قوات فرنسا !

وتفننت فرنسا فى أعمالها الاجرامية فى القتل الجماعي ، وتعذيب الشعب الجزائرى : فقد قتل السفاحون الاطفال وبقروا بطون الامهات، وانتهكوا أعراض النساء ، ومثلوا بجثث الشهداء . وذاق المسـجونون شتى أنواع العذاب والتهديد ، فقطعت أيديهم وآذانهم ، ونزعت أظفارهم وفقئت أعينهم ، واشعلت النيران فى اجسامهم وهم أحيـاء ، وسلط عليهم التيار الكهربى ، وغمست رءوسهم فى المياه حتى الموت ، وأطلقت عليهم الكلاب المفترسة تنهش اجسادهم . والجنود الفرنسيون يطلقون الرصاص فى صدور المجاهدين كى يشفوا غليلهم ، ويربطـون الأسرى بالعربات التى تنطلق مسرعة حتى تتمزق أجسادهم على الصـخور ، ويصلبون الابرياء فى جذوع الشجر حتى الموت جوعا وعطشا ، وكثيرا

ما أشعلت النيران فى فجوات بالارض ثم القى فيها بالمسجونين جماعات ، من النساء والفتيات والرجال والاطفال والمسنين .

النيران تشتعل فى القرى ، بل وتهدم هـــذه القرى بأكملها على المسالمين ، الذين لا ينشدون الا الحرية والسلام .

فى تلمسان بلد احمد بن بيللا هدمت المدارس وقتل الجنود مدرسيهـا واعدموا تلاميذها • واشعلت النيران فى القرى • فخرج الاهالى ليجدوا أنفسهم مساقين الى معتقلات التعذيب والاعدام • قرى باكملها خلت من أهلها وانعدمت فيها الحياة ، وران عليها الخراب والدمار وصـــفرت فى طرقاتها الرياح • وبين الحطام والركام والاطلال ترددت آمال الحــرية والاستقلال !

ولكن هذا كله يكلف فرنسا ثمنا غاليا ••• ثمنا جعلها تنزل الى دولة ليست من الدول الكبرى ولا تملك من امكانياتها شيئا الآن • حرب الجزائر تكلفها اكثر من ألف مليار فرنك سنويا •

وشهدت الشهور الاولى من عام ١٩٦٢ اجتماعات هامة وحاسمـة فى تاريخ الجزائر وفى تاريخ فرنسا المكابرة •

اجتمع ديجول برئيس مجلس الشيوخ الفرنسى ، كما اجتمع برئيس الجمعية الوطنية الفرنسية للاستشارة حول احتمال دعوة البرلمان الىعقد دورة استثنائية لدراسة مشروعات الاتفاق بين الحكومة الفرنسية وحكومة الجزائر المؤقتة • ثم عقد ديجول بعد هذا اجتماعا بلجنة الدفاع الوطنى برياسته ، وحضر الاجتماع ميشيل دوبريه رئيس الوزراء ووزير القوات المسلحة وبعض القادة العسكريين •

وفى اليوم التالى ، فى ٢٤ من فبراير عام ١٩٦٢ وفى قاعة مجلس الشيوخ فى ليبيا ، وستار من السرية التامة يلف المكان والزمان ، عقد المجلس الوطنى للثورة الجزائرية اجتماعه لبحث مشروع الاتفاق مـــع فرنسا • وكان اجتماعا هاما وحاسما مثل كل الاجتماعات •

وفى اليوم التالى أيضا كان ديجول يعقد الاجتماع الثانى مع قـواد الجيش والاسطول والطيران لوضع الخطة النهائية لمواجهة أى انقـــلاب محتمل يقوم به المتطرفون اليمينيون ضد حكومته عند اعلان وقف اطلاق النار •

وتعرب الدوائر القريبة الصلة بالجيش عن تفاؤلها برغـم السرية التامة التى تحيط باجتماعات القادة فى طرابلس او باريس • ولكن جيش التحرير الجزائرى كله متحفز وحريص ويشن هجماته الفدائية فى بطولة رائعة • أعمال العنف تبلغ أشدها ويحدث هجوم كل عشرين دقيقة ••• وضحايا يتساقطون بالآلاف من أجل اليوم الموعود الذى بات قريبا •

أرسل الملك الحسن الثانى رسالة مع سفيره فى فرنسا سلمهـــا للزعيم أحمد بن بيللا فى المعتقـل ، وقيـل يومها ان بن بيللا ورفاقه قـد اشتركوا من الناحية الفعلية فى اجتماع المجلس الوطنى للثورة الجزائرية المنعقد فى طرابلس •

وفى مساء ٢٥ من فبراير عام ١٩٦٢ كانت لحظات حاسمة على الطريق الذى يسير فيه كفاح الجزائر ونضالها نحو الاستقلال والحرية •

اعترفت فرنسا لاول مرة منذ أن احتلت الجزائر بحق أبناء الجزائر فى الاستقلال بعد أن كانت تصر على أن الجزائر فرنسية وانها ولاية فرنسية •• واعترفت فرنسا لاول مرة بأن أرض الجزائر وحدة لاتتجزأ، بعد أن كانت تطمع دائما فى الصحراء ، فى الكنز الجزائرى ، تريد أن تقتطعه لتستغل ثرواته • واعترفت لاول مرة كذلك بحق الزعيم الجزائرى احمد بن بيللا فى الاشتراك فى المفاوضات وابداء رأيه فى مستقبل وطنه• وهو الحق الذى كانت تنكره عليه منذ اختطفته قبل أكثر من خمس سنوات !!

كان اعتراف فرنسا بهذه المسائل الثلاث من الاسباب التى أدت الى نجاح المباحثات الاخيرة الخاصة بالجزائر ، والتى انتهت الى وضع مشروع اتفاق رسمى وافقت عليه الحكومة الفرنسية • وهذا هو اليوم الرابع لاجتماعات المجلس فى طرابلس لبحث المشروع من جميع نواحيه• وكانت الاجتماعات تطول حتى تستمر الى وقت السحور ليتمكن الاعضاء الأربعة والخمسون من انجاز المناقشة والدراسة بسرعة •

وتنتظر الحكومة الفرنسية بين لحظة وأخرى وصول رسالة من الحكومة الجزائرية تتضمن قرار مجلس الثورة فى شأن الاتفاق • فحالما تصل الموافقة من مجلس الثورة الى باريس سيعلن ديجول بنفسه نبأ وقف القتال فى الجزائر • ألم يكن ديجول نفسه هو الذى طلب أن يتولى الاعلان عن ذلك عندما توافق الجزائر على مشروع الاتفاق الذى سيضع حداللحرب الدامية هناك ؟

وهذا الاتفاق سبقته جهود مضنية ومباحثات سرية بدأت فى أواخر ديسمبر عام ١٩٦١ ، وجرت فى أكثر من مكان ، فى المغرب وفرنسا وسويسرا ، وكان آخرها تلك الاجتماعات التى اشترك فيها أربعة من الوزراء الجزائريين مع ثلاثة من الوزراء الفرنسيين ، وانتهت فى منتصف فبراير عام ١٩٦٢ الى وضع مشروع الاتفاق •

وقد قام كريم بلقاسم نائب رئيس وزراء الجزائر ورئيس وفدها فى المفاوضات وبصحبته الأخضر بن طوبال وزير الدولة ، ومحمد يزيد وزير الاستعلامات بزيارة لقصر « أونوا » الذى يقيم فيه بن بيللا وزملاؤه المعتقلون معه فى فرنسا • وتمت الزيارة بضمان ديجول شخصيا خلال الايام الاولى من شهر فبراير ١٩٦٢ •

وفى اجتماع طويل عقد فى « أونوا » فى سرية كاملة وتحت حراسة مشددة بحث الوزراء الثلاثة مع اخوانهم بن بيللا وبوضياف وخيضر وحسين آية وبيطاط ، كل مايتصل بالاتفاق مع فرنسا •

ووضع الزعماء الجزائريون الثمانية معا الخطوط الرئيسية لاتفاق وقف اطلاق النار حتى اذا ماقبلت فرنسا شروطه عرض على المجلس الوطنى للثورة الجزائرية فى اجتماع غير عادى يعقده فى طرابلس لهذا الغرض •

وعلى هذا الاساس جرت المناقشـــــة بين المفاوضين الفرنسيين والجزائريين .. وتناولت المباحثات خمس نقط رئيسية هى :

أولا : وقف اطلاق النار :

وطلب الجــــانب الفرنسى ضرورة موافقة المجلس الوطنى للثورة الجزائرية على قرار وقف القتال بالذات .

وطلب الجانب الجزائرى ضرورة بدء فرنسا بسحب قـــواتها التى نقلتها الى الجزائر عقب قيام الثورة عام ١٩٥٤ .

ووافق كل من الجانبين على شروط الآخر ، وأعلنت فرنســا أنها ستبدأ فورا عمليات سحب الجنود الفرنسيين من الجزائر .

ثانيا : فترة الانتقال :

طلب الجانب الفرنسى أن يؤلف مجلس تنفيذى مشترك يدير شئون الجزائر لمدة أربع سنوات على الاقل ، ويتناوب رياسته مسئولون جزائريون وفرنسيون على أن يتولى المجلس اجراء استفتاء تقرير المصير .

ورفض الجانب الجزائرى هذا الطلب ، وقال اذا كان لابد من وجود مجلس تنفيذى يمهد لعملية الاستفتاء ، فلا يجب أن تزيد مدته بأية حال على بضعة أشهر فقط ، ولتكن ستة ، كما يجب أن يكون رئيس المجلس جزائريا من أعضاء جبهة التحرير .

وانتهت المناقشة حول هذه المسألة الى أن تكون مهمة المجلس موقوتة بستة أشهر فقط ، وأن يرأسه جزائرى يتفق عليه الطرفان ، دون اشتراط لعضويته لجبهة التحرير .

وقد تم الاتفاق بالفعل على اختيار عبد الرحمن فارس رئيس المجلس الادارى السابق للجزائر وهو مجاهد وطنى فى الثالثة والاربعين من عمره ومعتقل منذ مدة فى فرنسا .

ثالثا : القواعد العسكرية :

وصل المفاوضون الى النقطة الخاصة بالقواعد العسكرية التى تطلبها فرنسا والتى ترفضها الجزائر ، وقد كانت هذه النقطة بالذات من أعقـــد المشكلات التى واجهها المفاوضون وكادت المباحثات تقطع بسببها أكثـــر من مرة .

أصر الفرنسيون على ضرورة الاحتفاظ بقـــاعدة « المرسى الكبير » بمقتضى معاهدة عسكرية خاصة .

ورفض الجزائريون المبدأ على الاطلاق ، فاقترح الفرنســـــيون أن يستأجروا القاعدة لمدة عشرين سنة على الأقل قابلة للتجديد .

وقبل الجزائريون مبدأ التأجير ، ولكنهم رفضوا المدة وطلبوا ألاتزيد على عشر سنوات وعاد الفرنسيون فطالبوا بخمس عشرة سنة .

رابعا : وضع المستوطنين :

طالب الجانب الفرنسى بأن يكون للمستوطنين فى الجزائر ـ ومعظمهم من الفرنسيين ـ حق الاحتفاظ بجنسياتهم الاصلية الى جانب تمتعهـــم بمزايا وحقوق الجنسية الجزائرية الجديدة ، أى التمتع بما للمـــواطنين الجزائريين من حقوق سياسية ومدنية •

ورفض الجانب الجزائرى تمييز المستوطنين بهذه الصـورة ، واقترح أن يخير هؤلاء المستوطنون بين الاحتفاظ بجنسياتهم الأصلية ، وعندئذ يعاملون معاملة الاجانب أو اكتساب الجنسية الجزائرية الجديدة فيعاملون بذلك كمواطنين لهم ما للجزائريين الاصليين من حقوق وعليهم ما عليهم من واجبات •

ووافق الجانب الفرنسى على وجهة النظر الجزائرية من حيث المبـدأ على أن يترك حق الاختيار بالنسبة للمستوطنين مفتوحـــا لمـــدة أربع سنوات •

ورفض الجانب الجزائرى هذه المـدة الطويلة ، وطلب آلا تزيد على سنتين ، ووافق الجانب الفرنسى •

خامسا : الصحراء الجزائرية :

جرت المناقشة حول مسألة الصحراء على أساس اعتراف فرنســا مقدما بأن الصحراء جزء لايتجزأ من أرض الجزائر أى أن سيادة الدولة الجزائرية الجديدةتمتد الى كل حفنة من تراب الجزائر، وأصبحت المفاوضات مقصورة على كيفية استغلال ثروات الصحراء من بترول وغـــاز طبيعى ومعادن وغير ذلك •

وطالب الجانب الفرنسى بأن يكون نصيبه هووالدول الاوربية الأخرى الثلثين ـ ويبقى الثلث للجزائر •

ورفض الجانب الجزائرى على أساس أنه لايستطيع أن يحدد من الآن كيفية استغلال ثروات الصحراء فى المستقبل ، وان كان يعد بأن يتم ذلك داخل نطاق من التعاون الفنى والمالى مع فرنسا •

وطالت المناقشة فى الموضـــــوع ، وانتهت الى الاتفاق على أن يتم استغلال ثروات الصحراء مناصفة بين الجانبين •

***

فى هذه اللحظات التى كان يجتمع فيها الجانبان كان نشاط المنظمة المسلحة السرية الفرنسية فى ازدياد • وكثرت الاعمال الارهابية والجرائم الوحشية التى ترتكبها العصـــابات السرية ضـــد المدنيين الجزائريين الأبرياء •

واجتمع من جديد المجلس الوطنى للثورة الجزائرية فى طرابلس يوم ٢٦ من فبراير عام ١٩٦٢ لمناقشة مشروع الاتفاق ورأى المجلس ادخـال بعض التعديلات عليه ، وتم اتصال سريع لابلاغ الحكـــومة الفرنسية بالقـرار •

ورؤى لهذا تأجيل انتهاء دورة المجلس الى عدة أيام أخرى ، وبقى أعضـــاء المجلس الوطنى للثورة الجزائرية فى طرابلس حتى تلقوا رأى الحكومة الفرنسية فى الاعتراضات التى أبديت على المشروع •

ووافقت الحكومة الفرنسية على المطالب الجديدة للجزائريين وأهمها :

أولا : تتعهد فرنسا بالبدء فى اخلاء سبيل المعتقلين الجزائريين فى فرنسا والجزائر بمجرد اعـــلان اتفاق وقف اطلاق النـــار • على أن يتم الافراج عن المعتقلين جميعا فى خـــلال أسبوعين على الأكثر ، ويبلغ عدد المعتقلين فى الجزائر نحو نصف مليون وطنى ، أما الذين فى فرنســـا فعددهم نحو ستين ألف جزائرى •

ثانيا : تخفيض فترة الانتقـــال التى يتم فيهـــا التمهيد لاجـــراء الاستفتاء الخاص بتقرير المصـــير فى الجزائر الى أقل وقت ممكن بحيث لا تزيد هذه الفترة على أربعة أشهر ، وكان المفاوضون الفرنسيون قـــد طلبوا جعل هذه الفترة أربع سنوات •

ووافقت فرنسا على خفضها الى أربعة شهور فقط •

وبدأت الاستعدادات تجرى لاعلان وقف اطلاق النار فى الجزائر • كان هذا يتطلب جهودا جبارة من جانب المسئولين الفرنسيين والجزائريين على حد سواء •

وقرر أعضاء مجلس الثورة الجزائرى فى اجتماعهم التاسع ألا يعلن شىء عن الاتفاق الخاص بوقف اطلاق النار الا بعد أن تنتهى اجتماعاتهم فى طرابلس ويغادروها فعلا • وبعد وصول العسكريين الى داخل الجزائر حيث ترابط قوات جيش التحرير فى مواقعها هناك •

وحشد ديجول ثلاثين ألف جندى حول مدينة الجزائر وحدها لمواجهة أى انقلاب تقوم به المنظمة السرية لعرقلة الاتفاق •

وقد تمكنت السلطات الفرنسية من اعتقال اثنين من زعماء المنظمة السرية فى منطقة باريس •

وكانت لحظة تاريخية حاسمة عندما أعلن مجلس الثورة الجزائرية بيانه •

« عقد المجلس الوطنى للثـــورة الجزائرية اجتماعا فوق العـــادة بطرابلس الغرب من ٢٢ من فبراير الى ٢٧ من فبراير وبعد مناقشـــات حول المفاوضات مع الحكومة الفرنسية فوض المجلس الوطنى لثورة الجزائر الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مهمة مواصلة المفاوضـات الجارية ».

هكذا بعد الاجتماع العاشر فوضت الحكومة فى اتخـاذ الاجراءات الرسمية لتوقيع الاتفاق ، واعلان وقف اطلاق النار ، وانهاء الحرب التى استمرت ٨٨ شهرا بين جيش التحرير والقوات الفرنسية ورحبت الدوائر

الفرنسية بقرار مجلس الثورة الجزائرى » وبعدها بلحظات كان متحدث باسم الحكومة الفرنسية يعلن أن ممثلى الحكومة الفرنسية والجزائريه سيعقدون اجتماعا علنيا بعد بضعة أيام فى باريس ·

وعندما وصلت الى الجزائر ـ أرض المعركة ـ أنباء ما حدث فى مجلس الثورة ، والبيان الذى أذيع ، كان رجال منظمة الجيش السرى قد تأهبوا لعملية انتقامية جديدة من عملياتهم الارهابية الوحشية ضد الوطنيين ·

وأصدر الجنرال « راءول سالان » رئيس المنظمة المسلحة السرية وثيقة خطيرة تتضمن خطة العمل للمنظمة الارهابية الفاشية لتدبير المذابح فى الجزائر واشاعة الفوضى والحرب الأهلية فى فرنسا ذاتها · وقد كشفت الوثيقة رقم « ١٩ » هذه الصعوبات التى تواجهها المنظمة الارهابية فى هذه اللحظة الحاسمة ·

وكان على الحكومة الفرنسية التى تمر بلحظاتها التاريخية الهامة أن تتخذ قرارها ·

وقررت الحكومة الفرنسية وضع برنامج سياسى على النحو التالى :

١ ـ دعوة البرلمان الفرنسى فى المدة بين ٨ الى ١٣ من مارس عام ١٩٦٢ للاستماع لخطاب من رئيس الجمهورية أو تصريح من الحكومة الفرنسية ·

٢ ـ اجراء استفتاء يوم ٨ من ابريل للمصادقة على الاتفاقية الخاصة بالجزائر ·

٣ ـ اجراء انتخابات يوم ٩ من ابريل عام ١٩٦٢ ·

واجتمعت حكومة الجزائر الوطنية فى تونس برياسة يوسف بن خدة لبحث التعليمات التى ستزود بها وفدها فى اجتماعات وفدى المفاوضات الفرنسية الجزائرية ، ولبحث نقطتين هما :

١ ـ السيادة على الجزائر خلال فترة الانتقال التى حددت بأربعة أشهر : وفرنسا تصر على أن تكون لها السيادة بمقتضى الامر الواقع ، فى حين أن الحكومة الجزائرية ترى فى ذلك ما يخل بضمان حرية الاستفتاء. وبهذا يجب ايجاد طريقة تكفل ضمان هذه الحرية ·

٢ ـ وضع حكومة الجزائر المؤقتة : ويطالب الفرنسيون بحلها بحجة أن الموقف بعد الاتفاق على وقف اطلاق النار لم يعد يستدعى قيامها ، وبخاصة عندما يؤلف المجلس التنفيذى لفترة الانتقال ·

وبدأت الاستعدادات تجرى لاجراء المرحلة الأخيرة فى المفاوضات ·

واختيرت مدينة « ايفيان » الفرنسية على الحدود السويسرية وأحيطت هذه الاستعدادات بسرية كاملة كيلا تفسد الخطة ·

اللحظات القادمة تحمل الكثير : فالمحادثات الفرنسية الجزائرية تناولت خمس مسائل ماتزال معلقة بين الجانبين :

أولا : المدة التى ستستغرقها فترة الانتقال بين اعلان وقف اطلاق النار واجراء الاستفتاء حول تقرير المصير ، حيث أن الجانب الجزائرى يريد تخفيض هذه المدة الى أقصى حد ممكن ٠

ثانيا : تأليف الجهاز التنفيذى المشترك الذى سيتولى الادارة فى الجزائر خلال فترة الانتقال ، ولم يتم الوصول بعد الى اتفاق بشأن الجهاز التنفيذى الذى سيكون جزائريا فى الأغلب ، وكذلك بشأن عدد اعضائه: هل يكونون تسعة أعضاء أو اثنى عشر عضوا ؟

ثالثا : القوة المحلية التى ستكون اداة الجهاز التنفيذى لصيانة النظام خلال فترة الانتقال وقوامها ٣٥ ألف جندى ٠ ففرنسا تريد أن تتألف هذه القوة من الجزائريين الذين يعملون بالجيش الفرنسى على أن يقودهم ضباط فرنسيون على حين أن الجزائر تريد أن تشمل القـــوة وحدات من جيش التحرير الجزائرى ٠

رابعا : موعد الانسحاب التدريجى للجيش الفرنسى ٠ والمعروف أن القوات الفرنسية ستبقى فى الجزائر من حيث المبدأ ثلاث سنوات ، ولكن الجزائريين يريدون تخفيض عددها وتركيزها فى بعض القواعد ٠

خامسا : اطلاق سراح المعتقلين الجزائريين فى فرنسا والجزائر ٠ ففرنسا تريد الافراج عنهم تدريجيا والبدء بالذين صدرت ضدهم أحكام خفيفة على حين يريد الجزائريون اصدار عفو شامل مرة واحدة ٠

وفى ٧ من مارس بدأت المرحلة النهائية فى مفاوضات الســـلام ٠ جرت المفاوضات فى فندق « دي بارك » فى « ايفيان » وهو المكان الذى جرت فيه قبل عشرة أشهر المرحلة الأولى من المفاوضات التى لم يكتب لها النجاح فى ذلك الوقت ٠ ثم استؤنفت فى « لوجران » بلا نتيجة ٠ وعاد الطرفان الى محاولة ثالثة ٠ واستطاعا أن يصلا الى اتفاق ، عرض مشروعه على الحكومة الفرنسية فأقرته ، وعلى المجلس الوطنى للثورة ، فأقر معظم ما جاء فيه ٠ ولقد طار الوفد الجزائرى الى سويسرا يوم ٦ من مارس عام ١٩٦٢ وفى اليوم التـــالى كانت ثلاث طائرات هليوكوبتر تابعة للجيش السويسرى تنقل أعضاء الوفد من مقــــره السرى عبر بحيرة جنيف الى الحدود الفرنسية ٠ وفى ميــــاه البحيرة كانت فرق الانقاذ والضفادع البشرية تتابع الطائرات المحلقة فوقهـــا اســـتعدادا لأى طارىء ، وعلى الارض كانت المدافع المضادة للطائرات قد حشدت على استعداد للعمل وفوهتها متجهة الى السماء ٠

وفى مدينة الاستشفاء الصغيرة ــ ايفيـــــان ــ أحضرت السلطات الفرنسية ألفين وخمسمائة جندى لحراسة وفدى المفاوضات ٠ كما أحضرت عددا من السيارات المصفحة والمدافع المضادة للطائرات . وفرضت رقابة شديدة على منافذ المدينــــة حتى لا يمر ارهابى واحد من رجال المنظمـــة المسلحة السرية فيفسد جو المفاوضات أو يعتدى على أحد ٠

والجو الذى يسود هذه المفاوضات جو غريب، يتنازع فيه المتفاوضين، تفاؤل من ناحية وتحفظ من ناحية أخرى ٠

وكانت الدوائر الفرنسية تذيع على العـــالم أنها متفائلة بنجاح المفاوضات حتى أن « جاك شابان دلماس » رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية أبلغ اللجنة التوجيهية فيها أن البرلمان الفرنسى سوف يدعى للاجتماع بمجرد توقيع اتفاق « وقف اطلاق النار فى الجزائر » ٠

وكان الوفد الجزائرى لا يريد أن ينســاق فى التفاؤل كما يفعل الفرنسيون وانما رؤى التريث والتحفظ حتى تنجلى الامور ٠ ويومها صرح وزير التسليح الجزائرى « عبد الحفيظ بوصوف » أن هناك مشــكلات كبيرة لا تزال تنتظر الحل ، وهى مشكلات لم يبت فيها الوفد الفرنسى فى أثناء المباحثات السرية السابقة ٠ وستكون هذه المشكلات موضــوع مناقشة فى محادثات ايفيان الحالية ٠

وأنه من الواضح أن المحافظة على السلام فى الجزائر خلال فترة الانتقال هى مطلب من المطالب الكبرى بالنسبة للحكومة الجزائرية ، ولهذا يجب على فرنسا أن تقوم بالقضــاء على الفاشيين الارهابيين من رجال المنظمة السرية .

وصرح « عبد الحفيظ بوصوف » وزير التســليح الجـزائرى بأن الاتفاقيات بين الجانبين الجزائرى والفرنسى تقبل مبدأ جلاء القوات الفرنسية عن الجزائر وتحديد موعد جلائها ٠

وأضاف البيان أن الاتفاق يقضى بأن وقف اطلاق النار سيتم تطبيقه فى أقسام الجزائر الخمسة عشر وشمل ذلك قسمى الصحراء وسيجرى الاستفتاء فى الاقسام الخمسة عشر فى وقت واحد ٠

وأضاف البيان أن الجزائر ستكون لها جميع مميزات الدولة التى تتمتع بالاستقلال الكامل والسيادة ووحدة التراب الجزائرى ٠

وأنه سيكون هناك جيش وطنى جزائرى قوامه جيش التحــرير الوطنى الجزائرى ، وستكون الدولة ذات ســيادة مســتقلة فى الداخل والخــارج ، تنتهج المبــادىء والاهداف التى تتمشى مع مســتقبل جمهورية الجزائر ٠

وان الدولة الجزائرية ستتولى جميع السلطات الادارية والاقتصادية التى تمارسها المؤسسة العامة للمناطق الصحراوية الجزائرية بعد أن تحل هذه الهيئة ٠

كما ستتكون هيئة تقدمية نصف أعضائها من الجزائريين والنصف الآخر من الفرنسيين لتشرف على المسائل الفنية الخاصة باستغلال البترول على أن تحصل الجزائر على نصف عائدات البترول والنصف الآخر تحصل عليه فرنسا ٠

وتضمن البيان أيضا أن التعاون بين فرنسا والجزائر فى المستقبل يبقى سارى المفعول لمدة ثلاث سنوات . وستظل الجزائر فى منطقة الفرنك بعد ادخال تعديل عليها ، وبعد أن تحصل على ضمانات اقتصادية ، وعلى أن تكون لها حرية اختيار النظام الاقتصادى ٠

أما بالنسبة للأوربيين فى الجزائر ، فقال البيان ان الفرنسيين فى

الجزائر سيكون باستطاعتهم اختيار الجنسية الجزائرية اذا رغبوا فى ذلك . أما الذين لا يختارون الجنسية الجزائرية أو الفرنسية صراحة فسيكون فى استطاعتهم التمتع بالحقوق المدنية الجزائرية لمـــدة ثلاث سنوات كفترة اختبار ، ولكن ممارســـــة هذه الحقوق المدنية ستوقف تمتعهم بالحقوق المدنية الفرنسية ، ولا يعنى هذا بالضرورة ممارســـــتهم لجميع حقوق المواطنين الجزائريين ٠

وتقضى هذه الاتفاقية باقامة هيئتين جديدتين هما محكمة للضمانات وهيئة لضمان تنفيذ الاتفاقيات ٠

وتم الاتفاق على وقف اطلاق النـــار بين قوات الاستعمار الفرنسى وقوات جبهة التحرير الجزائرية يوم ١٩ من مارس عام ١٩٦٢ وعلى أن يطلق سراح أحمد بن بيللا وزملائه بعد ســـاعات قلائل من تنفيذ وقف القتال ٠

وكان أحمد بن بيللا متنبها جيدا لما يدور فى الجزائر ٠ كان يعرف أن بلاده مقدمة على الاستقلال ، والنشاط الاقتصادى فى البلاد يضعف لدرجة الانهيار فى مختلف المجالات الزراعية والصناعية والتجارة الخارجية والداخلية الى جانب تهريب رءوس الأموال من الجزائر . وان نشـــاط الفرنسيين وأعضاء المنظمة السرية الارهابية بلغ حدا مقلقا ، وكان الهدف من وراء ذلك القضاء على الاقتصاد الجزائرى وخاصة ، أن معظم الامكانيات الاقتصادية فى الجزائر كانت ترتبط برأس المال الفرنسى ٠

نعم جاء الاستقلال فى وقت عصيب ، كانت حوالى ٦٠ فى المـــائة من المناجم والمصانع مغلقة بالاضافة الى توقف ٧٥ فى المائة من الأعمال والمشروعات الكبرى فى البلاد ٠ وقد ألحقت الأزمات الســـياسية التى تعرضت لها الجزائر أخيرا أضرارا بالغة بالاقتصاد الوطنى ٠

فرنسا تنتظر اللحظة التى يكف المجاهدون الأبطال فيها عن اطلاق الرصاص بفارغ الصبر .

والمجاهدون والشعب الجزائرى بأسره ينتظرون لحظة وقف القتـــال تمهيدا للســـلام لكى يرفرف على ربوع الجزائر التى ستنال استقلالها عما قريب ٠ والشعب كله ، والعالم أجمـــع ينتظرون هذه اللحظة التى سيبدأ بعدها اطلاق سراح بن بيللا وزملائه ٠

وجاءت اللحظة الحاسمة يوم ١٩ من مارس عام ١٩٦٢ وأعلن وقف القتال المسلح رسميا بين الجانبين الجزائرى والفرنسى ٠

وعلى الفور بدأ تنفيذ نصوص اتفاقية ايفيان .. وبدأت الاستعدادات لتهيئة الجو للافراج عن الزعماء أحمد بن بيللا وزملائه ٠

وكان الافراج عن أحمد بن بيللا وزملائه حدثا كبيرا اهتمت به وكالات الانبـــاء والصحافة والاذاعة والتليفزيون فى جميع أنحاء العالم ، ومئات الصحفيين العالميين كان لا يشغل بالهم الا البحث وراء التفاصيل التى أحيطت بالسرية التامة ٠

كان بن بيللا ورفاقه يعرفون موعد الافراج عنهم : كانوا يعرفون أنه بعد موعد وقف اطلاق النار بساعتين ٠

في هذه اللحظات الفاصلة ــ والتى كانوا يقضونها فى قصر « بوردوه » ــ اتخذت الاجراءات السرية للافراج عن أحمد بن بيللا وزملائه : فحقائبهم، ومهماتهم كلها تم ارسالها الى الرباط .

وفى ساعة الصفر ــ ساعة الرحيل من المعتقل الذى أمضى فيه الزعماء الجزائريون خمس سنوات كاملة منذ اختطافهم ــ دخلت الى القصر سيارة سوداء : انها سيارة الحرس العادية التى تدخل القصر وتخرج كل يوم فى هذا الموعد نفسه ٠ ولذلك لم يعرفها مئات الصحفيين العالميين الذين جاءوا ليعرفوا الحقيقة ، وليروا أحمد بن بيللا لحظة خروجه الى الحياة ، الى الحرية ٠٠٠ جاءوا ليروا مشاعر هذا البطل فى اللحظة الاولى التى يضع قدمه فيها خارج باب المعتقل ٠

وظل الصحفيون أمام القصر ، يتناوبون السهر لتسجيل لحظة خروج بن بيللا ٠

وظل الصحفيون لا يرون الا تلك السيارة السوداء التى تدخل القصر وتخرج منه كل يوم فى مواعيد محدودة ، وهكذا ترك رجال الصحافة ووكالات الانباء والاذاعة والتليفزيون هذه العربة السوداء تدخل، وتخرج دون أن يعيروها أدنى التفاتة ٠

وفى هذه الأثناء حلقت طائرة هيلوكوبتر فوق القصر ٠ ثم نزلت فى مكان قريب منه وكانت هذه الطائرة مرسلة للتعمية والتمويه فقط: كانت هذه الطائرة ــ فى الواقع ــ فخا وقع فيه جميع الصحفيين العالميين الذين كانوا ينتظرون خروج أحمد بن بيللا ٠

وأسرع الصحفيون الى الطائرة الهيلوكوبتر وحاول البوليس أن يبعدهم ٠٠٠ ولكنهم أصروا على الوقوف حول الطائرة وآلات التصوير فى أيديهم مستعدة لتسجيل اللحظة الأولى لخروج أحمد بن بيللا ٠

وفى الدقيقة التى تجمع فيها الصحفيون حول الطائرة كانت سيارة الحرس تخرج من باب القصر وبداخلهـــا أحمد بن بيللا وزملاؤه الاربعة، فى طريقهم الى المطار ... الى الحرية ... الى النور ... الى الجزائر المستقلة ... الى لقاء الشعب الجزائرى الحبيب ! ..

فى هدوء غريب خرجت السيارة . ومرت بجانب مئات الصحفيين الذين نظروا اليها بازدراء !

السيارة السوداء نفسها ٠٠ الميعاد نفسه ٠٠ الروتين نفسه كل يوم .. منذ أن وقعت اتفاقية ايفيان ، وهم ينتظرون لحظة خروج أحمد بن بيللا .

ولم يكن حول السيارة السوداء ، التى تقل الزعماء الخمسة الذين يتحدث عنهم العالم ، بوليس لحراستهم ٠ كانت العربة السوداء تسـير

وحدها ــ هكذا ــ فى هدوء غريب . وكأنها عربة عادية لاتحمل أهم خبر يشغل بال العالم أجمع فى داخلها ! وفى الطريق الى المطار انطلقت السيارة ، ورأتها آلاف الوجوه التى كانت تتحدث عن بن بيللا وزملائه، الذين ضربوا أروع مثل فى التضحية ، والبطولة، وانطلقت السيارة. ولم يخطر على بال أحد من الذين يهمهم الامر أن الزعماء الخمسة فى هذه السيارة السوداء .. وأنهم هم الذين كانوا ــ منذ لحظات ــ فى قصر تحت حراسة مئات من الجنود المسلحين، هكذا أصبحوا الآن فى سيارة تعبر بهم باريس لا يحرسهم سوى ضابط واحد بمدفع رشاش فقط .

ووصلت السيارة الى « مطار أورلى » بباريس . ووقفت السيارة عند مدخل المطار . وطلب الضابط الحارس من بوليس المطار السماح بدخول السيارة الى أرض المطار ، لأن بها ضيوفا كبارا .. ولم يعرف أحد من بوليس المطار من هم هؤلاء الضيوف الكبار وظنوهم مجرد زوار أجانب لاأكثر ولا أقل . ولم يخطر على بال أحد من جنود الحراسة أن بن بيللا ورفاقه هنا فى هذه السيارة .

وفى هدوء عجيب دخلت السيارة . وهناك على أرض المطار كانت تقف طائرة خاصة من طراز « كارافيل » على أتم استعداد للتحليق فى الجو .. وكان الظلام يحيط بالطائرة ، حتى ينخدع الناس الذين يبحثون عن الحقيقة ، عن لحظة الافراج عن بن بيللا وصحبه .

وفى الظلام نزل الزعماء الخمسة من السيارة ، واتجهوا الى الطائرة وصعدوا فى هدوء على سلمها . وجلس كل منهم فى مكانه ، وأقفل باب الطائرة .

وانطلقت صاعدة الى السماء ، بعيدا عن أرض المطار ــ أرض فرنسا ــ متجهة بهم الى أرض الحرية والسلام .

وصلت الطائرة الى جنيف ولم يكن أحد يعلم شيئا عن وصولها الا شخص واحد فقط ، هو رئيس البوليس السويسرى . كان هو الذى يقف فى انتظار الطائرة وكان يقف معه حارس واحد ولكنه لا يعلم شيئا

كان المطار يمتلىء بمئات الصحفيين العالميين الذين جاءوا الى جنيف لتغطية أنباء المؤتمرات العالمية المنعقدة فيها . ولكن لم يتنبه أحد منهم الى حقيقة ما يحدث حوله . لانه فى الواقع لا يتصور أن الزعماء الخمسة يصلون الى المطار وليس فى استقبالهم أى شخص فى الوقت الذى يتحدث فيه العالم عن الزعماء الخمسة الجزائريين .

وهبطت الطائرة ــ هناك ــ فى الظلام . فى مكان بعيد عن مواقف الطائرات المعتادة .

وفى خطوات ثابتة ، هبط الزعماء الخمسة من الطائرة ، واتجهوا الى مكان حيث كانت تقف سيارتان كانتا معدتين لهما ، وبمجرد أن صعد الصحاب الخمسة الى السيارتين ، انطلقتا بعيدا عن المطار وشقت السيارتان شوارع جنيف المزدحمة بالجماهير المحبة للسلام ، ولكن لا أحد يشعر بمرور السيارتين .

وبعد وقت غير طويل وصلت السيارتان الى مقر الوفد الجزائرى، وصاح الحارس بالباب : « قف من أنت ؟ » ووقفت السيارتان وتقدم رئيس البوليس السرى من الجندى الحارس وعرفه بشخصيته ، وقال له :

ــ معى الآن بن بيللا وصحبه المعتقلين فى فرنسا ، وسمحوا لهم بالدخول ..

وعلى الفور سمح الحارس بدخول السيارتين الى داخل مكان الحرس . ولكنه رفض أن يسمح لركابهما بالنزول الا اذا استأذن الزعماء الجزائريين بالداخل. فالاوامر تقضى باستئذان وفد المفاوضات الجزائرى أولا قبل دخول أى شخص حتى ولو كان معهم مدير البوليس السرى .

كان رجال الجيش السويسرى هم الذين يحرسون قصر الوفد الجزائرى فى « سينتيال دى برجس » ، واستمرت الاتصالات حوالى عشرين دقيقة حتى أمكن الاتصال بكريم بلقاسم . وصاح كريم بلقاسم للحارس .

ــ من تقول ؟ بن بيللا وزملاؤه ؟ دعهم يدخلون فورا ! دعهم يدخلون! وخرج الوزراء المتفاوضون ــ وكانوا بملابس النوم ــ يجرون الى مدخل الفندق الذى يعيشون فيه . وتلاقى الابطال ، بعد فراق طويل .

كان اللقاء رهيبا .. مهيبا .. عناق طويل .. لقاء بالاحضان .. دموع تملأ الوجه وفرحة تفيض بالقلب .. وتهز الوجدان ..

بن بيللا يعانق بلقاسم والدموع تفيض بها عيناه ، بلقاسم يحتضن ــ بقوة ــ بن بيللا ويضمه الى صدره كأنما يريد أن يتيقن أنه ــ فعلا ــ يحتضن بن بيللا ــ وأن هذه حقيقة وليست حلما ــ والزعماء الجزائريون يتبادلون التهنئة ، انه اللقاء الرهيب المهيب بعد طول فراق، الكلمات وقفت ، واللسان يرفض أن ينطلق .. ولكنها القلوب تتكلم ..

وفى الوقت الذى تم فيه اللقاء ، كانت باريس تعلن نبأ الافراج عن أحمد بن بيللا وزملائه وأنهم ــ الآن ــ فى طريقهم الى سويسرا ، وأعلن رسميا فى الرباط أن بن بيللا وصحبه قد نزلوا فى ضيافة السفير المغربى فى برن .

وأسرع الصحفيون يحاصرون منزل السفير المغربى ، ويستعينون بعدساتهم المكبرة التى ينظرون من خلالها الى كل زاوية يمكن أن تؤدى الى التقاط صورة للزعيم أحمد بن بيللا وصحبه الاربعة . وسفير المغرب يحاول اقناعهم ــ دون جدوى ــ بأن بن بيللا لا يوجد فى منزله ، ولكنهم لا يصدقون . ويحاول أن يقنعهم أيضا وهم مصرون على عدم التصديق : انهم يؤكدون أن بن بيللا هنا فى منزله !

وفى الرباط رابط أكثر من مائتى صحفى عالمى يحاولون العثور على بن بيللا ــ رجل الساعة ــ انهم مرابطون لتسجيل لحظة وصول الزعيم ــ المجاهد ــ الثائر الاول ــ الى أرض المغرب .

وكالات الانباء ، والاذاعة ، والتليفزيون العالمية أرسلت مندوبيها ليعرفوا لحظة وصول أحمد بن بيللا وتسجيلها. وهكذا عاش الصحفيون فى الرباط على أعصابهم ، كما عاش اخوانهم فى باريس وجنيف .

ومن المصادفات الغريبة ، أن سمع الصحفيون أصوات زغاريد ورأوا موكب عروس فى تمام الساعة الثالثة صباحا متجها الى فندق « بالياكله » ويهجم عليه الصحفيون ومصورو السينما والتليفزيون وهم يجرون بملابس نومهم فى الشارع ظنا منهم أن أحمد بن بيللا واخوانه قد وصلوا . ولكنهم اكتشفوا أنه موكب فرح .

ومرت أيام تلو أيام ، ولم يصل أحمد بن بيللا وهم يعيشون فى قلق ، وعلى أعصابهم المشدودة لترقب اللحظة الخالدة .

وذات يوم ، فى الساعة الرابعة صباحا فوجىء الجميع بوصول بن بيللا ، ونقرر أن يدخل هو ورفاقه فى موكب رسمى ، وان يستقبله « الملك الحسن » عند مشارف الرباط. وأقيمت خيمة كبيرة، فى مدخل المدينة ، ووضع أمامها « التمر واللبن » فان أحمد بن بيللا ورفاقه سيشربون اللبن ويأكلون التمر وهذا هو عنوان الصداقة والترحيب فى المغرب .

وامتلأت الشوارع فى الرباط بمئات الالوف من الجماهير من مدخل المدينة حتى ساحة قصر السلام الذى سينزل فيه الضيوف الكرام الزعماء الخمسة . كانت المسافة تزيد عن الخمسين مترا ، لم يكن فيها موضع لقدم ــ زغاريد ــ وهتافات ــ وشعور بالفرح الذى يهز الوجدان. . فرحة باللقاء مع الابطال الذين تمثلت فيهم ثورة شعب الجزائر الذى انتزع الاستقلال لوطنه من مخالب الاستعمار الذى سامه صنوف العذاب وشتى ألوان القسوة والاضطهاد .

وصافح الملك الحسن بن بيللا ورفاقه وتعانقوا طويلا . ثم كان اللقاء المؤثر مع أعضاء جيش التحرير . لقاء بعد طول كفاح ، بالاحضان والدموع . انه لقاء القلوب ، الذى يعقد اللسان عن الكلام .. لقاء القائد رفيق السلاح ..

وهكذا عاد الابطال بعد أن حكم عليهم بالموت وتعرضوا مرات عدة للاغتيال ، عاد الابطال مع عودة السلام الى الجزائر المستقلة .

انه الحق ، انه الايمان الذى لا يمكن أن تقهره المزاعم والاباطيل !

وفى يوم ٢٢ من مارس عام ١٩٦٢ ، عقدت حكومة الجزائر الوطنية فى قصر دار السلام الملكى بالرباط أول اجتماع لها بكامل هيئتها منذ أن تم تأليفها لأول مرة قبل ثلاث سنوات ونصف سنة . وحضر أحمد بن بيللا هذا الاجتماع مع أحد عشر عضوا آخرين من بينهم الزملاء الاربعة الذين اعتقلوا معه عام ١٩٥٦ . وقد حضر الملك الحسن وأربعة من وزرائه جانبا من الاجتماع لبحث شئون الشمال الافريقى .

فى ١٦ من أبريل عام ١٩٦٢ تم الافراج رسميا عن المجاهدتين : جميلة بوحيرد ، وجميلة بوباشا .

وقبل الافراج عن جميلة بوحيرد كانت المجاهدة تعالج فى المستشفى ثم نقلت الى أحد المنازل ، الذى حددت فيه اقامتهـــا حتى وقت اطلاق سراحها ٠

وكانت قد حكمت عليها احدى المحاكم العسكرية الفرنسية «بالاعدام» وتحدد يوم ٧ من مارس عام ١٩٥٨ لتنفيذ الحكم ٠

واهتز العالم الحر لهذا الحكم الظالم ضد المجاهدة الوطنية ٠ وفى ٥ من مارس ١٩٥٨ اجتمعت لجنة حقوق الانسان بالامم المتحدة ٠ وناقشت مأساة جميلة بوحيرد بعد أن تلقت ملايين البرقيات باستنكار الحكم .

واضطرت فرنسا صاغرة للتراجع عن موقفها : خففت الحكم من الاعدام الى السجن المؤبد .

وهكذا ظلت البطلة جميلة بوحيرد ــ رمز المرأة الجزائرية المناضلة فى سجون فرنسا منذ عام ١٩٥٧ حتى ١٦ من ابريل عام ١٩٦٢ ــ تقاسى التعذيب وتتعرض للموت البطىء . ان جميلة بوحيرد ــ وجميلة بوباشا ــ وجميلة بوعزة ــ والمجاهدة فاطمة ــ كلهن رمز لمدى اشتراك المرأة الجزائرية فى الثورة ، وكفاحها من أجل الاستقلال ٠

وفى الوقت نفســه تم الافراج عن جميع المســـجونين والمعتقلين الجزائريين فى فرنسا والجزائر وبدأ العمـل لترحيلهم واعادتهم الى أرض الوطن ، على دفعات ٠

وهكذا شهدت الجزائر ــ بعد الايام الاولى من وقف اطلاق النار ــ حركة مد وجزر شديدة . أهل البلد ، المواطنون الجزائريون يتدفقون على الجزائر فى يوم نصرها . والمستوطنون الاوربيون يسارعون بمغادرة الجزائر ــ فى يوم نصرها ــ الى فرنسا ، وشتى بقاع العالم الغربى ٠٠

مواطنون يفدون الى الجزائر ومستوطنون يغادرون الجزائر فى يوم نصرها ٠

حق يسلم الى أصحابه طالما انتزع منهم ٠٠ وحق يولد من جديد ، وباطل يزهق ، طالما تمسكوا به واهمين ٠

انه الحق ، انه اليقين الذى لا تقهره المزاعم الجوفاء . فى الوقت الذى يفد فيه الجزائريون الى وطنهم ، يغادر الفرنسيون الجزائر الى فرنسا ٠

اذا حضر أهل البلد ذهب مغتصبوها !

وهكذا حقق الشعب الجزائرى ارادته فى الحرية والاستقلال ، على حين خسر المستوطنون أمانيهم الواهمة ، الباطلة ٠ فى البقاء والاستيطان

وضرب الشعب الجزائرى أروع آيات البطولة والفداء ٠ وسجل صفحات ناصعة فى الكفاح ، والاستشهاد بينما ضرب المستعمر الفرنسى أروع أيات الوقاحة ، والنذالة وسجل صفحات سوداء فى الغدر والخيانة والاجرام ٠٠

استقلال الجزائر ، الطريق المستقيم الذى آمن به الشعب الجزائرى، والطريق الذى لم يسلكه الفرنسيون ..

تحقق استقلال الجزائر : انه الشمس التى حاولت فرنسا اطفاءها .

الشعب الجزائرى الذى آمن بمبادئه : وهبت له الحياة على أرض الجزائر المستقلة !

هكذا انتهت الاسطورة القائلة بأن الجزائر فرنسية وقطعة منها عبر البحر المتوسط .

انتهت هذه المزاعم الباطلة .. انتهت الى الابد : انها جمهورية الجزائر المستقلة الحرة ، قامت وسوف تظل قائمة الى الابد !

بوادر مستقلة

في شهر أبريل ١٩٦٢ حضر أحمد بن بيللا لزيارة الجمهورية العربية المتحدة • جاء مع زملاء النضال محمد خيضر وحسين آية أحمد ورابح بيطاط ، الى القاهرة معقل الاحرار والثوار • واستقبل الشعب العربى فى القاهرة الزعيم أحمد بن بيللا وزملاءه استقبالا وطنيا رائعا ، عبرت فيه الجماهير عن فرحها وسعادتها بلقائها مع ابن شمالى افريقية الغالى الذى كان يعيش معها من قبل حتى عام ١٩٥٦ حينما اختطفته فرنسا •

وزار أحمد بن بيللا الاماكن التى يتوق لزيارتها والتى يعرفها من قبل ، ولا ينسى تلك اللحظات السعيدة التى عاشها عندما استدارت سيارته تشق طريقها فى شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة وسط الجموع الحاشدة، تمنى لو نزل ساعتها وصعد الى حجرته التى ترك بها كثيرا من ذكرياته الغالية • رفع البطل أحمد بن بيللا رأسه الى شرفة بالدور السادس فى هذه العمارة التى كانت تطل منها ، ومن الشرفة نفسها سيدة تفيض عيناها بالدموع وقلبها لا يكاد يستقر بين جنبيها من نشوة الفرح والسعادة والانتصار •

انها السيدة بدور مصطفى التى استضافته منذ مارس عام ١٩٥٢ الى وقت اختطافه ، والتى ظلت تبكى عليه بعد أن أودع السجن حتى فقدت بصر احدى عينيها. قصة وفاء واخلاص، وقصة بطولة وانتصار، وارادة وطريق كفاح طويل يصل الى استقلال الجزائر .. الأمنية التى عاش عليها أحمد بن بيللا يتغذى جسده وروحه منها ، وشاركته هذه السيدة أحاسيسه وشعوره ، ودعواتها معه فى كل مكان !

وزار البطل أحمد بن بيللا وزملاؤه بورسعيد ، والتقوا باخوانهم المجاهدين الذين يعيشون فى القاهرة ، وعندما زار مقر الحكومة المؤقتة فى جاردن سيتى بالقاهرة ألقى كلمة قصيرة قال فيها : « ان الكلام قصير والعمل جسيم فعلينا جميعا أن نعمل » !

نعم •• بعد انتصار الثورة الجزائرية لابد من العمل • فالثورة كانت انتصارا لكل المثل والمبادىء الشريفة التى يدافع عنها الانسان فى كل مكان . ان الشعب الجزائرى الآن سينطلق بكل طاقاته الخلاقة لبناء بلده على أسس قومية عربية متينة .

وقد أذاعت الحكومة الجزائرية بيانا سياسيا يوم ١٣ من يونيو عام ١٩٦٢ دعت فيه جميع أفراد الشعب الجزائرى والمستوطنين الفرنسيين للاشتراك فى استفتاء تقرير المصير يوم أول يوليو وللاجابة على سؤال

للاستفتاء بكلمة « نعم » . ودعا البيان المستوطنين للمســاهمة فى بناء صرح الجزائر الجديدة ، وقال : ان حكومة الجزائر تؤكد ان اتفاقيات ايفيان ستكون أساسا للدولة الجزائرية الجديدة . وأن شعب الجزائر سيحترم بدقة الضمانات التى نصت الاتفاقيات على توفيرها للمستوطنين. وعلى هؤلاء ألا يستمعوا الى أقوال المنظمة السرية التى تحاول تخريب الجزائر ودفعها الى الدمار وتسوقهم الى كارثة .

وقال البيان أنه عندما تصبح الجزائر دولة مستقلة فى أول يوليو سيأخذ الزعماء الشبان فى أيديهم مصير البلاد وسوف تدعم القوى الشعبية المكاسب التى أسفرت عنها حرب التحرير ، وسيؤدى الاستقلال السياسى الى ثورة اجتماعية حقيقية والى استئصال الاقطاع وبقايا الاستعمار والعنصرية والتعصب . وستأخذ الدولة الجديدة بنظام الاصلاح الزراعى وتنفيذه لمصلحة الشعب والفلاحين ولخدمة الاجيال القادمة من أبناء الجزائر .

وأدلى يوسف بن خدة رئيس حكومة الجزائر قبيل أن يغادر تونس فى طريقه الى القاهرة بتصريحات أعلن فيها أن حكومة الجزائر ترفض ان تمنح المستوطنين الأوروبيين فى الجزائر أية ضمانات اضافية خارج نطاق اتفاقيات ايفيان .

وقد رأينا سلسلة من المناورات التى تستهدف احباط هذه الاتفاقيات أو تعديلها .

وزعت قيادة جيش التحرير الوطنى فى الجزائر فى ١٣ من يونيو عام ١٩٦٢ منشورات تدعو المستوطنين للوقوف فى صف شعب الجزائر لتدعيم استقلاله .

وبدأت تظهر الأعمال الاجرامية التى يرتكبها بعض الفرنسيين بالتواطؤ الخفى أو السافر مع فئات من البوليس والجيش وأعضاء البرلمان . وكان هدف الاستعماريين الفرنسيين المتطرفين من قيامهم بأعمالهم التخريبية أن يظهروا كطرف فى المسألة بغية خلق ظروف لاعادة النظر فى اتفاقيات وتحقيق تقسيم البلاد .

ولم يبق على استفتاء تقرير المصير سوى عشرة أيام والأمن مضطرب فى ربوع البلاد ، بل والفرقة الاجنبية فى سيدى بلعباس مثلا تعلن العصيان السافر ، وتتدخل تدخلا مسلحا ضد الجزائريين .

وبدأت الاخطار تحدق بالجزائر ..

وبدأت الخلافات تظهر فى الافق بين الزعماء والقادة أنفسهم .

أزمة الخلافات

وبدأت الغيوم تخيم فوق سماء الجزائر . الخلافات القديمة تظهر عائدة الى الوجود .

كان للخلاف الذى نشب في قلب الجزائر طبيعته وأسراره . والحرص على أن تنجح الثورة الجزائرية فى مسعاها نحو التحرر والاستقلال فرض نوعا من السكوت وتناسى الخلافات ، التى ظلت قائمة . فالمعركة والقتال والعدو المتربص بالجزائريين يفتك بهم ، كل هذا يفرض نسيان كل شيء .. الا الجهاد ، ووحدة الصفوف ..

شعر كل مواطن عربى بالأسى وهو يرى كارثة تحيق بالنضال الجزائرى فى لحظة فرحه الكبير ويوم انتصاره .. وبات كل انسان يشعر بأن وحدة الثورة الجزائرية على وشك أن تتمزق !

وتعقدت الازمة نتيجة للخلافات بين قادة الثورة . ولنعد للوراء لحظات قلائل :

بدأت المشكلة حينما كان أحمد بن بيللا فى السجن ، والثورة المسلحة فى عنفوانها ، مما اضطر فرنسا أن تمنح مستعمراتها فى افريقية الاستقلال لكى تستطيع التفرغ الكامل للقضاء على الثورة الجزائرية .

وفى هذا الجو المقبض بدأت الحكومة الجزائرية المؤقتة برياسة فرحات عباس – ومن ورائها مجلس الثورة الوطنى – تقود القضية نحو تحقيق الاهداف التى من أجلها كانت الثورة الجزائرية. ففرنسا مازالت تصر على أن الجزائر جزء من فرنسا عبر البحر المتوسط . وكان هدف مجلس الثورة الوطنى أن تعترف فرنسا بالجزائر « كمستعمرة » باعتبار أن هذا المبدأ خطوة أولى لا بد منها للوصول الى مرحلة الاستقلال الكامل . وبالفعل ، استطاعت الثورة العارمة أن تنتزع هذه الخطوة الاولى من فرنسا . ولم يكن هذا بالأمر الهين السهل كما يتصور البعض . لقد كان هذا أشبه بعملية البتر أحست بها فرنسا البرجوازية – الرأسمالية – ولا يمكن أن يتحقق هذا الا بفضل الثورة الشعبية التى أجبرت فرنسا على أن تفيق من غفوتها .

أما الحصول على الاستقلال الكامل فقد كان مرحلة أخرى . رأى مجلس الثورة أن يتبع طريق الكفاح السياسى . وهكذا جاء دور يوسف بن خده وحكومته المؤقتة – وهكذا رسمت سياسة تدويل القضية الجزائرية ذات الطابع الشعبى بمعنى التركيز على الكفاح الشعبى الجماهيرى – وجاء دور الجماهير الشعبية وخلاياها الثورية – فلقد بدأت الثورة المسلحة بوساطة ثوار – كونوا جيشا سريا فى الجبال والكهوف برياسة أحمد بن بيللا .

هذا في الوقت الذى قامت فيه التنظيمات السرية في المدن والقرى بمهمتها التى تقضى بتفجير القنابل والنسف والاغتيـــال • وكان دور الجماهير الشعبية هو دور العاطف على هذا الجيش السرى سواء في المدن أو في الجبال • وكان دور الجماهير الشعبية أيضا هو تبنى كفاح الثوار الذين وهبوا حياتهم فداء للجزائر •

وحين بدأت مرحلة الكفاح السياسى بدأ معها الاتجـــاه الى تحريك جماهير الشعب للمطالبة بالاستقلال • اذ كانت القيادة الثورية تؤمن – وقت ذاك – أن الكفاح المسلح وحده لا يمكن أن يحقق الاســتقلال – أما الشىء المؤكد ، فهو ان الجيش الفرنسى لا يستطيع ان يخضع الشـــعب كله اذا تحرك فى شكل مظاهرات واجتماعات سلمية •

قد تستطيع فرنســـــا أن تقف أمام جيش التـــحرير حاشدة كل امكانياتها • أما الذى لا تستطيعه – مطلقـــا – فهو أن تواجه الشـــعب الجزائرى كله – المطالب بحقه فى الحرية والاستقلال • وكانت فرنســـ تعتقد أن جيش جبهة التحرير منفصل عن الشعب • ولكن خاب ظن فرنسا هذه المرة • اذ استطاعت جبهة التحرير أن تكون الطليعة الثورية للجماهير الشعبية فشملت الثورة كل قطاعات الشعب الجزائرى •

أدركت فرنسا هذه الحقيقة المفزعة ، حينما قامت مظاهرات شعبية واسعة النطاق شملت جميع الجزائر • وفوجئت فرنسا باضرابات بالغة الدقة فى التنظيم • فوجئت بهذا التكتل الضخم الذى لا قبل لها به يدخل المعركة •

وبدأت فرنسا تتراجع الى الوراء أمام الحق – أمام الثورة الشعبية الشاملة – بدأت تتراجع – وطالبت بفتح باب المفاوضات مع الجزائر •

ودخل الطرفان فى مفاوضات جديدة على مستوى آخر هذه المرة • ليست من أجل الاعتراف بجزائرية الجزائر ولكن للاعتراف بالاســـتقلال التام للجزائر الجزائرية • واعتبرت الحكومة المؤقتة برياسة « يوسف بن خدة » أن هذا الطور الجديد أو تحقيق هذه الخطوة الجديدة الناتجة عن كفاح الثوار واستمرارهم فى العمليات الحربية ضد قوات الاحتـــلال ، اعتبرت أن هذا كله من صنعها ، ومن خلقها تماما كما كان طور « الكفاح المسلح » من صنع بن بيللا وزملائه وخلقهم وقيادتهم •

وأفرج عن بن بيـــللا وزملائه – وعادوا الى الجـزائر بعـد أكثر من خمس سنوات من السجن ومن الانقطاع شبه الكامل عن جبهة التحرير ، ليجدوا أن أشياء كثيرة قد تغيرت : وسـائل الكفاح نفسـها قد تطورت ووجوه قواد الثورة جديدة عليهم • فان ابتعاد شخص أحمد بن بيللا عن المسرح قد جعل « القيادة الجماعية » تحل مكانه وتصبح هى الشعار شبه المسيطر • ولكن برغم هذه الاحداث العميقة التى مرت بها الثورة من بعد اختطاف أحمد بن بيللا وبعده عن مسرح الثورة على أرض الجزائر – ظلت هناك ثلاثة أشياء هامة لم تتغير :

١ ــ التأييد الساحق لاحمد بن بيللا فى مجلس الثورة الوطنى ·
٢ ــ شعبية بن بيللا ومكانته فى جيش التحرير ·
٣ ــ شعبية بن بيللا ومكانته التاريخية فى قلوب الشعب الجزائرى .

وكان بن بيللا ورفاقه يظنون أن الوضع الطبيعى هو أن يعود « قائد الثورة الاول » الى مكانته ــ على رأسها · وأن يتم هذا ببساطة ، ودون حاجة الى جدل أو صدام ·

واجتمع مجلس الثورة الوطنى فى طرابلس ــ وكان من المفروض أن ينتهى الاجتماع باعلان أحمد بن بيللا رئيسا للحكومة الجديدة ، وسكرتيرا عاما لمجلس الثورة الوطنى وجبهة التحرير بعد تحويلهـــا الى حزب ذى برنامج سياسى واضح وأهداف اجتماعية واشتراكية عربية · ولهذا تكونت لجنة تقدمت الى المجلس باقتراحين :

الاقتراح الاول : تتـــحول جبهة التحرير الى حزب وقد وافق عليه المجلس بالاجماع ·

الاقتراح الآخر : أن يتألف « مكتب سياسى » لهذا الحزب من سبعة أعضاء ·

وكانت اللجنة التى تقدمت بالاقتراحين برياسة أحمد بن بيللا ومحمد يزيد مقررها · واقترح بن بيللا أسماء أعضائها ·

ومن هنا بدأ الصراع والخلاف · فقد جاءت القائمة مكونة جميعها من أنصار بن بيللا خالية من أسماء أى عضو من أعضاء الحكومة الجزائرية المؤقتة ·

وكان صراعا ميئوسا منه · فكان لأحمد بن بيللا أغلبية ساحقة فى المجلس · وأى اقتراح سيقدمه سيوافق عليه · وهكذا وقبل أن يتقـــدم بالاقتراح غادر معظم أعضاء الحكومة الاجتماع متجهين الى تونس وسرعان ما لحقهم ــ قبل التصويت ــ بقية الاعضاء ·

وانفض اجتماع طرابلس ــ وأعضاء الحكومة المؤقتة فى ناحية وبن بيللا وزملاؤه فى ناحية أخرى متمسكين بوجوب خضوع الحكومة المؤقتة لمشيئة مجلس الثورة ورغبته ·

وجرت اتصالات ومشاورات دون أن تصيب فائدة · وتخطى الخلاف مرحلة النقاش الى مرحلة العمل ــ فغادر أحمد بن بيللا تونس الى طرابلس قبل الاستفتاء . وقدم محمد خيضر استقالته احتجاجا على هذه التصرفات وفى ساعة متأخرة لليلة السابقة على الاستفتاء أصدرت الحكومة الجزائرية المؤقتة قرارها المشهور بعزل « هوارى بومدين » قائد جيش التحرير وأركان حربه ·

وكانت لحظة حرجة ، فلقد تلقى الشعب الجزائرى هذا النبأ بالاستياء والقلق · واتسعت هوة الخلاف بين الجـــانبين · وكان لهذا القرار الذى أصدرته حكومة بن خدة أثر عميق على نفسية أحمد بن بيللا وعز عليه أن

يحدث هذا لجيش التحرير وقادته ، الذين تحملوا أعباء المعركة المسلحة ، في يوم النصر .

وتمنى كل عربى ، اشفاقا ومشاطرة وجدانية معاخوانه فىالجزائر لو كان فى الطاقة ستر الخلافات الى مابعد الاستقلال والى مابعد الانتخابات القادمة فى ١٢ من أغسطس عام ١٩٦٢ . ولكن الامانى شىء والواقع المرير شىء آخر !

كان كل فريق يريد أن تكون له الكلمة العليا فى الحوادث ومقدرات الامور ، ليكون زمام المستقبل فى يده . وذلك قبل اللحظة الحاسمة !

وفى الحقيقة كانت الحوادث التى انطلقت منهـــا شرارة الخلافات لا تستحق هذا العناء فى تاريخ أمة ضربت أروع مثل للتضحية والكفاح

وتمنى العرب فى كل مكان ألا ينشب الخلاف بين زعماء الجزائر . وخاصة فى تلك المرحلة الحرجة من تاريخها .

يا لها من أزمة عنيفة مرت بالجزائر فى أحرج لحظات تاريخها المجيد!

وجد جمال عبد الناصر أن عليه دورا لا بد أن يؤديه ، وموقفا لابد من اتخاذه من أجل الجزائر ذاتها ـ ومن أجل حركة النضـــال العربى عموما . دور وموقف لا بد من القيام بهما فى سبيل تجنب كارثة تحيق بالنضال الجزائرى فى لحظة فرحه الكبير .

قال جمال عبد الناصر ـ وهو يرسم خطوط سياستنا العربية ـ فى تعليماته للسيد / على صبرى رئيس المجلس التنفيذى الآن ووزير رياسة الجمهورية حينئذ ـ قبل أن يطير ليجتمع بالقـــادة الجزائريين فى ليبيا وتونس ـ ان سياستنا كما يلى :

أولا : أن وحدة الثورة الجزائرية ضرورية لحماية المكـــاسب التى حققتها حتى هذه اللحظة ولمواصلة التقدم منها الى ما بعدها من أهـداف النضال الجزائرى .

ثانيا : ان لصيانة هذه الوحدة يجب أن يبقى الاتصال مفتوحا بين الجانبين المختلفين فى الثورة الجزائرية ، كما انه لا بد من تجنب الصدام بينهما مهما كانت الظروف .

وطار على صبرى الى تونس ، ثم الى بنغازى ومعه كريم بلقاســـم ليجتمع مع أحمد بن بيللا . ثم طار الى تونس ، وعاد الى القاهرة والمعجزة التى طار من أجلها الى المغرب ما زالت ماثلة فى الأفق .. لم تتحقق..

ويبدو أن أزمة الخلاف كانت قد قطعت شوطا فى طريق اللاعودة ، فأضحى الوفاق أمرا بعيد المنال !

ان الخلاف بين قادة الثورة فى الجزائر عميق وقديم ومستمر ...

ان محاولة التوفيق بين قادة الثورة أصبحت مشكلة ، فقد خــرج

الخلاف العميق القديم المستمر بينهم على المسرح المكشوف بعد أن أصدرت الحكومة قرارها بعزل قائد جيش التحرير وأركان حربه .

الجهود والآمال والدعوات أصبح من المحتم توجيهها الى تجنب الصدام المسلح أو بمعنى ادق الى منع حرب التحرير من أن تتحول الى حرب أهلية ...

وفجأة طار أحمد بن بيللا الى القاهرة بعد أن ضاق ذرعا بالازمة المفاجئة التى تكاد تطيح بالمكاسب التى حققتها الثورة حتى هذه اللحظة . فالجيش الفرنسى ما زال بالجزائر والمنظمة الارهابية السرية ما زالت تعبث بالبلد ، وتنتهك مقدسات الجزائر ، وأقل اخلال باتفاقية ايفيان يعيد الى الجزائر حالة من الفوضى والاضطراب أشد وأقسى من الحالة قبل وقف اطلاق النار .

كان للزعيم احمد بن بيللا رأى فى أزمة الخلاف الناشبة الحادة وكان لا يستطيع أن يتصور ان الحكومة تدخل أرض الجزائر ، وفى اللحظة نفسها تصدر أمرها بعزل قيادة جيش التحرير التى تحملت ضراوة المعركة من أجل النصر الذى جاهدت من أجله سنوات كثيرة .

ولهذا رفض بن بيللا دخول الجزائر مع أعضاء الحكومة القائمة : رأى انه لو فعل ذلك فانه يخون رفاق المعركة الذين تحملوا على أكتافهم سنوات طويلة من الكفاح المسلح .

كان بعض أعضاء الحكومة المؤقتة يظنون ان الشعب الجزائرى ، بعد كل الذى قاساه ، لن يهتم بأى فرد مهما كان دوره .. كان بعضهم يظن أنه لو دخل اليوم اثنا عشر تلميذا — من تلاميذ المدارس — وقالوا للشعب : نحن حكومة الجزائر لصفق الشعب لهم ، ولرقص فرحا وطربا لهم . وعلى هذا الأساس الخاطىء ، بنت الحكومة قرارها . وظنت ان الشعب فى لحظة النصر ، سينسى كل شىء طالما تحقق له الاستقلال بعد أكثر من مائة وثلاثين عاما !

وقال احمد بن بيللا ان ذهاب بعض أعضاء الحكومة من طرابلس ادى الى خلق « فراغ سياسى » خطير فى الثورة — فى الوقت الذى لم يعد يفصل فيه بين الجزائر وبين الاستفتاء الا عشرون يوما . ولم يتحقق بعد استقلال الجزائر بالصورة القانونية التى نصت عليها اتفاقية « ايفيان » وقال بن بيللا أنه كان يمكن للاستعمار أن يتذرع بوجود هذه الازمة ليؤجل استقلال الجزائر ، ويعمد الى مناوراته المخزية المضرة بمستقبل الوطن .

وأضاف بن بيللا قائلا : « ولهذا قررنا أن نثير الموضوع بمجرد حصول الجزائر على استقلالها . لاننا لا يمكن أن نوافق على هذا — لان هذا معناه تخريب أعمال مجلس الثورة ، وقبول سابقة خطيرة ضد ثورتنا . وذلك أن برنامج جبهة التحرير كان ينص على أن « المكتب السياسى » هو الذى يتولى تسيير شئون البلاد على حين تقتصر مهمة الحكومة على التمثيل

الخارجي فقط. وعلى هذا الأساس تكون النتيجة ـ ولو توقفت اعمال المجلس الوطني للثورة والحيلولة دون مباشرة المكتب السياسي لمهمته ـ هي أن تقوم الحكومة الجزائرية الحالية بسلطات « المكتب السياسي » عمليا ـ وذلك يعني اغتصاب السلطة ـ وهو ما لا يمكن السماح به لأنه يؤدي الى أخطار كبيرة » .

وأضاف بن بيللا قائلا : « تلك هي الاسباب والعوامل الاساسية التي دعتنا الى رفض الدخول الى أرض الجزائر ، مع الحكومة الحالية لان ذلك معناه قبول أوضاع زائفة تقوم على أغراض شخصية بحتة » .

وبعد ذلك تحدث بن بيللا عن الاتصالات التي تمت بين المكتب السياسي وبعض أعضاء الحكومة داخل الجزائر . وقال ان وعي المناضلين المجاهدين جعلهم يندفعون الى تأييد المكتب السياسي . وبدأت بوادر « الخلاف » تلوح في الأفق . وأوفد المكتب السياسي السيد/ محمد خيضر لاجراء اتصالات في العاصمة . ولكن دون نتيجة ايجابية .

وبعد ذلك تحدث أحمد بن بيللا عن المهام العاجلة التي تنتظر جبهة التحرير فقال :

« ان أول هذه المهام مسألة تكوين الحزب الواحد ، واعادة تنظيم الدولة . وأما فيما يتعلق بالحزب فاننا نعتبره الطليعة الثورية للشعب الجزائري ـ ولا يمكن أن يصبح ملايين الجزائريين أعضاء في الحزب بل يجب أن تنضم فقط الطليعة المناضلة ـ ولهذا يجب أن توضع مقاييس الاختيار بالنسبة للمناضلين الذين يعدون بالملايين ـ ولكن هناك من يعترض قائلا : ماذا تفعل بالآخرين الذين كانوا أعضاء في الجبهة ؟ والجواب على هذا التساؤل بسيط ـ وهو أن الحزب سيضم أعضاء مناضلين والى جانبهم الانصار والمؤيدين .

« وعلى هذا الاساس الذي يقوم عليه الحزب يمكن أن يعطي فكرة صحيحة عن علاقاته بالمنظمات الوطنية الاخرى . فاذا كان من الضروري أن يؤدي الحزب دورا كبيرا داخل المنظمات النسائية ، والطلابية، والجيش ... الخ . فانه ليس من الممكن أن يكون أعضاء هذه المنظمات جميعا أعضاء في الحزب » .

وتحدث بن بيللا بعد ذلك عن الديمقراطية فقال :

« اننا اخذنا بمبدأ الحزب الواحد ـ وانه من الخطأ أن ننظر الى الديمقراطية في بلادنا على أنها الرجوع الى الاعيب الاحزاب السياسية .

فالجزائر ـ في المستقبل ـ في حاجة الى تماسك داخلي ـ محتاجة الى ثورة أخرى من أجل المستقبل ـ ولا يمكن أن تتحقق أهداف النضال والثورة كاملة الا اذا حافظنا على وحدة الصفوف . ومن أجل هذا يجب أن نمنع تعدد الاحزاب التي تمزق وحدة الشعب الواحد .

وأهم وسيلة لتحقيق الديمقراطية ، هي خلق روح المبادىء والنقد

الذاتى الهادف البناء . فيجب أن تنطلق الافكار والاقتراحات بين القمة والقاعدة .

هذه هى الصيغة الديمقراطية السليمة التى تزدهر فى ظلها حرية التفكير والتعبير . ويكون لها طابع ايجابى خلاق — يدعم وحدتنا — من اجل مستقبل أفضل للجزائر المستقلة » .

وطالت أيام الخلاف ، وكادت تضيع مكاسب الثورة من الجانبين المختلفين .

ولكن أحمد بن بيللا كان له رأى حاسم فى مثل هذه المواقف .

لقد ألف الازمات وأوقات الشدائد فهو رجل لا تهمه نفسه ، يضع بلده فى الاعتبار الاول .

قرر أن يمضى فى طريق الثورة . الطريق الذى قطع فيه هو وزملاؤه أشواطا بعيدة .

قرر أن يقوم المكتب السياسى المكون من سبعة أعضاء بالمهام التى تتطلبها الحالة من أجل اجراء الاستفتاء الذى بمقتضاه ستصبح الجزائر دولة حرة مستقلة وتأخذ الصفة القانونية لهذا الاستقلال الذى جاء بعد اجراء الاستفتاء حول تقرير المصير فى أول يوليو ١٩٦٢ .

وحدد يوم الاستفتاء فى ٢٠ من سبتمبر عام ١٩٦٢ . واقبل الشعب يؤيد اعضاء المكتب السياسى الذى سيدير دفة الامور فى الجزائر .

وفى مساء ٢٠ من سبتمبر عام ١٩٦٢ أذاع محمد خيضر الأمين العام للمكتب السياسى كلمة من اذاعة الجزائر المستقلة بمناسبة فوز المرشحين للمكتب السياسى بأغلبية ساحقة قال فيها : « أيها الشعب .. اليوم أعلنت ارادتك واضحة بتصويتك الاجماعى لمصلحة مرشحى المكتب السياسى . وكان ذلك دليلا آخر تقدمه للعالم على أن الارادة الشعبية هى الضمانة السياسية لقيام جزائر حرة مستقلة ! .. »

وقال ان هذا التصويت اعلان للسيادة الشعبية وانهاء لعهد الغموض والاضطراب وبداية لعهد البناء على أساس قرارات المجلس الوطنى للثورة الجزائرية فى طرابلس .

وقال خيضر : « ان المكتب السياسى يعاهدك أيها الشعب أن يعمل بكل الوسائل لتنفيذ البرنامج الوطنى الذى أقره الشعب اليوم . ان أول عمل للمجلس التأسيسى هو تعيين أول حكومة مستقلة تعمل على تنفيذ البرنامج الذى أعلنته جبهة التحرير الوطنى كما ستضع القواعد الاساسية لنظم الحكم » .

وشكر محمد خيضر الشعب نيابة عن أحمد بن بيللا على الثقة التى منحها للمكتب السياسى وجبهة التحرير الوطنى . وقال : « اننا نعاهد الشعب على اننا لن ندخر وسعا فى الضرب على الايدى التى تعمل سرا ضد

النظام حتى يستطيع كل مواطن أن يؤدى واجبه فى ظل الديمقراطيـة والحرية والرخاء . ان مغزى هذا التصويت انه بين مدى ثقة الشعب بالمكتب السياسى وبرجال المكتب وبخاصة البرنامج الذى أقـره مجلس الثورة فى طرابلس . وأن الشعب الجزائرى، وهو المعروف بالبطولة، قد اظهر اليوم أن له من النضج السياسى ما يجعله يختـار الطريق لبنـاء المستقبل . اننا سننطلق فى ثورة ثانية للبناء ، ولمساعدة اخواننا فى كل مكان ! »

ولقد اشـترك فى هذه الانتخابات ٧٥ فى المائة من النـاخبين الجزائريين . وأعلن أكثر من خمسة ملايين نسمة ثقتهم بالمكتب السياسى.

وهكذا قامت أول سلطة عربية وطنية فى الجزائر .. سلطة ثورية يتولى رياسة الحكومة فيها أحمد بن بيللا ويتولى رياسة البرلمان فرحات عباس .

وفى يوم ٢٨ من سـبتمبر عام ١٩٦٢ قامت الحكومة الجزائرية الجديدة على الوجه التالى :

أحمد بن بيللا	رئيس الوزراء
رابح بيطاط	نائب رئيس الوزراء
كولونل هوارى بو مدين	وزير الدفاع
عمر بن تومى	وزير العدل
دكتور أحمد فرنسيس	وزير المالية
محمد خميستى	وزير الخارجية
عمر أوزجان	وزير الزراعة والاصلاح
أحمد مدغارى	وزير الداخلية
محمد خبيزى	وزير التجارة
العروسى خليفة	وزير الصناعة والبلديات
أحمد بومنجل	وزير التعمير والاشغال والنقل
بشير بومعزة	وزير الشئون الاجتماعية والعمل
عبد الرحمن بن حميدة	وزير التعليم الوطنى
محمد شفير النقاش	وزير الصحة
حسنى موننلى	وزير البريد والبرق والتليفونات
محمد السعيد	وزير المحاربين القدماء وضحايا الحرب

احمد توفيق المدنى	وزير الاوقاف
محمد حاج حمو	وزير الاستعلامات
عبد العزيز بوتفليكه	وزير الشباب والرياضة

ومضت أيام ، ظن فيها الناس أن لهيب الازمة قد انطفأ،وان السلام سيرفرف على ربوع الجزائر الى الأبد !

الشعب الجزائرى الذى خاض غمار حرب ضروس طوال سنوات مريرة أصبح يكره الحروب ويكره الخلافات ويتلهف على السلام والبناء.

ولم تكد تمضى أيام قلائل على دخول أعضاء المكتب السياسى الى العاصمة واجراء الاستفتاء ، حتى عادت من جديد عاصفة الازمة الاولى، فانقسمت الولايات الى فريقين .

والازمة الاولى تختلف عن الثانية فى طبيعتها ، وأسبابها — فالازمة الأولى كانت بين أعضاء الحكومة المؤقتة ، وبين أحمد بن بيللا ومؤيديه — والازمة الثانية كانت بين ولايات الجزائر الست . كانت أربع ولايات تؤيد أحمد بن بيللا والمكتب السياسى وهى :

الولاية الاولى — والثانية — والخامسة — والسادسة .

أما الولاية الثالثة — والرابعة فهى مع كريم بلقاسم وبوضياف .

وقوات جيش التحرير كان لها موقفا آخر من هذا الخلاف الاخير . فبعض الضباط أرادوا الاشتغال بالسياسة — ولكن المكتب السياسى خيرهم بين الاشتغال بالسياسة وأشغال الوظائف المدنية ، وبين بقائهم بالجيش.

ان قوات جيش التحرير — كما أعلن أحمد بن بيللا — ستتحول الى جيش وطنى موحد مدرب على أحدث النظم العسكرية — ولا يصح أن يبقى كل مجموعة من المجاهدين بزيهم الخاص، وبأسلحتهم المختلفة — فجميع أفراد الجيش سيخضعون لرياسة عليا ، وتسلسل فى القيادة . ولكن بعض الضباط عارضوا هذه الفكرة ، وأصروا على الاحتفاظ بسلطاتهم المطلقة التى كانت مخولة لهم فترة الكفاح والثورة .

ولكن أحمد بن بيللا صرح لهم بأن طبيعة المعركة والبلاد كانت تحتم عليهم أوضاعا معينة . ولكن الآن — وقد تحقق الاستقلال للجزائر — فلا يتمشى هذا مع الظروف الراهنة لدولة مستقلة سيكون لها جيش واحد منظم يخضع لقيادة عليا .

والدعوات تنبعث من كل قلب لتنتصر ثورة الجزائر حتى النهاية .

والجهود ما زالت تبذل للتوفيق بين القادة الذين اختلفوا فى اللحظات الحاسمة من تاريخ الجزائر .

العاصفة تمر بسلام

ومرت العاصفة بسلام ، عاصفة الخــلافات التى عبطت على أرض الجزائر • كان وجه الغرابة فى هبوبها انها جاءت مفاجأة فى يوم النصر اليوم الذى انتظرته أجيال تلو أجيال • وكان أحمد بن بيللا على موعـد مع القدر • فقد حقق لوطنه الاستقلال ، وسوف يرحل الفرنسيون عن الجزائر عما قريب . كانت حتمية النضـال الجـزائرى أقوى من كل امكانيات فرنسا وحلفائها ، بل وأكاذيبها ومفترياتها• الحقائق لا تمحوها الاباطيل المزعومة ، وأحمد بن بيللا وهب نفسه لبلاده،فلم تهمه العواصف ورياح الخلافات •

ومرت العاصفة وخرج أحمد بن بيللا منتصرا بانتصار الجزائر ، انه رمز الشعب الجزائرى الذى ضحى بأكثر من مليون ونصف مليون شهيد ، وكفاح مرير دام سبعة أعوام ونصف عام . ورمز معبر عن عشرة ملايين جزائرى : أحمد بن بيللا شخصـية حية معبرة ، أعجزت قوى الشر والطغيان ، وهى عميقة الجوانب ، عمق تاريخ الشعب الجزائرى وماضيه .

وسنعيش لحظات فى أيام من حياة أحمد بن بيللا لندرك حقيــقة شخصيته التى تعتبر رمزا للشعب بأسره وجيلا بأكمله .

بن بيللا الزعيم ذو قلب كبـير ، متواضع ، ناكر لذاته • والادلة على ذلك فى حياته لا حصر لها ، يضيق بها كتابنا • فقد حدث أن أقيم احتفال شعبى كبير ابتهاجا بيوم الاستقلال فى مدينة « تياريت » ، وأقيم عرض عسكرى ليشهده المجاهد الاول •

كان محافظ المنطقـة قد أعد له سيارة مكشـوفة . ولـكن بن بيللا أصر على أن يركب معه زملاؤه جميع أعضاء المكتب السياسى • وأصر على تقديمهم عليه • وأحمد بن بيللا لا يفعـل ذلك تكلفا وتصنعـا أو وفقا لمقتضيات الزعامة ، ولكن هذه هى تصرفاته الطبيعية وهى جـزء من شخصيته •

انه لا يتقدم المجموع وحده ، بل يسير دائما الى جانب زملائه أعضاء المكتب السياسى •

انه يرفض دائما مقعد الصدارة ويصر على ان يجلس فيه أحد زملائه .

من عادته الاستيقاظ فى الصباح مبكرا ، وينتظر ســاعتين حتى يستيقظ باقى زملائه ليذهبوا معا لتناول الافطار •

أحمد بن بيللا الذى أصبح زعيما لابطال الجزائر ، وأصبح رئيسا لحكومة الجزائر ، لا يعرف الانانية أو الغطرسة . فقد حدث عندما انتهى العرض العسكرى والاحتفال الشعبى فى تياريت أن همس المحافظ فى أذن أحمد بن بيللا بأن منزله معد ليستريح به فترة الظهر .

وسأل بن بيللا المحافظ على الفور: « وباقى الاخوان أين يستريحون؟»

قال المحافظ : « لقد أعددت لهم بعض حجرات فى مبنى المدرسة العليا » .

وأجاب بن بيللا فى حزم : « اذن سأذهب معهم الى هناك » .

وذهب بن بيللا وأعضاء المكتب السياسى وقادة الجيش الى وهران بعد ذلك : وهران هذه التى تضم عددا لاحصر له من أعضاء المنظمة السرية الذين تركوا آثار التدمير والتخريب واضحة فوق كل مبنى بالمدينة .

وقبل أن يذهب بن بيللا اليها سبقته تحذيرات كثيرة ، بألا يخالف الخطة التى يرسمها جيش التحرير بالمنطقة لتنقلاته .

ولكن بن بيللا كبير القلب . فما أن التقى بشعب وهران لاول مرة بعد سجنه الطويل ، حتى نسى كل شىء : نسى كل التعليمات ، واندفع نحو الشعب الذى وقف ينتظره الساعات الطويلة ؛ ليصافحه ويعانقه . ان هذا الشعب يعرف فيه اناسا كثيرين ، ويعرف دور بعضهم خلال سنوات النضال المرير فى تياريت وفى تلمسان وفى وهران ...

كان أحمد بن بيللا يلمح عاملا بسيطا يقف خلف هذه الصفوف فيترك كل شىء ويذهب اليه ، ويعانقه عنلقا حارا ، ويسأله عن أحواله وأحوال أسرته ، ويظل كذلك بضع دقائق ثم يلمح زميلا آخر من زملاء الكفاح فيتكرر المشهد نفسه .

ألم تقل ان هذا الكتاب لا تتسع صفحاته لسرد الأمثلة من حياة أحمد بن بيللا وتصرفاته الشخصية التى يمتاز بها الأخ المجاهد ــ الانسان ــ الاستاذ والزعيم .

ومشهد آخر حدث عندما كانت الاجتماعات مستمرة : الاجتماعات هذه المرة ثنائية أو ثلاثية .. كل مجموعة مكلفة ببحث موضوع معين، ثم تعرض نتيجة بحثها فى الاجتماع العام ..

وعندما كان بن بيللا يرغب فى معرفة شىء ما أو استطلاع رأى معين من أحد افراد هذه المجموعات ، فانه كان لايستدعيه بل يذهب اليه حيثما كان ، وينحنى عليه ليسأله عما يريد ، ثم يعود الى مكانه .

وحتى عندما اضطرته الاحداث الى استدعاء زملائه أعضاء المكتب السياسى الذين كانوا يقيمون فى الجزائر لحضور اجتماع للمكتب فى مدينة تلمسان ، كان بن بيللا يحرص على أن يذهب بنفسه الى المطار ، فى موعد وصول كل منهم ليستقبله ؛ ويرافقه من المطار الى الفندق .

أما فترة اعتقال بن بيللا وزملائه ، فقد أتاحت له فرصة دراسة قضية بلاده من جميع أوجهها : درس في السجن جميع خطط التنمية في العالم ، وفرق بينها واختار منها ما يلائم بلاده ، بل أكثرها ملاءمة لظروف بلاده وظروف شعبه ٠

والتخطيط هو الصراط المستقيم الذى يسير عليه أحمد بن بيللا ويعمل بمقتضاه ٠ يؤمن به ، ويخضع له ٠ يدرس كل موضوع بعمق ، ويعد له تخطيطا لكل مراحله ، ثم يقدم على عمل ما يريد ٠

ان بن بيللا يدرك جيدا ما تحتاجه بلاده من خطط التنمية أنه يعرف جيدا ظروف بلاده ، ويحفظ عن ظهر قلب جميع أرقام الخطط التي رسمها بعد أن درس امكانيات بلاده ومواردها وظروفها الاقتصادية ٠

وكان بن بيللا يفهم معنى ما يقول عندما أعلن بعد دراسة مستفيضة أن ظروف الجزائر ومواردها ومساحتها تجعل في قدرتها استيعاب ثلاثين مليون عربي ٠

وفي خلال فترة السجن قرأ بن بيللا أكثر من ألف كتاب سياسي ٠ لقد أحاط علما بجميع قضايا العالم ومشكلاته احاطة كاملة على أساس من الفهم الواعي العميق ٠

اتاحت له هذه الفترة فرصة تتبع التجربة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة ، وغيرها من الدول الاشتراكية ، ووجد أيضا تجربة الجمهورية العربية المتحدة ، أكثر ملاءمة لطبيعة بلاده وشعبها ٠ فهي التجربة الاشتراكية الوحيدة التي تنبع من الواقع العربي لتلائم احتياجاته ومتطلباته ٠

واستطاع بن بيللا أن يدرس في توسع التنظيمات المختلفة في الدول الاشتراكية ٠ واستطاع أن يدرس كذلك النظم الحزبية المختلفة في أوربا وآسيا وأفريقية ٠

وقد خرج بن بيللا من دراساته الى اصراره على ضرورة قيام حزب واحد فقط في الجزائر ٠ وخرج بمجموعة من الافكار الجديدة التي يجب ادخالها على جبهة التحرير الوطني حتى يمكن أن تصبح حزبا سياسيا قويا ٠ وفي مقدمة هذه الافكار فكرة المكتب السياسي ٠

واستطاع بن بيللا خلال فترة سجنه أن يصلح من لهجته العربية ، فاصبحت سليمة يمكن أن تفهم في أي مكان عربي ٠ وهو يتحدث باللغة العربية في أحاديثه العادية ٠ غير أنه يلجأ دائما الى الحديث باللغة الدارجة في الجزائر ، في خطبه وفي اجتماعاته السياسية حتى يفهم الجميع كل ما يقول ٠ وهو يلعن الاستعمار الفرنسي الذى سيطر مائة وثلاثين عاما على مقدرات الامور في الجزائر ، فمسخ لغتها وغير معالمها ، ولكنه لم يغير الشعب الجزائري ، ويأمل بن بيللا أن يكون لاذاعات القاهرة والافلام العربية والسياسة التعليمية العربية الجديدة (تعريب التعليم) أثرها الواضح السريع في نشر اللغة العربية في ربوع الجزائر ٠

ويحرص أحمد بن بيللا على أداء جميع أعماله بنفسه • وبالرغم من مسئولياته المتعددة ومقابلاته التى لاتنتهى والاعمال الادارية الكثيرةالتى يحتمها عليه مركزه واختصاصاته ، والاعباء الملقاة على عاتقه ، فانه ليس له أى مساعد ، والى وقت قريب لم يكن له سكرتير أيضا • ثم تطوع أحد الفدائيين بالقيام بأعمال السكرتارية .

ولهذا الفدائى قصة فيها دور كبير قام به . لقد كان يعمل مدرسا فى باريس عندما اعتقل بن بيللا وزملاؤه • وطلب جيش التحرير اليه العمل على حمل الانباء اليومية والصحف والكتب الى أحمد بن بيللا أولا بأول . وتعهد المجاهد بتنفيذ المهمة الصعبة ، وبذل مجهودات عجيبة لعدم الاخلال بها طيلة سنوات الاعتقال •

وبعد الافراج عن بن بيللا ، غادر المجاهد الجزائرى باريس ليعمل داخل الجزائر • وعندما لمس حاجة بن بيللا الشديدة لمساعدين ، عرض عليه العمل كسكرتير له بلا مقابل ، وفى خجل وافق أحمد بن بيللا •

والزعيم الجزائرى أحمد بن بيللا شاب رقيق، مهذب ، تطفى المشاعر الانسانية على كل خلجة فيه . فعند ما دخل الجزائر لاول مرة ، وكان بعض رجال الحرس المكلفون بحراسته يلازمونه دائما ، كان يشعر بخجل شديد نحوهم ، وكان يدعوهم للعشاء أو الغداء أو الافطار كل يوم .

وهناك قصة والدة الزعيم التى تبلغ من العمر اكثر من ثمانين عاما وكانت تعيش فى المغرب فى بلدة « وجدة » التى لا تبعد أكثر من سبعة كيلومترات عن حدود الجزائر : البلدة التى عاش فيها عدة آلاف من اللاجئين الجزائريين قبل أن تتحرر الجزائر •

لم يكن أحمد بن بيللا قد رأى والدته منذ أكثر من عشر سنوات. وهى تعيش على أمل واحد وهو أن تراه بعد ان يفرج عنه الفرنسيون ، نعم هذه كانت أمنيتها • كانت آخر مرة رأته فيها فى عام ١٩٥٢، قبل أن يفر من الجزائر متسللا الى القاهرة •

بقيت الأم تردد فى دعواتها فى كل ليلة بلهجتها الجزائرية : « الله حارسك يا ابنى » وكان بن بيللا يراسلها وهو فى القاهرة ، ويتلقى منها فى كل أسبوع أو أسبوعين رسالة ليتعرف أخبارها •

وعندما اندلعت الثورة فى ربوع الجزائر بعد أول نوفمبر عام ١٩٥٤ . قام الفرنسيون فى أوائل عام ١٩٥٥ بالتنكيل بعائلة احمد بن بيللا انتقاما منه لدوره مع زملائه فى تنظيم الثورة بها. وكانوا أن قبضوا على زوج شقيقته ، وألقوا به فى أحد معتقلاتهم فى قلب الصحراء ، كما قتلوا اثنين من أعمامه •

وعرفت قيادة جيش التحرير الجزائرى فى اقليم وهران ان الفرنسيين يزمعون القبض على أم أحمد بن بيللا ، فبادروا بنقلها سرا عبر حدود الجزائر الى بلدة وجدة . وهناك عاشت الام فى هذه القرية كأى امرأة جزائرية تقوم بدورها ــ برغم تقدم سنها ــ فى خدمة قوات جيش التحرير الجزائرى •

وكان أحمد بن بيللا ينوى زيارتها فى أول فرصة تسنح له عندما ذهب الى المغرب سنة ١٩٥٦ ، ولكن الوقت لم يسعفه واضطر أن يرافق زملاءه فى الطائرة الفرنسية الى تونس حيث تم اختطافهم .

وبقيت الام على موعد مع ابنها يراودها الأمل نفسه فى كل يوم ، بل فى كل ساعة ولحظة : تريد أن ترى ابنها مرة واحدة قبل أن تموت !

وكان اللقاء انسانيا رائعا بين الوالدة وابنها الذى عاد اليها بعد سنوات السجن الطويلة !

***

عندما ذهب الى وجدة والتقى مع الجماهير المتحمسة رأى لافتات ارتفعت فى كل مكان تحمل هذه العبارات :

« الثورة من الشعب وللشعب ــ التاريخ يهزم الادعاءات الباطلة ويؤيد الآمال الرحاب ــ لا يمكن خداع الشعوب ــ مرحبا بك يا أبا الشعب » ...

هذا الشعار الاخير «أب الشعب» هو الذى كان يؤرق أحمد بن بيللا وكل رفاق القيادة . انه يضع على أكتافهم مسئولية المستقبل ، بل ويلقى عليهم تبعة خطوات الغد .

وعينا بن بيللا تنطق بالمسئولية ، فى أعماقهما ترى صورة شعب الجزائر : مليون شهيد ومليونين ونصف مليون معتقل ومهاجر وتسعة ملايين معظمهم من الفلاحين .

ومواقف بن بيللا الانسانية كثيرة ..

اختيرت احدى العمارات لتكون مقر المكتب السياسى ، فطلب من بواب المسكن أن ينتقل بأسرته الى مسكن آخر ، ولكنه لم يعثر على مسكن ، ولجأ البواب الى أحمد بن بيللا طالبا الاستمرار فى شغل مسكنه بالعمارة بعض الوقت حتى يجد مسكنا مناسبا . فسمح له أحمد بن بيللا بالبقاء . وعندما اعترض بعض زملائه على هذا قال لهم : « لقد ذقنا التشريد زمنا طويلا ، ويجب علينا ألا نمارسه ضد أحد ممن لا ذنب لهم حتى ولو كان فرنسيا ــ اننا لو فعلنا شيئا كهذا نكون قد فقدنا روح انسانية ثورتنا »

أما عن آراء أحمد بن بيللا السياسية فانها تمتاز بوضوح التفكير وقد عبر بنفسه عن ذلك عندما قال : « أنا أحد أفراد مدرسة الصراحة التى أوجدها جمال عبد الناصر » .

انه لا يؤمن باللف والدوران ، ويرى أن من حق الشعب أن يعرف كل شىء أولا بأول . فلقد كان يصرح بسياسته ويعلنها واضحة ، ويحذره من ذلك محترفو السياسة ولكنه أعلن : « لا مكان لمحترفى السياسة بين صفوفنا . لقد حصلنا على الاستقلال بالثورة ، وستبقى بلدنا بالثورة ــ لا قوة ولا مستقبل ولا حياة للشعب بغير الجيش ــ ولا حياة ولا وحدة للجيش بغير الشعب »

ومن خطاباته التى ألقاها وتصريحاته التى أعلنها اتضحت سياسته وطريقته فى التفكير والبناء . وكان يدرك جيدا أن مفاوضات ايفيان لم تكن هى المثلى . حتى انه قال : « هل يريدون أن أسبح بحمد أتفاقيات ايفيان ؟ لا لن أفعل ولن يفعل هذا واحد فى هذا البلد . نحن نعرف ان الفرنسيين يعلمون جيدا أن هذهالاتفاقيات لم تحقق أهدافثورتنا كاملة، ولكنها كانت حلا وسطا حتمته ظروفنا كبديل لاستمرار الحرب واسالة الدماء بين الطرفين . وقد قبلها المجلس الوطنى للثورة الذى أتشرف بعضويته ومن ثم أصبحت واجبة الاحترام والتنفيذ . ولقد أعلنت باسم المكتب السياسى ان هذه الاتفاقيات تمثل دستور التعاون بيننا وبين فرنسا، وانها يجبأن تحترم وتنفذ نصا وروحا . اننا سنقاوم استغلال اتفاقيات «ايفيان» لتكون منفذا خفيا الى اعادة السيطرة والاستعمار الجديد ونريدها بكل صدق واخلاص أن تفتح عهدا جديدا من التعاون وتبادل المنافع بين الجزائر وفرنسا . ولقد طلبت من الأخ عبد الرحمن فارس رئيس المجلس التنفيذى أن يبلغ ذلك بصراحة وجلاء الى الحكومة الفرنسية»

ويمتاز أحمد بن بيللا بالشخصية المتزنة، القوية ، العميقة الجوانب، له هدوء عجيب . تثيرك دبلوماسيته فى الحديث . ولكن فى أعماقه رجل يغلى بالثورة ضد الاستعمار والتخلف . رجل يؤمن بنفسه ويؤمن بوطنه، وينكر ذاته ، لا تهمه مصالحه الشخصية ، ومصلحة الجزائر تمر قبل أى اعتبار آخر .

وكان يعرف عن أحمد بن بيللا فى فترة الكفاح المسلح انه «الشخص الذى لا يتكلم ولا ينام أبدا » أما بعد الاستقلال فكان لابد من الكلام .. لابد من الصراحة والوضوح أمام هذا الشعب البطل . كل ما يدور بخلده يقوله للشعب . لا يهدأ ولا يستريح . يجند كل قواه من أجل بناء الجزائر . ويعبىء امكانيات الشعب كلها من أجل تثبيت الاستقلال . بدأ تنفيذ سياسة الاصلاح الزراعى ، واعتبره حجر الزاوية فى التطبيق الاشتراكى بالجزائر . ورأى انه من الضرورى وضع خطة شاملة للتصنيع والتنمية ، للقضاء على البؤس والبطالة التى خلفها الاستعمار . ويتحتم عليه تعبئة الشعب كله لتنفيذ هذه الخطة فى أقصر وقت ممكن حتى تعوض الجزائر ما فاتها ، وتلحق بركب التقدم .

ورأى أحمد بن بيللا أن حتمية التعبئة الشاملة تقتضي توحيد جهود الجزائريين أيضا فى اطار سياسى واحد وآمن بنظام الحزب الواحد من أجل بناء مستقبل الجزائر . انه جبهة الحزب الوطنى ، وقيادة سياسية واحدة هى « المكتب السياسى » المنبثق من الجبهة ، ويتكون من أحمد بن بيللا وزملائه من القادة الجزائريين . الآن يمكن لجميع الجزائريين العمل فى اطار الجبهة . وقد عبر أحمد بن بيللا عن هذا المعنى بقوله : « لقد حررنا البلاد نتيجة لتوحيد جميع القوات فى الجبهة . والمهمات التى نحن قادمون عليها أخطر وأصعب من كل ما واجهناه فى الماضى ، وهى تتطلب الوحدة الكاملة . والجزائر التى رزحت تحت نير الاستعمار وقاست منه قرنا وربع قرن من الزمان سوف تساند الدول التى تنشد الحرية والاستقلال . وسوف تشارك فى السياسة العالمية ، وعلى وجه الخصوص

فى الشمال الافريقى والعالم العربى والقارة الافريقية . ستقف الجزائر مع الدول المغلوبة على أمرها ، ومع الدول المحبة للسلام . وستمتدسياسة الجزائر الى خارج حدودها للقضاء على الاستعمار بشتى أنواعه » .

وموقف أحمد بن بيللا من القومية العربية أوضح من أن يفسره احد . لقد أعلن فى أول بيان لجبهة التحرير الجزائرى : « ان الأسس العقائدية لثورتنا تتلخص فى عروبتنا واسلامنا . هذه هى الحقيقة » .

نعم هذه هى الحقيقة التى حاول المستعمر الفرنسى أن يمحوها من قلوب الجزائريين ومن تاريخ الجزائر ، وحاول أن يمحو اللغة العربية والدين الاسلامى وعروبة الجزائر ... ولكنها استقلت ... وليست الآن ولاية فرنسية عبر البحر المتوسط .

وقد تبلور الاحساس بالعروبة العميقة منذ اللحظة الاولى لحرب التحرير فى أول نوفمبر عام ١٩٥٤ ، فلقد تأكدت هذه المعانى بموقف العرب جميعا من ثورة الجزائر .

وأشار أحمد بن بيللا فى خطاب له بالمجلس الوطنى قائلا : « ان بلادنا تنتمى تاريخيا الى الثقافة العربية الاسلامية ، ولها مكانتها لدى الشعوب العربية . والعروبة فى مفهومنا حضارة وأخلاق وثقافة ونموذج حياة ، ومجموعة من التقاليد يتمسك بها شعبنا بجميع طبقاته . »

وقد أوضح أحمد بن بيللا فى تصريحاته ان الوحدة العربية لابد أن تسبقها خطوات تمهيدية ثانوية فى ميدان الاقتصاد والثقافة حتى يمكن تحقيق هذا الهدف الكبير .

وقد تجلت صراحة الزعيم والبطل الشعبىحينما ترامت الىسمعه اشاعات جوفاء فى أثناء ازمة الخلاف : تقول تلك الاشاعات انه يؤمن بالدكتاتورية العسكرية ، وانه يسعى لان يجعل من نفسه «حاكما مطلقا» واراد أن يقطع الطريق على المضللين ومفرقى الصفوف فصارح الشعب الجزائرى بكل ما سمع وقال :

« ان الاشاعة الاولى وهى اتهامى بالدكتاتور العسكرى غير صحيحة، بدليل أننا قررنا تحويل جيش التحرير الوطنى الى جيش دائم منظم . ولو كان صحيحا لأبقينا على جيش التحرير كما هو . وأما الاشاعةالقائلة بأننى أسعى لانأجعل من نفسىحاكما مطلقا ، فهذا غيرصحيحعلىالاطلاق، بدليل أننى أول من تحمس لفكرة تشكيل المكتب السياسى. وهذهالفكرة فى واقع الأمر هى فكرة القيادة الجماعية التى كانت طابع الثورة وعمادا قويا لجميع أعمال جبهة التحرير » .

وقد قال أحد الضباط المجاهدين فى مدينة بالعباسى ابان ازمة الخلاف :

« ان أحمد بن بيللا — فى نظر الشعب — هو الثورة . انه أول من فكر فى الثورة ، وأول من أعلنها حربا لا هوادة فيها على فرنسا فى أول

نوفمبر عام ١٩٥٤ • انه أول من تطوع لها ، وعمل لها ، وأمدها بالسلاح والعتاد ، ودرب الرجال ، وأنه أول من تحمل نتائجها • وقد حقق أحمد بن بيللا الاستقلال بفضل الثورة ، والآن لا يمكن أن يتحقق التقدم بدون الثورة » •

نعم •• أحمد بن بيللا هو الثورة ، والثورة هي الشعب الجزائري بأسره . صورة صادقة من الشعب الذى صنع مجدا وقضى على أسطورة واهية : السيادة الفرنسية على ولاية الجزائر عبر البحر المتوسط •

دولة الجزائر المستقلة

ها هى الجـزائر قد أصبحت دولـة مسـتقلة رئيسـها وزعيمها أحمد بن بيللا . لم تستطع فرنسـا أن تمحو الحقيقة ، حقيقة الجزائر الجزائرية ـ وحقيقة بن بيللا زعيما لشعب الجزائر .

ظنت فرنسا ـ واهمة ـ بأن معارضتها لقضية الجـزائر فى رحاب الامم المتحدة منذ عام ١٩٥٥ ـ ستوقف حتمية التاريخ ـ وأنها بالقـاء القبض على أحمد بن بيللا وزملائه ستقضى على ثورة شـعب الجزائر ـ كانت فرنسا تعتقد أنها ستطفىء الشمس بهذه السياسة . ولكن الآن ها هى الجزائر دولة مستقلة وهيئة الامم المتحدة تقبل «جمهورية الجزائر» عضوا فيها .

سافر وفد جزائرى من أربعة أعضاء فى شهر سبتمبر عام ١٩٦٢ ليصبح جزءا من أول وفد جزائرى دائم فى الامم المتحدة عنـد انضمام الجزائر للمنظمة الدولية . وكان « الدكتور محمد بن مبارك » رئيسـا للوفد بالاشتراك مع « عبد القادر الشاندرلى » فمثل الجزائر فى نيويورك ثم قدمت الجزائر طلب العضوية فور الانتهاء من تشكيل أول حكومة على أساس الانتخابات البرلمانية التى أجريت فيما بعد كما أوضحنا .

ووصـل بن بيللا الى نيويورك يوم ٧ من أكتوبر على رأس وفـد جزائرى يتكون من خمسة عشر عضوا لحضور الدورة السابعة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة ـ والقى خطابا فى الجمعية العامة بعـد اعلان قبول الجـزائر فى المنظمة الدوليـة ـ واسـتقبل أحمد بن بيللا استقبالا حافلا .

وكان يوم ١٠ من شهر أكتوبر خالدا فى تاريخ العـالم وفى تاريخ الامم المتحدة اليوم الذى ارتفع فيه علم الجزائر فوق الامم المتحدة .

ووقف الزعيم أحمد بن بيللا على منصة الامم وصفق له أعضاء وفود دول العالم أجمع وهم وقوف ـ لقد وقف جميع الأعضاء والتهبت أكفهم بالتصفيق الطويل كما لم يصفقوا من قبل .. ما عدا وفد اسرائيـل ! وشكرهم أحمد بن بيللا على هذه الحفاوة .

والقى أحمد بن بيللا خطابه الذى أكد فيه أن بلاده ستبقى فى معسكر الدول غير المتحازة .

وقال ان الجزائر ستقدم مساعدات غير مشروطة الى الوطنيين الذين يحاربون فى سبيل تحرير أنجولا وروديسيا وافريقية الجنوبية الغربية .

وضح بن بيللا – فى خطابه – اتجاه الجزائر فى سياستها الدولية وقد أثنى على يوثانت السكرتير العام الذى رأس – وهو مندوب لبورما – لجنة مجموعة الدول الآسيوية والافريقية التى أيدت القضية الجزائرية تأييدا كاملا .

وأكد ليوثانت تأييد الجزائر له …

كما طالب بن بيللا باعطاء عرب فلسطين حقوقهم وقال . « انه لمن عوامل الخطر التى تهدد السلام والاستقرار الدولى أن تبقى مشكلة اللاجئين الاليمة بدون حل . وهى المشكلة التى سبق أن اتخذت الامم المتحدة بشأنها قرارا معينا واضحا » .

وأعلن بن بيللا أن حكومته حريصة على احترام اتفاقيات ايفيان ، وانشاء علاقات جديدة بين الجزائر وفرنسا .

واستطرد يقول : « ان الحرب الجزائرية قد تجاوزت فى مغزاها النطاق الجزائرى اذ أصبحت مثلا يحتذيه كل شعب يريد التحرير من يد الاستعمار ، ولقد علمتنا التجربة التى عشناها أنه ينبغى أن تعتصم جميع الشعوب المتطلعة الى الحرية بأهداب التضامن ، كما يتحتم علينا أن تهدف سياستنا الى استئصال شأفة الاستعمار فى كل مكان ، وسوف يطالب الوفد الجزائرى بأن تنفذ الامم المتحدة تنفيذا صادقا التصريح الذى أعلنته بقرار من الجمعية العامة عام ١٩٦٠ ضد الاستعمار » .

وأكد بن بيللا أن حكومته تؤيد المبادىء التى أعلنها كل من مؤتمرى باندونج وبلجراد . وقال ان الجزائر ستلزم الحياد ولكنه لن يكون حيادا سلبيا – لانها مصممة على أن تقف فى ميدان كل قضية عالمية الى جانب صيانة السلام والامن .

وطالب بن بيللا باعادة تنظيم الامم المتحدة بحيث تحصل الدول المتحررة حديثا على فرصة أكبر لاسماع صوتها فى الميدان الدولى .

***

وتقابل أحمد بن بيللا مع شخصيات عالمية لبحث المسائل المشتركة بين الجزائر وبين جيرانها – فلقد اجتمع فى اليوم التالى لوصوله الى نيويورك بالرئيس أحمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا ، وبحث معه مسألة الوحدة الافريقية ، ومدى امكان قيامها .

وعقد عدة اجتماعات فى نيويورك مع الدكتور محمود فوزى ، والسيد عبدالخالق حسونة . وتناولت المحادثات بينهم أزمة الجامعة العربية التى أصابتها بالشلل . وكان لأحمد بن بيللا رأى فى أزمة الجامعة العربية الراهنة اذ قال : « ان ميثاق الجامعة العربية برغم من أنه ميثاق الجامعة ، متخلف وعاجز ، فانه لا يزال يتيح للامانة القيام بدور ليس أقل فعالية عن دور سكرتير الامم المتحدة » .

وأكد أحمد بن بيللا تصميمه على بذل وساطته وبحث الامر على أعلى

مستوى مع رؤساء الدول العربية . وقد اتجه الرأى فى هذا الاجتماع بين أحمد بن بيللا وحسونة الى أنه يجب على أمانة الجامعة أن تبادر من جانبها بالدعوة الى عقد اجتماع للجنة خاصة تضم عددا من الدول العربية مثل المغرب والجزائر ولبنان والسودان ، وهى الدول التى تلتزم الحياد فى الخلافات القائمة داخل الجامعة على أن تقدم تقريرا «للامانة العامة» وتقترح حلا لتصفية الجو .

***

وفى أثناء وجود أحمد بن بيللا فى نيويورك تلقى دعوات لزيارة كل من بريطانيا والاتحاد السوفييتي ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والجمهورية العربية المتحدة . ولكن أحمد بن بيللا ووراءه مهام ضخمة ملقاة على عاتقه فى هذه الايام . مهام دولة حديثة ومستقبل شعب .

ولقد عرضت أمريكا على أحمد بن بيللا قبول عشرة ملايين دولار كهدية منها ولكن أحمد بن بيللا رفض هذا مفضلا أن تقدمها أمريكا فى شكل مساعدة للجزائر فى نطاق اتفاق اقتصادى بين الولايات المتحدة والجزائر .

ومن الطريف أنه حدث فى أثناء اجتماع أحمد بن بيللا مع « أوزفالدو دورتيكوس » رئيس جمهورية كوبا يوم وصوله الى نيويورك — أن طلب منه الصحفيون أن يصافح أعضاء الوفد الجزائرى الذين كانوا فى استقباله ليلتقطوا له صورا تذكارية .

وعلى الفور رد عليهم احمد بن بيللا — وعلامات الجد تبدو على وجهه : « أنا لست ممثلا سينمائيا » .

هذه لقطات سريعة تكشف لنا جوانب خصبة عن شخصية أحمد بن بيللا ، ومدى أصالتها وعمقها ، والسياسة التى تسير عليها دولة الجزائر .

ووجهت دعوة رسمية للزعيم أحمد بن بيللا من الرئيس «جون كنيدى » وفى ١٤ من أكتوبر عام ١٩٦٢ وصل أحمد بن بيللا الى واشنطن للاجتماع بالرئيس الامريكي و دين راسك وزير الخارجية . وكان فى استقباله جمع غفير من المستقبلين .

وعندما ظهر بن بيللا فوق أعلى درجات سلم الطائرة دوى المطار بالتصفيق والهتاف بحياة الجزائر الحرة المستقلة . ورد أحمد بن بيللا على جموع المستقبلين بتلويح يده بالتحية على حين أن الابتسامة تعلو وجهه .

واجتمع بن بيللا بالرئيس كنيدى ، وأجرى معه محادثات استغرقت ساعة كاملة .

وتبلورت سياسة أحمد بن بيللا — رئيس حكومة الجزائر — أمام الرأى العام العالمى . فأصبحت للجزائر سياسة مستقلة فى المجال الدولى . ففى الوقت الذى انتهت فيه زيارة أحمد بن بيللا للولايات المتحدة .

كانت الاستعدادات تجرى لاستقباله فى كوبا — التى تناصب الولايات المتحدة العداء .

وذهب أحمد بن بيللا الى كوبا فى زيارة رسمية استغرقت أربعة وعشرين ساعة بدعوة من رئيس جمهوريتها .

واستقبل هناك — فى هافانا — استقبالا حماسيا لم تشهد له كوبا مثيلا منذ وقت طويل — واستقبله فيدل كاسترو وأعضاء حكومته — فى المطار — بالحفاوة والترحيب وكان استقبال الشعب للزعيم الجزائرى منقطع النظير .

وأعلن أحمد بن بيللا — من هافانا — « أن جميع الشعوب الفقيرة بدأت تدرك أن الاشتراكية هى الطريق الى الحرية ، وهى الطريق نحو التقدم — وأن الاستعمار هو سياسة النفاق ! » وقال بن بيللا : « اننا نحن الجزائريين نريد من الجميع العمل على انهاء استغلال الانسان ، ووضع حد للبؤس والجهل . وهذا العمل شاق . كما أن النضال فى هذا المجال طويل يصوره النضال فى حرب التحرير . ولكننا بمشيئة الله سوف ننتصر مهما كانت العقبات فى الطريق نحو مستقبل أفضل » .

وصرح أحمد بن بيللا — حينما غادر كوبا — أن الجزائر تستطيع أن تكون علاقات طيبة مع كل من الولايات المتحدة وكوبا فى وقت واحد عن طريق الاحتفاظ بشخصيتها الحقيقية .

وعاد أحمد بن بيللا من رحلته الى أمريكا وكوبا بعد أن أعلن — فى هيئة الامم المتحدة — عن منهاج سياسته فى المجال الدولى .

عاد الى الجزائر بعد أن شارك رؤساء الدول مناقشة المشكلات الدولية . وأعلن عن رأيه فى كل مشكلة ، كما أوضح للرئيس الامريكى موقف الجزائر من مختلف المشكلات وفى مقدمتها كوبا وبرلين . وأكد الزعيم الجزائرى تمسكه بسياسة الحياد وعدم الانحياز فى الشئون العالمية ، وقال ان الجزائر تؤكد مساندتها للحركات التحررية فى افريقية ، فلم تكن ثورة شعب الجزائر على فرنسا من أجل أن تنال الاستقلال فقط ، بل ان جمهورية الجزائر تشارك بجهود فعالة فى المشكلات العالمية من أجل الحرية والبناء والتقدم والسلام .

وقال أحمد بن بيللا ان الجزائر على وعى وادراك تام بالمسئوليات الكبيرة التى ألقيت على عاتقها بعد انضمامها الى هيئة الامم المتحدة .. وأعلن فى مؤتمر صحفى أن الجزائر لن تطلب ، ولن تقبل أية مساعدات اقتصادية مقترنة بشروط سياسية .

وقال : ان الجزائر قد ابلغت فرنسا أنه من المستحيل أن توافق الجزائر على اجراء أية تجارب ذرية فرنسية فى الأراضى الجزائرية . وحينما سئل عن امكان قيام الاتحاد الافريقى المغربى ، أعلن أن وحدة المغرب الكبير رغبة أساسية لشعوب شمالى افريقية ، ومشكلة فى غاية الاهمية ؛ ويجب معالجتها بجدية تامة .

ومنذ أن عاد أحمد بن بيللا من رحلته الى أمريكا «فى ٢٠ من أكتوبر» الى الجزائر بدأت الاستعدادات تجرى للاحتفال بالذكرى الثامنة لعيد ثورتها وكان الاحتفال بالغا منتهى الروعة فى أول نوفمبر عام ١٩٦٢ . كان يوم عيد للعرب أجمعين ، ولأنصار السلام والحرية فى العالم . عيد ثورة دامت ٨٩ شهرا ! راح ضحيتها أكثر من مليون شهيد ، وكلفت فرنسا مليون جنيه يوميا . وراح ضحية المعارك فيها نصف مليون فرنسى — انه يوم النصر . وانها قصة كفاح عربى فى أروع صورها . انها قصة شعب صمم على أن يتحرر ، فانتصر .. انها قصة أحمد بن بيللا ابن شمالى افريقية الغالى .

تم الكتاب

المراجع

١ ـ الجزائر الثائرة وزارة الثقافة والارشاد القومى
تأليف ـ كوليت وفرانسيس جانسون

٢ ـ الجزائر بين الأمس والغد ـ حمدى حافظ ـ محمود الشرقاوى ·

٣ ـ الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ـ دكتور محمد عوض محمد ·

٤ ـ أيام المجد فى جبال وهران ـ للرسام طوغان ·

٥ ـ الثورة الجزائرية ـ كتب افريقية آسيوية ·

٦ ـ التقرير الرسمى لوفد الجزائر فى مؤتمر الشعوب الآسيوية الافريقية .
(٢٦ من ديسمبر عام ١٩٥٧ ـ الأول من يناير عام ١٩٥٨)

٧ ـ دروب القومية العربية ـ الدكتور عبد الله عبد الدايم ·

٨ ـ مذكرات الصحفى كيرول الانجليزى عن الجزائر ·

٩ ـ أراب أوبزرفر ـ القاهرة

١٠ ـ صحف القاهرة :
الجمهورية ـ الشعب ـ الاخبار ـ الاهرام ـ المساء ·
فى شهرى أكتوبر ـ نوفمبر عام ١٩٥٦ ـ وحتى عام ١٩٦٢ ·

١١ ـ مجلات القاهرة :
التحرير ـ المصور ـ روز اليوسف ـ آخر ساعة ـ القوات المسلحة

١٢ ـ الثورة الجزائرية ـ (باللغة الانجليزية) ـ الدار القومية للنشر ·

١٣ ـ الصحف العالمية ـ بارى ماتش ـ لوموند ـ تايمز سبكتاتور ·

١٤ ـ الاستعمار الفرنسى فى المغرب العربى ·
تأليف ـ هنرى كلود ـ أندريه بريتان ـ ايف لاكوست ·

فهرس

الموضوع	الصفحة
تقـــديم	٧
الرأس الملتهب	١١
احمد بن بيللا ... الثائر الأول	٢٧
احمد بن بيللا يتحدى الموت	٤٩
بن بيللا يقود المعركة من السجن	٦٧
الافـــــراج عن بن بيللا	٨٦
بوادر مقلقـــــة	١٠٥
أزمة الخــــلاف	١٠٧
العاصفة تمر بســــلام	١١٦
دولة الجزائر المستقلة	١٢٤
المــــراجع	١٢٩

استدراك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٢	٢٦	لقيم	للقيم
٢٥	٦	بحرمة	حرمة
٢٩	١	وطلبنا	وطلبتا
٣٠	٩	عن	أن
٣١	٣١	وزملاؤه	وزملائه
٣٣	٣٠	عند القادر	عبد القادر
٤١	٢٢	وتحدير	وتحرير
٤٤	٢٥	الفاء	والفاء
٥١	٣٦	يدأ	يدء
٥٢	١	السامية	السياسية
٥٣	٨	تتهى	ينتهى
٥٣	١١	فرنسا أن	فرنسا على أن
٥٤	٢	واترلوا	واترلو
٥٦	٧	وعشريمـ	وعشرين
٥٧	٣٢	أو	أن
٦٠	٩	عن	على
٦٠	٢٦	١٩٤٧	١٨٤٧
٦٢	١٥	يسبتطيعون	يستطيعون
٦٤	٢٩	خظاه	خطأه
٦٤	١	أهد نداف	أهداف
١٢٥	٣٢	برغم من أنه ميثاق الجامعة	بالرغم من أنه ميثاق
١٢٥	٣٤	سكرتير	سكرتيرية

ملحوظة : السطر قبل الأخير ص ٧٣ يوضع بعد الأخير .

هيئة قناة السويس

مناقصة عامة لمقاولى

القطاع العام

تطرح هيئة قناة السويس فى مناقصة عامة عملية انشاء كوبرى الرسوة بمدخل بور سعيد مكون من فتحتين متحركتين وأربع فتحات ثابتة من الخرسانة المسلحة ويرتكز على قيسونات خرسانية .

ويمكن الحصول على مستندات المناقصة بالحضور شخصيا الى مقر الهيئة بالاسماعيلية (التخطيط والأبحاث) .. وذلك نظير مبلغ خمسة وعشرين جنيها وتقدم العطاءات باسم السيد / رئيس هيئة قناة السويس (التخطيط والأبحاث) فى ميعاد أقصاه الساعة الثانية عشرة ظهرا يوم الاثنين ١٥ أبريل ١٩٦٣ مصحوبة بتأمين ابتدائى قدره ثلاثة آلاف جنيه .. ولن يلتفت الى أى عطاء يقدم بعد هذا الموعد أو غير مصحوب بالتأمين المذكور .

تحميل كتب ومجلات

abbassa.wordpress.com

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٠٧٥٣ / ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ / ٤٠٨١٤

الدار القومية للطباعة والنشر
١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج
تليفون ٤٠٧٥٣ / ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ / ٤٠٨١٤

العدد ٤٨ الثمن ١٦ قرشا